بحوث وتعليقات

في

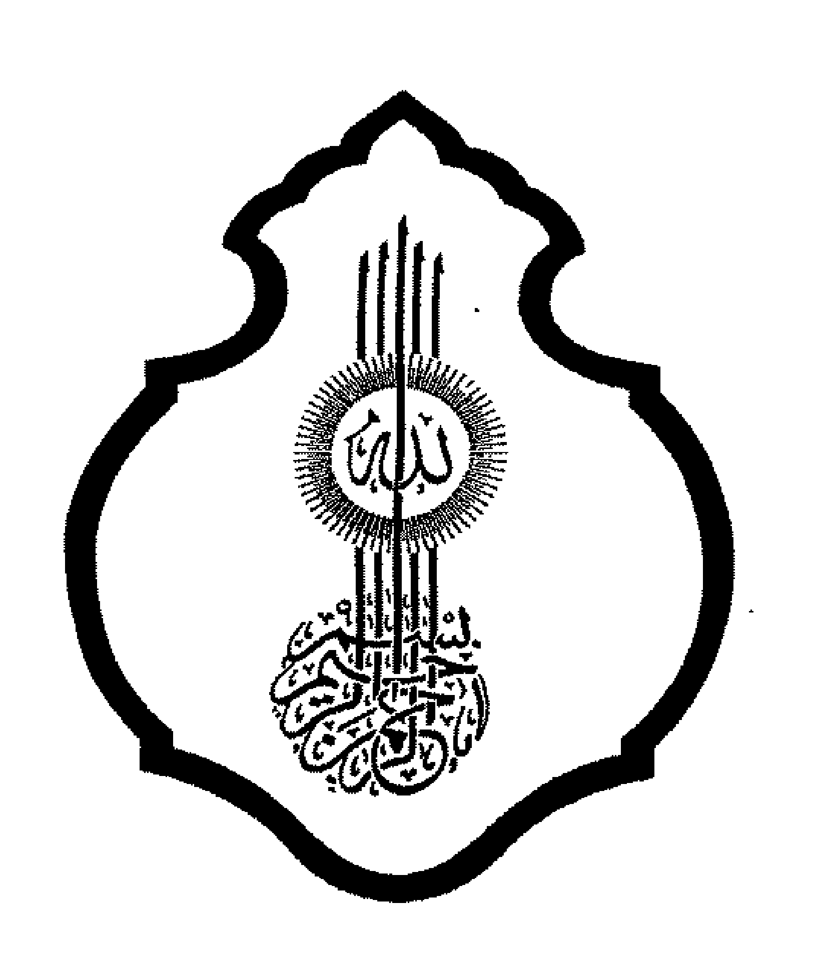
تاريخ المملكة العربية السعودية

تأليف
الدكتور عبد الله الصالح العثيمين
جامعة الملك سعود

مكتبة
التوبة

الطبعة الثانية
١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م

مكتبة التوبة
الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥



مقدمة

للحكم السعودي في شبه الجزيرة العربية جذوره التاريخية العميقة . ذلك أن إمارة آل سعود في قاعدتهم النجدية الأولى ـ الدرعية ـ بدأت منذ منتصف القرن التاسع الهجري . وقد مرت هذه الإمارة خلال ثلاثة قرون من نشأتها بما مرت به كثير من الإمارات النجدية حينذاك من فترات ضعف وقوة وانقسامات داخلية . لكن عظمة تاريخها بدأت منذ وقوف الأمير محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٥٧ هـ لنشر الدعوة الإصلاحية التي نادى بها ذلك الشيخ وتوحيد البلاد على أساسها .

ولم تكن الطريق لتوحيد البلاد سهلة ميسورة ؛ فقد أمضى قادة الدرعية أكثر من أربعين سنة قبل أن يوحدوا منطقة نجد . على أنهم ما أن وحدوا هذه المنطقة المهمة حتى سهلت عليهم الطريق، نوعاً ما ، لتوحيد مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية . وهكذا لم يمض عشرون عاماً على توحيدهم لنجد حتى أصبحت دولتهم تشتمل على نجد وشرقي الجزيرة العربية والحجاز وعسير وأجزاء من اليمن وعمان . بل أصبح لهم نوع من النفوذ في كل من العراق والشام تمثّل في قيام بعض القبائل هنا وهناك بدفع الزكاة إليهم .

ومع أن الدولة العثمانية ؛ ممثلة في حاكم مصر ، محمد علي ، استطاعت أن تقضي على الدولة السعودية الأولى عسكرياً سنة ١٢٣٣ هـ إلا أن الأثر الذي تركته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نفوس سكان وسط الجزيرة العربية كان أقوى مما توقع خصومها . ولذلك كان تجاوب أولئك السكان مع القادة الذين

أرادوا بعث الدولة السعودية من جديد واضحاً كل الوضوح . وكان في طليعة أولئك القادة الإمام تركي بن عبد الله الذي كان يتحلّى بصفات قيادية فذّة . وقامت الدولة السعودية الثانية منذ سنة ١٢٤٠ هـ على أساس المباديء الإصلاحية التي قامت عليها الدولة السعودية الأولى .

على أن الدولة السعودية الثانية لم تبلغ من السعة والقوة ما بلغته الدولة السعودية الأولى . ذلك أنها في أوج عزها لم تشتمل إلا على نجد والمنطقة الشرقية ـ الأحساء والقطيف ـ وأجزاء مما أصبح يسمّى الإمارات العربية المتحدة . أما المناطق الواقعة غرب نجد فكانت خارج نفوذها . وظلت تلك الدولة قائمة حوالي سبعين عاماً تعرّضت خلالها لتدخلات خارجية أفقدت زعماءها حريتهم السياسية الكاملة ، واقتطعت جزءاً من أراضيها . وكان من أهم أسباب نهايتها الانقسامات الداخلية بين أولئك الزعماء .

وحينما بدأ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ـ الملك عبد العزيز ـ أولى خطواته لاستعادة الحكم السعودي وتوحيد البلاد سنة ١٣١٩ هـ كانت نجد تحت حكم آل رشيد ؛ وكانت المنطقة الشرقية تحت حكم الأتراك ، وكانت الحجاز تحت حكم الأشراف ، وكانت عسير ـ تهامة وسراة ـ موزعة بين حكم الأدارسة وبين حكم آل عائض . وبذل ذلك الملك ما بذله من جهود جبارة حتى حالفه التوفيق في توحيد المناطق التي تكونت منها المملكة العربية السعودية بعد ربع قرن من الكفاح .

وكان من نتائج تتبّع كاتب هذه السطور لما دوّن عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والحكم السعودي كتابة هذه البحوث والتعليقات التي سبق أن نشرت في مجلات مختلفة . ولعلّ وحدة موضوعها ـ بصفة عامة ـ من أهم الأسباب التي دفعت كاتبها إلى أن

يخرجها أمام القارىء الكريم في كتاب واحد . والأمل كبير في أن يجد هذا الكاتب من تعليقات من يقرؤها ما يسهم في تحقيق الهدف من نشرها .

والله وليّ التوفيق .

الحركة الوهابية ومحاولة توحيد جزيرة العرب

الحركة الوهابية ومحاولة توحيد جزيرة العرب [1]

لعل من المناسب ، في مستهل هذا البحث ، أن يقال بعض الشيء عن كلمة « الوهابية » ذاتها . فهذه الكلمة صفة يطلقها كثير من الدارسين على أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة ، وعلى الذين لبّوا دعوته وانضموا إلى الدولة التي قامت على أساسها في وسط جزيرة العرب ، كما تطلق على عقيدة ذلك الشيخ ودعوته أو حركته . ومن الواضح أن النسبة في الكلمة ، وإن تكن أقرب إلى اسم والد الشيخ من اسم الشيخ نفسه ، نسبة صحيحة من الناحية اللغوية . ذلك أنها لا تختلف ـ مثلاً ـ عن نسبة الحنبلية إلى أحمد بن حنبل .

ومن المؤكد أن المعارضين لمحمد بن عبد الوهاب ، دعوة ودولة ، كانوا أول من استعمل التسمية السابقة . وواضح أن الهدف من استعمالها تنفير الناس من دعوته وصرفهم عن تأييد الدولة التي قامت نتيجة لها . ومع أن كثيراً من الدارسين في مشارق الأرض ومغاربها قد أصبحوا على علم بحقيقة ما كان يدعو إليه ابن عبد الوهاب فإن الصفة التي أطلقها خصومه على دعوته وعلى أتباعه ما زالت هي المستعملة لدى كثير من الكتّاب في أقطار مختلفة .

أما أنصار دعوة ابن عبد الوهاب ؛ خاصة فيما مضى ، فإنهم لا يرضون بالتسمية المشار إليها ، وإنما يسمّون أنفسهم ودعوة إمامهم تسميات أخرى . فأحياناً يسمّون أنفسهم المسلمين ، ويسمّون الدعوة التي لبّوها دين الإسلام [2] . وأحياناً يستعملون

(١) سبق أن نشر هذا البحث في مجلة المستقبل العربي ببيروت ، يوليو ، ١٩٨١ م ، ص ص ٤٠ ـ ٤٩ .
(٢) وهذا هو الغالب عند المؤرخين ابن غنام وابن بشر .

صفات أكثر التصاقاً بطبيعة الدعوة ، فيطلقون على أنفسهم اسم الموحّدين ، ويطلقون على دعوتهم دعوة التوحيد ، أو الدعوة السلفية ، أو الدعوة فقط[1] . ومن الواضح أن هدفهم من ذلك إظهار مدى التزامهم بتوحيد الله وصفاء العقيدة ، والتمييز بينهم وبين الذين يتبعون معتقدات أو يمارسون أعمالاً انتشرت في كثير من المجتمعات الإسلامية عبر القرون المختلفة ، رغم عدم اتفاقها مع أصول دين الإسلام في نظرهم .

لكن عدداً قليلاً من التابعين لدعوة ابن عبد الوهاب ، أو المتعاطفين معها ، بدأوا في السنوات الأخيرة لا يتحاشون استعمال كلمة « الوهابية » في كتاباتهم[2] . ويبدو أن هذا الموقف جاء نتيجة اعتقاد هؤلاء بأن ما كان يدعو إليه ذلك الشيخ قد بات واضحاً بدرجة كبيرة ، وأن ما تحمله هذه الكلمة من معان لم يقروها في الزمن الماضي قد أصبح أخف من ذي قبل في أذهان الكثيرين . واستعمالها في هذا البحث انعكاس لهذا المفهوم ومراعاة لشهرتها لدى كثير من الدارسين .

---

(١) انظر حسين بن غنّام ، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٩ م ، ج ١ ، ص ٣١ ؛ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الثانية من قِبَل دار الافتاء ، جدة ، ١٩٦٥ م ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ عبد الرحمن آل الشيخ ، علماء الدعوة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، كما هو واضح من عنوان الكتاب ذاته .

(٢) انظر سليمان بن سحمان ، كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٣٧٦ هـ ، ص٩٣ . وقد أصدر هذا المؤلف مجموعة من الرسائل بعنوان الهدية السنية والتحفة النجدية الوهابية ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ . ولعبد الله القصيمي كتاب بعنوان الثورة الوهابية ، القاهرة ، ١٩٣٥ م . وكذلك لمحمد رشيد رضا كتاب عنوانه الوهابيون والحجاز ، القاهرة ، ١٩٢٥ م .

أوضاع وسط الجزيرة العربية قبيل ظهور الحركة الوهابية

حينما تمكنت الدولة العثمانية من الاستيلاء على مصر سنة ١٥١٧م دخلت الحجاز تحت نفوذها بمحض اختيار أشرافها . ثم استولت هذه الدولة على اليمن سنة ١٥٣٨م، وعلى الأحساء سنة ١٥٥٢م. ومن هنا أصبحت نجد ، المكونة لوسط الجزيرة العربية ، محاطة بمناطق نفوذ عثمانية من أغلب جهاتها . وقد شجع هذا الوضع أشراف الحجاز على القيام بغزوات لبعض البلدان النجدية . لكن نفوذ الدولة العثمانية في جزيرة العرب ضعف كثيراً بعد حوالى قرن من بداية وجوده . فقد استطاع أئمة اليمن أن يستقلوا بحكم بلادهم سنة ١٦٣٥م، وتمكن زعماء بني خالد من الاستيلاء على حكم الأحساء عام ١٦٧٠م. وكان لهذا التغير أثره بالنسبة لعلاقات نجد بالقوى المحيطة بها . ذلك أن زعماء بني خالد بدأوا يقومون بغزوات لبعض جهاتها ، بينما أخذت غزوات أشراف الحجاز لها تقل كثيراً ، لتلاشي الوجود العثماني المؤيد لهم من الجزير العربية ، حتى أن المصادر لا تشير إلا إلى غزوة واحدة لهؤلاء الأشراف على نجد خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر كله . وعلى أية حال فإن نجداً لم تشهد نفوذاً عثمانياً مباشراً عليها قبل ظهور الحركة الوهابية ، كما أنها لم تشهد نفوذاً يفرض سيطرته على العلاقات بين قبائلها وبلدانها المختلفة لأية جهة .

وكان المجتمع النجديّ ينقسم إلى قسمين : بادية وحاضرة . لكن البادية كانت ، على الأرجح ، أكثر عدداً من الحاضرة . وكانت الحياة الاقتصادية للقبائل الرحّل تقوم على الثروة الحيوانية ومنتجاتها بدرجة أولى ، وعلى ما تغنمه في الغزوات بدرجة ثانية . وكانت هذه الحياة تتأرجح بين القوة والضعف ، حسب ظروف المناخ ومفاجآت الغزوات ونتائجها . فنزول الأمطار ، بما

ينتج عنه من نبات الربيع ، ينمّي الثروة الحيوانية ويضاعف إنتاجها . لكن عدم نزوله يسبب كوارث اقتصادية ، ويؤدي أحياناً إلى هجرات وحروب[1] . ومن المعروف أن الغزوات ليست دائماً ناجحة ، كما أن من غزا الآخرين اليوم قد يُغزى غداً ، ومن نال بعض الغنى بالغزوات قد يعاني كثيراً من الفقر بسببها .

وكانت الحياة الاقتصادية للسكان المستقرين في نجد تعتمد على الزراعة بصفة رئيسية ،وعلى التجارة بصفة ثانوية . وكانت للزراعة مشكلاتها الخاصة . ومنها ما كان يعود إلى مناخ المنطقة والعوامل الطبيعية فيها كجفاف مياه الآبار ، أحياناً ، في بعض الأقاليم ، وتعرض المزروعات للبرد والرياح الشديدة وهجمات الجراد[2] . ومنها ما كان يعود إلى أعمال الخصوم كتخريب المحصولات وقطع أشجار النخيل أو نهب ثمارها[3] .وكان جفاف مياه الآبار من أسباب نزوح السكان إلى أقطار مجاورة[4] . وكما كانت للزراعة مشكلاتها الخاصة كانت للتجارة مشكلتها الأمنية ، المتمثلة في تعرّض القائمين بها ، أحياناً ، للنهب[5] .

ولقد كان إنتاج نجد من الثروة الحيوانية ؛ خاصة الإبل ، أكثر من احتياجات سكانها . ولذا كانت تصدِّر قسماً من هذه الثروة

---

(١) محمد الفاخري ، الأخبار النجدية ، تحقيق عبد الله الشبل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٨٠ م ، ص ٩٨ .

(٢) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الطبعة الثانية من قِبَل وزارة المعارف السعودية ، ١٩٧١ م ، ج ٢ ، ص ص ٢٣٠ و ٢٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٤) الفاخري ، المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٥) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

إلى الأقطار العربية المجاورة لها[1] . لكن إنتاجها من الزراعة كان ، أحياناً ، لا يفي باحتياجات أولئك السكان . ومن هنا كانوا يستوردون أطعمة من بعض الأقطار . وكانت الأحساء بالذات من الأقطار المهمة جداً بالنسبة لهم ؛ إذ كانت من أمكنة استيرادهم للأطعمة ، وكانت من الأماكن التي ينزحون إليها وقت الشدة ، كما كانت موانئها منافذ لهم لاستيراد ما كانوا يحتاجون إليه من منتجات البلدان الخارجية[2] .

وكان أمراء البلدان النجدية يصلون إلى الإمارة ، أحياناً ، بطريقة وراثية سلمية . لكنهم ، أحياناً أخرى ، لا يصلون إليها إلا بالاغتيال أو القوة . أما رؤساء القبائل الرحّل فكانوا يصلون إلى الرئاسة حسب مؤهلات قيادية خاصة ، كالكرم والشجاعة وسداد الرأي . وكان قرب الفرد نسباً من الرئيس القديم من عوامل ترجيح زعامته ، لكن تأثير ذلك لم يكن مثل تأثيره لدى الحاضرة .

أما علاقة الحضريّ بأميره فكانت مختلفة عن علاقة البدويّ برئيسه لعاملين : أحدهما اختلاف طريقة الوصول إلى الزعامة ، والثاني اختلاف طبيعة الثروة لدى كل منهما . كان الخوف من الثأر عند أمراء البلدان الذين وصلوا إلى الإمارة بالقوة أو الاغتيال يؤدّي إلى اتخاذ إجراءات تعسفية أحياناً . وكانت قلة المصادر الاقتصادية لدى بعض الأمراء ، مع وجود متطلبات الضيافة والدفاع ، مما يحتّم

(1) Burckhardt, **Notes on the Bedouins and Wahabys,** London, 1831, Vol. II, p. 69.

وكانت نجد تسمّى « أم البل » لكثرة الإبل فيها . وقد ظلت غنية بها مصدرة لها حتى وقت غير بعيد من الزمن الحاضر .

(2) Abu-Hakima, **History of Eastern Arabia** (1750 - 1800), Beirut, 1965, p. 144.

القيام بإجراءات اقتصادية جائرة في نظر كثير من سكان إمارته . ولأن ثروة الحضريّ ، عادة ، غير قابلة للنقل ، كالسكن والمتجر والمزرعة ، فقد كان عليه أن يصبر على بعض الجور ؛ إذ أن محاولة الهرب منه قد تفقده كثيراً من ممتلكاته . ولهذا فإن المصادر كثيراً ما وصفت أمراء نجد في تلك الفترة بالظلم والجور[1] . لكن رئيس القبيلة المختار للزعامة حسب مؤهلاته القيادية كان يحرص على أن تظل الثقة به موجودة في النفوس . فكان لا بد له من تحسين علاقته بأتباعه . وكانت ثروة البدويّ قابلة للنقل ، بل إن حياته ذاتها حياة تنقّل وترحال . وعلى هذا فإنه متى ما أحس بنوع من الجور فما عليه إلا أن يطوي خيمته ويسوق حيواناته ويرحل ، دون أن يعرّض ثروته لضرر كبير . وكان من السهل عليه دائماً أن يجد ترحيباً لدى قبيلة أخرى . وهذا ما أدركه كل من الرئيس والمرؤوس وكيّف علاقته بموجبه .

ولقد كان لعدم وجود سلطة مركزية مسيطرة على شؤون نجد قروناً عديدة ، وللظروف الاقتصادية الخاصة بها ، أثر واضح في نفوس سكانها بادية وحاضرة . فقد رسخت فيهم النزعة الاستقلالية المتمسكة بكيانات صغيرة ، وتعمّق لديهم الشعور السلبي تجاه الاندماج في كيان موحّد يستظلون بظلّه . ولعلّ مما يوضح ذلك أن المحاولات التي قامت بها الحركة الوهابية لصهر هذه الكيانات في بوتقة دولة واحدة استغرقت أكثر من أربعين سنة .

هكذا كانت نجد مكوّنة من قبائل رحّل مختلفة الأحجام والنفوذ ، ومن إمارات مدن صغيرة الحجم كثيرة العدد . وكان

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠ ؛ عبد الله الخاتم ، خيار ما يلتقط من الشعر النبط ، الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٩٦٧ م ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

النزاع بين قبيلة وقبيلة ، والخلاف بين إمارة وأخرى من الأمور المألوفة في حياة الفريقين : البدويّ والحضريّ على حد سواء . ومع أن تلك القبائل والإمارات كانت تختلف قوة وضعفاً فلم تكن هناك قبيلة أو إمارة بلغت من القوة درجة تجعل بقية القبائل أو الإمارات لا تستطيع تحدّيها بطريقة من الطرق . ومن هنا كان هناك نوع من التوازن العسكريّ الداخليّ في المنطقة .

وكان من بين الإمارات المشار إليها إمارتان على علاقة وثيقة بالحركة الوهابية ، فيما بعد ، وهما إمارة آل معمّر في العيينة وإمارة آل سعود في الدرعية . وكانت الأولى قد أيّدت تلك الحركة حتى دخلت مرحلة تطبيق مبادئها ، ثم حدث ما جعلها ترتبط بالثانية حتى بلغت ما بلغته من نجاح . ولعلّه من الصدف الغريبة أن تاريخ الإمارتين في بلدتيهما قد بدأ بسنة واحدة ، وهي سنة ١٤٤٦م . وقد مرت كلتا الإمارتين ، كما مرت بقية الإمارات النجدية ، بفترات نزاع أسريّ داخليّ وفترات ضعف وقوة . ولكن إمارة آل معمّر كانت أقوى إمارة نجدية من الناحيتين العسكرية والاقتصادية . وقد بلغت أوج عظمتها في عهد أميرها عبد الله بن معمّر الذي حكم ثلاثة وأربعين عاماً وتوفي سنة ١٧٢٥م[١] . ولعلّ من أسباب قوتها علاقتها الخاصة بزعماء بني خالد حكام الأحساء[٢] .

وكان التعليم في نجد محصوراً بالنسبة لعدد المتعلمين وبالنسبة للمواد المتعلَّمة . فقد كان معدوماً لدى البادية ، وكان قليلاً جداً لدى الحاضرة . ذلك أن انشغال الناس بالبحث عن لقمة العيش

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٢١٦ و ٢٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣١ . وكان لهذه العلاقة أثرها فيما بعد على مسيرة الحركة الوهابية .

وعدم وجود من يتولّى التعليم برعاية مالية كانا من الأمور التي حالت بين الغالبية العظمى من السكان وبين التعلم . وكان التعليم الموجود محصوراً في العلوم الشرعية ؛ خاصة الفقه الحنبلي . وكان المذهب الحنبلي هو السائد في نجد منذ القرن الرابع عشر . ولم يكن غريباً أن يجد هذا المذهب أرضاً خصبة في هذه المنطقة . فهو أقرب المذاهب السنيّة الأربعة إلى ظاهر نصوص القرآن والحديث ، وهو بهذه الصفة يمثّل البساطة إلى حد ما . وكانت البساطة من الأمور المحببة لدى الفرد النجديّ ، الذي كان أقل إخوانه من عرب الجزيرة العربية تأثراً بالخارج . ولقد عانى أئمة هذا المذهب ، كأحمد ابن حنبل وابن تيمية ، الشيء الكثير في سبيل ما كانوا يؤمنون به . وفي ذلك ما فيه من بطولة . وكان إعجاب النجديين بالبطولات أمراً واضحاً .

وكان تركيز التعليم على مادة الفقه منسجماً مع الهدف من التعلّم ، حينذاك ، وهو التأهيل للقضاء . وكان هناك اكتفاء ذاتي في هذا المجال . ذلك أن أكثر البلدان النجدية كان لها قضاتها . وكان أكثر أولئك القضاة يتحلّون بالنزاهة . ولذا كانوا موضع تقدير المجتمع. لكن قليلاً منهم لم يكونوا يتحلّون بما كانت تتحلّى به الأكثرية ، فكانوا محل نقد اجتماعي لاذع ، عبّر عنه كل من حميدان الشويعر وجبر بن سيّار في شعرهما[1] . ومن الواضح أن القضاء الشرعي كان خاصاً بحاضرة نجد . أما باديتها فكانت تتحاكم في مشاكلها إلى العرف والتقاليد الخاصة بقبائلها .

والصورة التي تتكون لدى الباحث من خلال مقارنته بين المصادر المختلفة أن الحالة الدينية في نجد قبل الحركة الوهابية لم تكن

(١) عبد الله الحاتم ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٠٤ ـ ١٢١ .

مشرقة على الإطلاق . فمع أن أهل الحاضرة كانوا يقومون بواجباتهم الدينية ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، فإن أكثر أهل البادية لم يكونوا يقومون بهذه الواجبات[1] . وكان هناك جهلة من هؤلاء وأولئك يمارسون أعمالاً شركية ويؤمنون بخرافات لا تتفق مع العقيدة الإسلامية[2] .

وهكذا كانت نجد في حاجة إلى قيام حركة إصلاح تنشر المعرفة بالدين ، وتحفز الناس على القيام بواجباته ، وتقضي على ما علق به من خرافات وبدع وممارسات لا تتفق مع تعاليمه ، كما تقوم بتوحيد القبائل والإمارات ، التي كانت علاقاتها عدائية،بصفة عامة ، في دولة واحدة يتحقق من خلالها الأمن والقوة .

وكانت نجد ، بظروفها الخاصة ، أنسب مكان لقيام مثل تلك الحركة ونجاحها . ذلك أن اعتناق حاضرتها للمذهب الحنبلي ، وعدم رسوخ المذاهب الصوفية لديهم ، مما يرجح استجابتهم لداعي الإصلاح الديني أكثر من غيرهم . وكان بعدها عن متناول أية سلطة مركزية قوية ؛ خاصة بالنسبة للدولة العثمانية ، مما يهيىء فرصة وقوف الحركة الإصلاحية على قدميها قبل أن تمتد إليها قوى تقضي عليها في مهدها . ومع أن عدم توحّدها كانت له سلبياته فإنه كان يحتوي على بعض الإيجابيات . ذلك أن الخلاف بين قبائلها وإماراتها قد يتيح لها ، حين تفشل في مكان معينّ ، أن تجد نجاحاً في مكان آخر غير بعيد عنه ، لأن الخلاف بين صاحب المكان الأول والثاني قد يدفع الأخير إلى الترحيب بمن رفضه الأول . وكان أن أتت الحركة ونجحت على يدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

---

(١) ابن غنّام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٠٨ ـ ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٧ ـ ٨ ؛ ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٩ ـ ٢٠ .

الشيخ حتى ارتباطه بآل سعود

كانت أسرة محمد بن عبد الوهاب تدعى آل مشرّف ، المنتمية إلى بني تميم . وكان لبني تميم دور قياديّ في حاضرة نجد . ذلك أن أمراء مدن عديدة ، من بينهم آل معمّر في العيينة ، كانوا من هذه القبيلة . على أن شهرة أسرة الشيخ محمد كانت في الناحية العلمية . والملاحظ أنه قد بدأ يبرز في هذه الأسرة علماء أجلاء منذ القرن السادس عشر[1] . وكان جد الشيخ ، وهو سليمان بن علي ، مرجع الإفتاء الديني في نجد وقاضي بلدة العيينة القوية . ثم خلفه ابنه عبد الوهاب في قضاء البلدة المذكورة . وكثرة العلماء في هذه الأسرة خلال تلك الفترة ترجح أنها كانت ميسورة الحال من الناحية الاقتصادية مما أتاح لها فرصة تعليم أبنائها .

وهكذا ولد محمد بن عبد الوهاب في أسرة علمية بادية الثراء . وكان مولده في بلدة العيينة سنة ١٧٠٣م. وكان لصفاته الذاتية ولمحيطه الأسريّ أثرٌ كبير في سرعة تحصيله العلمي[2] . ولقد أدرك ، وهو لا يزال شاباً ، أن التعليم في منطقة نجد لم يكن كافياً لإشباع طموحه ، فسافر إلى الحجاز ودرس في المدينة المنورة . وكان لأستاذه الشيخ محمد حياة السنديّ دور في مستقبل تفكيره ؛ إذ كان ذلك الشيخ من أشد المحاربين للبدع في الدين والتعصب للمذاهب . وحين عاد ابن عبد الوهاب إلى بلدته أكبّ على قراءة كتب ابن تيمية ؛ خاصة في مجال العقيدة . وبدأ يظهر معارضته لبعض ما كان يجري حوله ، لكن ذلك كان محدوداً في مداه وفي

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٢) من صفاته الذاتية ما ذكره ابن غنام (المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥) من تركه اللعب مع أقرانه من الأطفال ، وحفظه القرآن قبل بلوغه السنة العاشرة من عمره ، وبلوغه الاحتلام قبل إكمال اثنتي عشرة سنة .

تأثيره[1] . فرأى من الأجدى لـه أن يترك نجـدا لمواصلة دراسته خارجها، فاتجه إلى الأحساء والبصرة . وكانت أطول إقامة له خارج وطنه في المدينة الأخيرة[2] . وهنالك درس بعض العلوم على عدد من العلماء ، لكنه لم يكن طالب علم فقط وإنما تحوّل إلى داعية يصرّح بما كان يؤمن به ويجادل عنه[3] . على أن جـوّ البصرة ، بـظروفه السياسية والدينية ، لم يكن الجوّ المناسب لدعوة كدعوته . ولذلك تركها وعاد إلى نجد .

وكان أبوه ، عبد الوهاب ، قد اختلف مع أمير العيينة أثناء غيابه ، وانتقـل إلى بلدة حريمـلاء غير البعيـدة عنها ، فـالتحق به واستقرّ لديه . ثم بدأ دعوته في نجد . وكأيـة دعوة جـديدة عـلى المجتمع كان لها أنصار قليلون ومعارضون كثيرون في بداية الأمر . وكان ممن لم يوافقه على أسلوبه أبوه نفسه . كما كان أخوه سليمان من أشد المعارضين له في مبادئه[4] . وبعد وفاة أبيه ، سنة ١٧٤٠م، ازدادت حدة تعبيره النقدية لما حوله من أوضاع ، لكن أنصاره كانوا في ازدياد أيضاً . وكان من بين هؤلاء الذين اقتنعوا بصحة ما نادى به أمير العيينة عثمان بن معمّر . فانتقل ابن عبد الوهاب إلى بلدته عائداً إلى مسقط رأسه . وأبدى ذلك الأمير استعداده للتعاون معه في تطبيق أفكاره . وهنا بدأ الشيخ بتنفيذ ما كان ينادي به ، وقضى ، بمساعدة عثمان وبقية أنصاره في إقليم العارض ، على كل الأمـور التي كان يرى فيها خطراً على عقائد جهلة الناس[5] .

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠ .
(٢) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨ .
(٤) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٣٠ - ٣١ .

وكان واضحاً منذ البداية أن محمد بن عبد الوهاب يرى أن الإصلاح الديني لا ينفصل عن الإصلاح السياسي ، وأن الناحية السياسية ستستفيد من الناحية الدينية . ومن هنا كانت عبارته الأولى حين قابل الأمير عثمان : « إني أرجو إن قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله تعالى وتملك نجدا وأعرابها »[1] .

وفي هذه العبارة ، أيضاً ، توضيح لأمر آخر كان يدور في ذهن الشيخ ، حينذاك ، وهو أنه كان يرى منطقة نجد ، المفككة سياسياً وغير الخاضعة للدولة العثمانية ، مجال حركته المستقبلة .

وكان يتزعم المعارضة المحلية لدعوة ابن عبد الوهاب في تلك المرحلة بعض علماء الدين . لكن محاولاتهم القضاء عليها في مهدها فشلت . فاستعانوا بعلماء من خارج المنطقة ، لكن جهود هؤلاء ضدها فشلت أيضاً . ولذلك حاولت المعارضة سلاحا آخر ، فاتجهت لاستخدام قوة السياسيين وحثت الأمراء على محاربة صاحب الدعوة . وكان أنسب زعيم يمكن أن تستفيد منه المعارضة الزعيم الخالديّ حاكم الأحساء . وذلك لما كان له من قوة عسكرية ، ولما كان لمنطقته من أهمية اقتصادية لسكان العيينة ، ولما كان يوجد من ارتباط سياسي واقتصادي بين حكام الأحساء وآل معمّر[2] . وكان لاستجابة حاكم الأحساء لنداء المعارضة أثر في الضغط على عثمان ابن معمّر ليتخلى عن ابن عبد الوهاب ويطلب منه مغادرة بلدته . فغادر الشيخ تلك البلدة بعد أن دخلت دعوته مرحلة التنفيذ وأصبح له مؤيدون كثيرون في منطقة العارض كلها .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣ . ومن دلائل الارتباط السياسي غزو أمراء آل معمّر مع حكام الأحساء ، كما أن من دلائل الارتباط الاقتصادي ما ذكره ابن بشر ، هنا ، من وجود مزرعة لعثمان في الأحساء ، ودفع حاكم تلك المنطقة له مرتباً سنوياً .

ارتباط الشيخ بآل سعود والنتائج الوحدوية لذلك

وحين تقرر أن يترك محمد بن عبد الوهاب بلدة العيينة كانت الدرعية المكان المناسب لمقره الجديد . ذلك أن العلاقات بين هذه البلدة وبين حكام الأحساء كانت سيئة[1] . وكان من المتوقع أن يرحبوا بمن وقفوا منه موقف عداء ، لأنهم كانوا خصوماً لهم قبل ذلك . وكان كثير من أعيان البلدة مؤيدين لدعوة الشيخ . ومن بين هؤلاء إخوة أميرها وابنه عبد العزيز[2] .

وحين قابل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأمير محمد بن سعود في الدرعية أوصح له ما سبق أن أوضح لعثمان بن معمّر من تلازم الإصلاح الديني والإصلاح السياسي ، كما أوضح له أن نجدا ميدان مفتوح أمامه لكي يمارس فيه نشاطه . فكان مما قاله :

« أبشّرك بالعز والتمكين والنصر المبين . وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم ، فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد . وأنت ترى نجدا كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف وقتال بعضهم بعضا . فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك »[3] .

وقد اقتنع محمد بن سعود بذلك وأدرك أبعاده ؛ إذ اشترط على محمد بن عبد الوهاب ، مقابل مناصرته له ، أن لا يغادر الدرعية إلى جهة أخرى مستقبلاً[4] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
(٢) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .
(٣) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥ ؛ ابن غنّام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣ .

وكان اتفاق محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود سنة ١٧٤٤م بمثابة إعلان ميلاد دولة جديدة في المنطقة ، لها هدف معيّن ومباديء واضحة .

وما أن استقر الشيخ في الدرعية حتى بدأ مؤيدوه في البلدان الأخرى يفدون إليه ، بعضهم يستقر عنده وبعضهم يعود إلى بلاده لينشر الدعوة التي آمن بها . وفي خلال سنتين اتضح أن جهوده قد نجحت نجاحاً كبيراً . ذلك أن عدداً من بلدان العارض قد انضمت إلى الدولة الجديدة طواعية[1] . وكان من بين دوافع قادة بعض هذه البلدان في الانضمام إليها اقتناعهم بصحة دعوة الشيخ محمد ، التي قامت على أساسها هذه الدولة . لكن منهم من كانت لديه دوافع أخرى ، كالاستعانة بها على المعارضة المحلية في بلدته

وهكذا اختل ميزان القوى السياسية والعسكرية بالنسبة للكيانات النجدية لصالح دولة الدرعية الناشئة . وكان دراك هذه الدولة لتلك الحقيقة من بين الأسباب التي جعلتها تنتقل إلى مرحلة الصراع المسلّح مع خصومها . وكان من الأسباب ، أيضاً ، كثرة المهاجرين إلى الدرعية ، مما جعلهم يشكّلون عبئاً اقتصادياً عليها ، من ناحية ، ويسهمون في تشكيل جيش محارب ، من ناحية أخرى . يضاف إلى هذا وذاك ما كان يتعرّض له أنصار الدعوة في بعض البلدان النجدية من ضغط على أيدي الأمراء المعارضين لها

والواضح من كلام ابن غنّام ، المصدر الأول للحركة الوهابية ، أن بدء الصراع المسلح مع الخصوم كان رداً على عدوان قام به أحد أولئك الخصوم ؛ إذ هاجم دهام بن دواس ، أمير الرياض ، بلدة منفوحة التي كانت قد انضمت إلى دولة

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٨ ـ ٣٠ .

الدرعية[1] . وما ورد على لسان الشيخ نفسه في رسالته إلى العالم العراقي ، عبد الرحمن السويدي ، يؤيد كلام ذلك المؤرخ إلى حد ما ، حيث قال :

« وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة . وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكناً » .

لكنه من الواضح ، أيضاً ، أن دولة الدرعية ، بما تهيأ لديها من ظروف ، كانت ستحارب من يعترض انتشار نفوذها في نجد بالذات على أية حال .

وبدأ الصراع المسلّح بين دولة الدرعية وبين الإمارات والقبائل المخالفة لها في نجد . وكان النصر حليف هذه الدولة في أغلب الأحيان . ومع أن ما أشير إليه سابقاً من رسوخ النزعة الاستقلالية وتعمّق الشعور السلبي تجاه الوحدة لدى النجديين قد أخّر وحدة المنطقة سنين طويلة فإن النتيجة الحتمية قد تحققت في نهاية المطاف . ولم يحلّ منتصف العقد التاسع من القرن الثامن عشر إلا وقد أصبحت نجد بكاملها وحدة سياسية قوية .

وإذا كان هذا هو ما حدث للحركة الوهابية داخل منطقة نجد فماذا حدث لها في علاقاتها مع القوى والمناطق المحيطة بهذه المنطقة ؟ .

لقد كان هناك احتمالان للتدخل الخارجي ضد دولة الدرعية الناشئة : أحدهما من حكام الأحساء ، والثاني من أشراف الحجاز لما كان لهؤلاء وأولئك من نفوذ سابق في بعض أقاليم نجد . وكان تدخل حكام الأحساء أكثر احتمالاً لأن مركز الدولة الجديدة كان في

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦ .

إقليم العارض الذي كان النفوذ الخالديّ في بعض بلدانه واضحاً ولأن الأحساء من الناحية الجغرافية أقرب إلى ذلك الإقليم من الحجاز . وقد سبق أن أشير إلى ضغط زعيم بني خالد على عثمان ابن معمّر ليتخلّى عن مساعدة ابن عبد الوهاب . وكان منتظراً أن يتدخل ذلك الزعيم للقضاء على دولة الدرعية الجديدة منذ بداية أمرها . لكن من حسن حظ هذه الدولة أن حدث نزاع بين قادة بني خالد حول الزعامة . وكان من نتائج ذلك النزاع أن توفي زعيم هذه القبيلة ، سليمان بن محمد ، طريداً في إقليم الخرج بنجد عام ١٧٥٢م[1] . وقد أعطى تأخّر التدخل الخالديّ في شؤون نجد خلال تلك الفترة فرصة للدرعية لتقف على قدميها . وحين استقرت الأمور في الأحساء لزعيم خالديّ آخر ، عام ١٧٥٨م، كانت دولة الدرعية قد أرست قواعدها في المنطقة .

ومنذ العام المذكور أخيراً بدأ التدخل العسكريّ لزعماء بني خالد ، حكام الأحساء ، ضد الدولة الجديدة في نجد . لكن من الملاحظ أن ذلك التدخل لم يكن مستمراً ، وإنما كان يحدث على فترات يفصل بين بعضها حوالى عشر سنين أحياناً . وقد أبدت دولة نجد الجديدة صموداً قوياً ضد كل الهجمات الخالدية عليها . وكان محتماً أن يتغيّر ميزان القوة العسكرية بين دولة الدرعية وزعماء بني خالد مع استمرار صمود تلك الدولة ونجاحها . ولم تأت سنة ١٧٨٥م إلا وقد تبدّل موقف الدرعية من الدفاع إلى الهجوم . ولعلّ مما ساعدها على ذلك ، إضافة إلى توحيدها لنجد ، أن الخلافات الداخلية بين زعماء بني خالد عادت من جديد . وفي هذه المرة لم يجد الزعيم الخالديّ ، الذي ثار عليه أقاربه ، مكاناً يلجأ إليه أنسب من

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣ .

الدرعية ذاتها[1] . وهكذا بدأت جيوش الدرعية تغزو منطقة الأحساء . ولم ينته عام ١٧٩٣م إلا وقد دخلت هذه المنطقة المهمة تحت حكم قادة الدرعية[2] .

أما بالنسبة لعلاقة دولة الدرعية بأشراف الحجاز فكانت مختلفة نوعاً ما عن علاقتها بزعماء بني خالد . لقد عارض أولئك الأشراف الحركة الوهابية منذ بداية ظهورها ، لكن معارضتهم اقتصرت على الناحية المعنوية ولم تتجاوزها إلى أي إجراء مادي . فقد أفتى علماء مكة بانحراف محمد بن عبد الوهاب عن الدين الصحيح ومنعوا أتباعه من الحج سنين طويلة. لكن أشراف الحجاز لم يقوموا بأي غزو عسكري لنجد إلا بعد مرور أكثر من أربعين سنة على قيام دولة الدرعية الجديدة . والأسباب التي دعت إلى تأجيل تدخلهم العسكري ليست واضحة . لكن يبدو أنهم كانوا يظنون بأن المعارضة المحلية في نجد ، بمساعدة بني خالد ، ستكفيهم مهمة القضاء على الحركة الوهابية . وحين انهارت المعارضة النجدية وأوشكت الأحساء ذاتها على الدخول تحت حكم الدرعية أدرك أشراف الحجاز أنه لا بد من التدخل العسكري لئلا يمتد نفوذ الدولة النجدية الجديدة إلى بلادهم . وكان أن بدأوا غزوهم لها عام ١٧٩٠م[3] . لكن فرص نجاح هؤلاء الأشراف في تحقيق أي انتصار كانت غير واردة آنذاك . فكان أن فشلوا في هجومهم على نجد ، ثم فشلوا في دفاعهم عن الحجاز . ولعلّ مما زاد موقفهم حرجاً انضمام قبائل عسير إلى دولة الدرعية ، حيث أصبحت الحجاز محاطة من

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ؛ ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٣) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ١٤٥ ـ ١٤٨ .

أكثر جهاتها بمناطق تابعة لهـذه الدولـة . وفي خلال سنتي ١٨٠٤ و ١٨٠٥م انهارت مقاومة الأشراف وأصبحت الحجاز جزءاً من الدولة الوحدوية الجديدة .

ولم يقف نجاح دولة الدرعية عند هذا الحد ، وإنما امتد إلى مناطق أخرى من الجزيرة العربية وأطرافها ، فشمل أجزاء من اليمن وأجزاء من عمان وبلدان الخليج العربي الأخرى ، من بينها قطر . بل إن تلك الدولة نجحت في مدّ نوع من النفوذ لها على قبائل عربية في كل من العراق وسوريا . وكان من بين مظاهر ذلك النفوذ دفع بعض هذه القبائل الزكاة إليها [1] .

ولقد علمت الدولة العثمانية بالحركة الوهابية منذ بدايتها فلم تقم بأي إجراء عمليّ ضدها سنين طـويلة . وحين استـولت هذه الحركة على الأحساء وأصبحت حدودها متاخمة للعراق ، التي كانت ولاية من الولايات العثمانية ، وأصبحت تهدّد الحجاز ، التابعة لها من الناحية الرسمية والمهمـة لديهـا من الناحيـة المعنويـة ، تحركت للقضاء عليها . فأرسلت حملات من العراق ضدها . لكن الفشل كان مصير هذه الحملات . وحين دخلت الحجاز تحت نفوذ الحركة الوهابية ازداد تصميم الدولة العثمانية على القضاء عليها . وكان ما هو معروف لدى الجميع من نجاح الحملة التي قام بها محمد علي ، حاكم مصر ، ضدها ، والقضاء على دولتها عام ١٨١٨م. وبذلك انتهت أول تجربة وحدوية في تاريخ جزيرة العرب الحديث .

على أن القضاء على الحركة الوهابية عسكـرياً لم يقض عـلى مبادئها ، فظلت حيّة في نفوس أتباعهـا ؛ خاصـة في نجد ، حتى قامت لها دولة جديدة تمثلت فيها سمّي بالدولة السعودية الثانية . وقد

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

ضمّت هذه الدولة نجداً والأحساء وأجزاء أخرى من مناطق الخليج العربي . ثم ضعفت هذه الدولة نتيجة الانقسامات الداخلية في قيادتها وحلّت محلها في نجد إمارة آل رشيد . ومنذ بداية هذا القرن بدأ عبد العزيز بن سعود جهوده لتكوين دولة جديدة . ونجح أخيراً في توحيد أجزاء واسعة من جزيرة العرب مكوّناً بذلك المملكة العربية السعودية الحاضرة .

الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب

الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب [1]

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدة الأثر في مسيرة التاريخ الإسلامي الحديث . ومن هنا كان الاهتمام الكبير بكل ما يتعلق بصاحبها ، وكثرت الكتابات عن حياته ودعوته وما ترتب عليها من نتائج . بل إن نجاح هذه الدعوة أسهم في حفز همم بعض الكتّاب إلى التعمّق في دراسة شخصيات علمية سبقته زمناً ونادت بمثل أو بعض ما نادى به

والكتابات التي ظهرت عن الشيخ محمد مختلفة من حيث العمق والسطحية ، ومن حيث الإنصاف والتحيّز ، ومن حيث الجدّة وعدمها . والمؤمل أن تكون من نتائج هذا الأسبوع دراسات تجمع بين العمق والحياد والابتكار ، وألّا نجد الكثير منّا في نهاية الأمر يردّد مع الشاعر العربي القديم قوله :

ما أرانا نقول إلا معارا ... أو معاداً من قولنا مكرورا

لقد كتب الكثير عن حياة الشيخ محمد شاباً متعطّشاً للعلم أينما وجده ، وصاحب دعوة مصمّماً على بذل كل ما يكفل نجاحها ، وزعيماً مساهماً مساهمة كبيرة في توجيه أمور دولة فتية . كما كتب الكثير عن أصول دعوته وتأثيرها في مجتمعه وفي مجتمعات إسلامية أخرى

وبحثي المتواضع المقدّم إلى هذا الأسبوع لا يتطرّق إلى أي جانب من الجوانب السابقة بصفة تفصيلية مستقلة . لكنه محاولة لإيضاح ما تحتوي عليه رسائل الشيخ الشخصية من أهمية ، خاصة فيما يتعلّق بشخصيته والظروف المحيطة بدعوته .

(١) سبق أن ألقي هذا البحث في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي أقامته بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ١٤٠٠/٤/٢١ هـ . ونشر في مجلة الدارة ، العدد الثالث ، ١٤٠٢ هـ ، ص ص ٦٤ - ٩١ .

الرسائل من حيث الصحة :

من أهم الأمور التي ينبغي للباحث أن يعنى بها التأكد من صحة النص الذي يحاول دراسته . فما لم يصل إلى اقتناع علمي بصحة ذلك النص فإنه من العبث محاولة استخلاص النتائج منه . وهذا ما سأحاول لفت الأنظار إليه في مقدمة هذا البحث .

لقد عاش الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياة طويلة حافلة بنشاط مختلف النواحي . فمن المعروف أن حياته ، بصفته صاحب دعوة ومساهماً في توجيه دولة ، تقرب من ستين عاماً . وطول حياته وتعدّد جوانب نشاطه يجعلان المرء يتوقع أنه قد كتب رسائل شخصية كثيرة جداً . لكن ما أثر عن الشيخ من رسائل لا يتفق مع ذلك التوقع . وعلى هذا الأساس فإن الباحث يكاد يجزم بأن كثيراً من رسائله الشخصية قد ضاع .

وموقف حسين بن غنّام ، الذي يعود إليه أكبر الفضل في إيراد ما أثر من هذه الرسائل ، موقف يدعو إلى التأمل . فهو من ناحية قد أورد من رسائل الشيخ ما هو مختلف الطول والقصر من حيث المضمون . بل إنه في أحيان نادرة قد أورد شيئاً من رسائل خصوم الشيخ تمهيداً لتدوين ردّه عليها . لكنه من ناحية أخرى نصّ على أنه لم يدوّن كثيراً من أجوبة الشيخ عن بعض المسائل خشية الإطالة[1] . فهل عامل ابن غنام بعض رسائل الشيخ الشخصية معاملته لبعض أجوبته أم أنه لم يعثر إلا على تلك الرسائل التي أوردها في كتابه ؟ مهما يكن من أمر فإن ما أورده منسوباً إلى الشيخ يبدو صحيحاً .

على أن هناك مصادر أخرى نسبت إلى الشيخ رسائل قليلة غير

(١) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، طبعة أبي بطين، القاهرة، ج ١، ص ١٧٥.

التي ذكر ابن غنام . وقد جاءت هذه الرسائل ضمن القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الذي أفرده بعض الإخوة الكرام المهيئين لهذا الأسبوع لجميع الرسائل الشخصية المنسوبة إليه. وقد جعل هؤلاء الإخوة تاريخ ابن غنّام أصلاً قابلوا به وأضافوا إليه ما لم يرد فيه.

ولا شك أن ما قام به هؤلاء الإخوة يستحق الثناء والتقدير. وبمقدار ما يكون الجهد يأتي اهتمام الباحث بما عمل. ولهذا فإنه من المستحسن الوقوف عند بعض ما عمله أولئك الإخوة.

من دراسة القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد تبدو للمتأمل ملاحظتان:

الأولى : أنه يوجد اختلاف في بعض عبارات الرسائل المعدّة في هذا القسم وبين أصلها في تاريخ ابن غنّام دون الإشارة إلى مواضع الاختلاف . من ذلك مثلاً : رسالة الشيخ إلى علماء مكة المكرمة ، ورسالته إلى الشريف أحمد بن سعيد[1] .

والملاحظة الثانية : أن بعض الرسائل المضافة إلى ما ورد تاريخ ابن غنام ليس فيها ما يرجّح كونها من رسائل الشيخ نفسه . لنأخذ ـ مثلاً ـ الرسالة التي يقال إن الشيخ أرسلها إلى عالم من أهل المدينة . فهي لم ترد إلا في **الدرر السنية** . ولم يذكر اسم العالم الذي أرسلت إليه . ومن غير المرجّح أن يرسل الشيخ رسالة إلى عالم من علماء تلك البلدة دون ذكر اسمه . وبالإضافة إلى ذلك فإنه لم ينص فيها على أنها من الشيخ . والمتتبّع لرسائل الشيخ محمد يرى أنه يبدؤها بعبارة : من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان . لكن هذه الرسالة لا تبدأ بمثل هذه العبارة ، وإنما تبدأ بأسلوب يختلف تماماً عن أسلوب الشيخ المعتاد .

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٨ هـ ، ج ٥ ، ص ص ٤١ و ٣١٢ . وقارن ذلك بابن غنام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٨١ و ١١٤ .

وقريب مما سبق يمكن أن يقال عن تلك الرسالة التي يُدَّعى أن الشيخ بعثها إلى عبد الله الصنعاني ، فإنها لم ترد إلا في الدرر السنية ، ولم يُنَصّ فيها على اسم مرسلها . وإذا قورنت بالرسالة التي كتبها عبد الله بن الشيخ محمد عند دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبد العزيز يتضح أن هناك تشابهاً كبيراً بين أجزاء من الرسالتين من حيث الأسلوب والمضمون[1] . ولعلّ في هذا ما يرجّح أن الذي كتب الرسالة إلى الصنعاني هو الشيخ عبد الله بن محمد وليس أباه .

أما الرسالة التي يقال إن الشيخ محمداً بعثها إلى أهل المغرب فمن الواضح عدم رجحان كونها له ، وذلك لعدة أسباب :

الأول : ما قيل عن الرسالتين المنسوبتين إليه من حيث انفراد صاحب **الدرر السنية** بإيرادها ، وعدم النص فيها على اسم مرسلها .

الثاني : أنه من غير المحتمل أن يكون اهتمام زعماء الدعوة الإصلاحية النجدية بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى الوافدين إلى بيت الله الحرام . واستيلاؤهم على الحجاز لم يتمّ إلا بعد وفاة الشيخ محمد .

الثالث : وهو أهمها أن هذه الرسالة قد وصلت إلى تونس زمن الباي حموده باشا . وقد ذكرت المصادر التونسية وصولها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التي قام بها سعود بن عبد العزيز في الحجاز[2] . وهذا يتلاءم مع السبب الثاني وهو أن الاهتمام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودي في الحجاز . وعلى هذا

---

(١) انظر مؤلفات الشيخ . . . ، ج ٥ ، ص ص ١٠٠ - ١٠١ وقارنها بالدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبدالرحمن بن قاسم - جدة ١٣٨٥ هـ . ج ١ ، ص ١٢٧

(٢) انظر - مثلا - كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، لأحمد بن أبي الضياف ، ط ٢ ، تونس ، ١٩٧٩ م ، ج ٢ ، ص ٨٢ .

الأساس فإنه من المحتمل جداً أن تكون هذه الرسالة،أيضاً ، من كتابة الشيخ عبد الله بن محمد الذي كان مع سعود بن عبد العزيز عند دخوله مكة ، كما ذكر سابقاً .

وقد ورد في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ رسالة قيل إنها جواب منه عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه . وقد ذكرت هذه الرسالة في **مجموعة الرسائل والمسائل** ، إضافة إلى ذكرها في **الدرر السنية** . وأسلوبها مشابه لأسلوب الشيخ في كثير من كتاباته . لكن فيها ما يثير انتباه الباحث ؛ إذ وردت فيها عبارة :

« هو مضمون ما ذكرت في رسالتك أن الشيخ محمداً قرر لكم ثلاثة أصول[1] » .

وقد يبدو للمرء أن من كتب هذه العبارة لا بد أن يكون غير الشيخ محمد . لكن قد يكون الشيخ أورد نص العبارة التي كان قد كتبها من أرسلت إليه هذه الرسالة . وقد وردت في الرسالة ، أيضاً ، عبارة :

« هذا الذي يدعو إليه ابن عبد الوهاب »[2] .

ولو كان الكاتب لها تلميذاً للشيخ أو أحد أنصاره لكان من المرجّح أن يضع كلمة « الشيخ » قبل ابن عبد الوهاب . وتعبير الشيخ عن نفسه بابن عبد الوهاب موجود في رسائله[3] .

ومن ناحية أخرى فإن في هذه الرسالة ما يشير إلى أنها قد كتبت وعبد الله المويس لا يزال حياً :

« ومع هذا : يقول لكم شيطانكم المويس : إن بنيّات حرمة وعيالهم يعرفون التوحيد فضلاً عن رجالهم »[4] .

---

(١) مؤلفات الشيخ . . . ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

(٣) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٤) مؤلفات الشيخ . . . ، ج ٥ ، ص ١٧٣ .

لكن ورد فيها ما نصه :

« فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسبّ دين الله ؟ »[1] .

ولو فرض أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد حوالى سنة ١١٤٥ هـ فإن هذه الرسالة ـ حسب العبارة السابقة ـ تكون قد كتبت سنة ١١٨٥ هـ تقريباً . ومن المعروف أن المويس قد توفي قبل هذا التاريخ بعشر سنين[2] .

ومما سبق يتضح أنه رغم قلّة ما أثر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من رسائل شخصية فإن نسبة قليلة من هذا المأثور تحتاج إلى تدقيق وإعادة نظر .

أسلوب الرسائل :

إذا كان لأسلوب الكاتب دور في اكتشاف حقائق شخصيته فإن رسائله الشخصية أبلغ من كتاباته الأخرى في إلقاء الضوء على تلك الحقائق . ولعل أهم نقطة يلاحظها المتأمل في أسلوب رسائل الشيخ تمسّك كاتبها بالأصالة والبساطة . فأغلب هذه الرسائل يبدأ بمثل العبارة الآتية :

« من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وبعد » .

ومن الواضح أن هذا الأسلوب ينسجم انسجاما كاملاً مع المحيط العربي الذي كان الشيخ عائشاً فيه . ذلك المحيط الذي لم يشهد حينذاك غزو المؤثرات الأجنبية . وهو في نفس الوقت يتفق اتفاقاً تاماً مع أساليب السلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية . وفي ذلك ما يوضّح رغبة الشيخ في تتبع خطى أولئك السلف في هذا المضمار .

---

(١) المصدر نفسه الصفحة ذاتها

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، طبعة ٢ لوزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ ، ج ١ ، ص ص ٥٤ ـ ٥٥ .

لكن بالرغم من أن التمسك بالأصالة والبساطة كان الصفة الغالبة في أسلوب الشيخ فإنه كان ، فيما يبدو ، على استعداد للتنازل قليلاً عن هذا التمسّك إذا كان يظن أن في التنازل مصلحة عامة لدعوته . فهو ـ مثلاً ـ كان يدرك مكانة علماء مكة ومدى تأثيرهم سلباً أو إيجاباً في مسيرة الدعوة . ولذلك خرج أسلوبه في رسالته إليهم عن أسلوبه المعتاد في كثير من رسائله . فجاءت ديباجتها مشتملة على نوع من السجع المتكلّف :

« من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام . نصر الله بهم سيّد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، وتابعي الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[1] .

وكان ، أيضاً ، يقدّر مكانة حاكم تلك المدينة المقدسة وتأثيره الإيجابي لو تعاون مع دعوته . ولذلك بدأ رسالته إليه بعبارات تدلّ على نوع من المهارة في المجاملة اللبقة . فلم يتوقف به الأمر عند التفخيم والدعاء بالعزّ في الدارين بل تجاوزه إلى الإشارة الذكيّة بأن الشريف بصفته النَسَبية أولى بنصرة الدعوة :

« بسم الله الرحمن الرحيم المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزّه الله في الدارين ، وأعزّ به دين جدّه سيد الثقلين أن الكتاب لما وصل إلى الخادم ، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن ، رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييده الشريف »[2] .

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٠ . ويلاحظ أن كلمة «حضرة» بمعناها ، هنا لم ترد في كتابات الشيخ إلا في موضوعين : إحداهما في هذه الرسالة ، والثاني : في رسالته إلى السويدي في العراق . ولعل السبب في استعماله لها في هذين الموضعين فقط اعتقاده إن التأثير بهذا النوع من الأسلوب واضح في القطرين الحجازي والعراقي .

والشيخ إذ يؤمل انضمام رئيس قبيلة كبيرة إلى دعوته يضيف في أول رسالته إليه ما يعتقده من عوامل التأثير . فهو حين كتب إلى زعيم إحدى القبائل في الشام قال :

« من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد . زاده الله من الإيمان وأعاذه من نزغات الشيطان . . أما بعد : »[1] .

وإذا كان المتأمل في أسلوب الشيخ يرى تمسّك صاحبه بالأصالة والبساطة فإنه يلاحظ من خلاله ، أيضاً ، ذكاءه ومحاولته الاستفادة من كل ما يراه مفيداً لمصلحة دعوته . فبالإضافة إلى ما تقدم نراه حين يحاول كسب أهل منفوحة والرباض عن طريق قاضي الدرعية يصفه في رسالته إليهم بقوله :

« إن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه »[2]

مع أنه يخاطبه في رسالة أخرى بقوله :

« أنتم ومشائخكم لم يفهموا دين الإسلام ولم يميّزوا بين دين محمد صلّى الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحيّ »[3].

ومن ذلك ، أيضاً ، إثارة النخوة في نفس المخاطب . فهو يحاول إقناع محمد بن عبد بقوله :

« إن لك عقلاً ، وإن لك عرضاً تشحّ به ، وإن الظن فيك إن بان لك الحق انك ما تبيعه بالزهايد »[4] .

ويستثير همم أهل شقراء ضد خصوم الدعوة بقوله :

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥١ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

« والله العظيم إن النساء في بيوتهن يأنفن لكم ، فضلا عن صماصيم بني زيد »[1].

بل إن حبّه لنجاح دعوته جعله يقوّي عامل الأمل على بادرة اليأس . فهو يخاطب عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي بقوله :

« ما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر ، رضي الله عنه ، في أوله »[2].

قال ذلك مع أنه كان ، فيما يبدو ، يئسا من استجابته له حيث يقول في نفس هذه الرسالة :

« وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة إلى الله لأحصل ثواب الداعين إلى الله ، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه ، وأنه عندكم من أنكر المنكرات »[3].

ومما يلاحظه المتأمل في رسائل الشيخ اتصافه في حالات قليلة بنوع من الحدّة . وهو أمر ذكره عن نفسه في رسالته إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب[4]. وكانت هذه الحدّة تظهر ، عادة ، في التعامل مع خصم نشط الحركة ، أو عدو يبدو الأمل في إقناعه ضعيفاً جداً . فالشيخ ، مثلاً ، يبدأ رسالته إلى خصمه اللدود سليمان بن سحيم بالعبارة التالية :

« الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك أزعجت قرطاسة فيها عجائب . فإن كان هذا فهمك فهو من أفسد الأفهام »[5].

---

(١) مؤلفات الشيخ . . . ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ .
(٢) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٥٣ - ٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
(٥) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

ويخاطبه فيها بقوله :

« صاير لكم عند خامة في معكال ، قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء » . . وقوله : « أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله »[1] .

ويعبّر الشيخ عن انفعاله ، أحياناً ، بأسلوب تهكمي لاذع . فهو يصوّر عبد الله المويس بصورة من يقول :

« اعرفوني اعرفوني تراي جاي من الشام »[2].

وأحياناً لا يذكر اسمه ، وإنما يرمز إليه « بصاحب الشام » أو « شاميكم »[3] .

وأسلوب الشيخ في رسائله الشخصية متقيّد ، على العموم ، باللغة الفصحى وقواعد إعرابها . لكنه في أحيان قليلة يخرج عن هذا التقيّد،فترد فيه عبارات أو كلمات يمكن أن تعتبر لغة عامة . وهذا الأمر شائع في رسائل الشيخ إلى النجديين بصفة خاصة . ففي رسالته إلى محمد بن عبّاد وردت عبارة :

« تذكر أن ودّك نبين لك ان كان فيها شيء غاترتك »[4] .

وفي رسالته إلى عبد الله بن سحيم يقول :

« فلما غربلك الله بولد المويس » . . . « لا وجه سميح ولا بنت رجال »[5] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٣٨ و ١٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١١٩ - ١٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٤ . «غاترك» خاف عليك .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٠٢ و ١١٦ . غربلك : أصابك وابتلاك . « لا وجه سميح ولا بنت رجال » : مثل معناه . مشابه للمثل الشهير « أحشفا وسوء كيلة » .

ورسائله إلى قاضي الدرعية وابنه أكثر احتواء من غيرها على مثل هذه التعبيرات . بل إن هـذه التعبيرات هي الصفـة الغالبـة فيها[1] .

الرسائل والظروف المحيطة بالدعوة

١ ـ الحالة الدينية في نجد عند ظهور دعوة الشيخ

أ ـ الحالة لدى الحاضرة : ـ

تحدّث ابن غنّام وابن بشر وغيرهما من أنصار دعـوة الشيخ محمد عن الحالة التي كان يعيشها النجديون قبيل بدء هذه الدعوة . وقد أعطى هؤلاء صورة قاتمة عن تلك الحالة . لكن ابن بشر نفسه أشـار إلى وجود علماء نجـديين كـانوا يتّصفـون بصفـات جليلة . والدارس لما كتبه أولئك العلماء ؛ مثل المنقور ، يرى وضوح تلك الصفات فيهم . والمتأمل في سوابق ابن بشـر يلاحظ أن حـاضرة نجد ، على الأقل ، كانت بصفة عامة تقوم بالواجبات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج . وما ورد من شعر تلك الفترة ؛ كشعر جبر بن سيّار ورميزان بن غشّام وحميدان الشويعـر ، لا يتفق مع الصورة القاتمة التي تصف بها بعض المصادر حالة نجد حينذاك . ومع ذلك فإن مـــا ورد في رسائل الشيخ محمد يسهم إسهاماً كبيراً في إيضاح كثير من جوانب الحالة الدينية في نجد قبيل بدء دعوته .

من المعروف أن قضية الاعتقاد بالأولياء أو من تعتقد ولايتهم كانت من الأمور المهمة التي قام حولها نقاش حاد بين الشيخ محمد وخصـومه . ورســائله الشخصية حـافلة بـالحـديث عنهـا من عـدة جوانب . فهي تحتوي على أسماء تذكر أن بعض النجـديين كـانوا

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

يعتقدون بأصحابها . ومن هذه الأسماء شمسان وإدريس وتاج [1] وتذكر الرسائل أن مما كان يفعله أصحاب هذه الأسماء أخذ النذور من الناس [2] . كما تذكر ، أيضاً ، أسماء بعض من كانوا يعتقدون بأولئك الأشخاص [3] . ويستفاد من رسائل الشيخ أن هذه الأمور كانت متوافرة في مناطق نجدية دون أخرى . فمنطقة العارض وما يليها جنوباً ؛ خاصة الخرج ، كانت متأثرة بها . بينما كانت منطقة القصيم ، مثلاً ، خلاف ذلك . فقد ذكر الشيخ في رسالته إلى عبد الله بن علي ومحمد بن جمّاز أن « أهل القصيم غارّهم أنِ ما عندهم قبب ولا سادات » . . لكنه كان يأخذ عليهم عدم معاداتهم لأهل الشرك [4] .

ورسائل الشيخ توضح موقفه ممن يرضون باعتقاد الناس بهم ، ويأخذون النذور ، غاية التوضيح . فقد كان يكفّرهم . وغالباً ما وصفهم بالطواغيت . لكنه ، أحياناً ، يصفهم بصفات أخرى مثل : المردة ، الشياطين أو الكلاب [5] .

ومما يتعلق بالقضية السابقة موضوع التصوف . ومن المعروف ، أيضاً ، معارضة الشيخ للتصوف أو لبعض أنواعه على الأقل . ولعل من أطرف إشارات معارضته له لمزه لخصمه عبد الله المويس بأن أحد مشائخه كان متصوفاً ، وكان يلقب بلقب العارف

---

(1) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢١٦ و ٢٢٦ . ويلاحظ أن الشيخ أحياناً يقول : أولاد شمسان وأولاد إدريس (المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٦) . وأحياناً يقول : شمسان وأولاده (المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢ . أو يقول : محمد بن شمسان (المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(2) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١ .

(3) مثل طالب الحمض . المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٠ ، ١٥٤ و ١٥٦ .

(4) مؤلفات الشيخ . . . ، ج ٥ ، ٢٣٢ .

(5) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٧٨ و ٢١٧ .

بـالله [١](١) ومما يتـوقعـه المرء خلوّ محيط مثـل المحيط النجـدي ، حينذاك ، من المذاهب الصوفية . لكن رسائل الشيخ تشير إلى وجود أفراد متصوفة على مذهب ابن عربي وابن الفارض ؛ مثل ولد موسى ابن جوعان وسلامة بن مانع [٢] . وأفراد مغمورون كهذين الرجلين من الغريب أن تكون بينهم وبين مذهب فلسفي في نزعته أية صلة . لكن إذا سلّم بصحة ما ورد في رسالة الشيخ فإنه يلاحظ انحصار ذلك الأمر في معكال التي تكوّن جزءاً من مدينة الرياض الحالية .

وتشير رسائل الشيخ ، أيضاً ، إلى أن سليمان بن سحيم كان يـذهب لحضور المـولد ويقـرؤه على النـاس ، وأنه يكتب الحجب المشتملة عـلى الطلاسم [٣] . وكـان سليمـان من سكـان معكـال المذكورة سابقاً .

وعبارة الشيخ لا تنص على حدوث الاحتفال بالمولد في نجد . وهي على أية حال الإشارة الوحيدة من الشيخ وغيره التي تـوحي بحدوث هذا الأمر في المنطقة .

ومن الأمور التي ناقشتها رسائـل الشيخ والمتعلقـة بالتصـوف والأولياء مسألة كتابي **دلائل الخيرات** [٤] ، **روض الرياحين** [٥] . ويفهم من النقاش حولهـما أنهما كانـا من الكتب المقروءة في نجـد حينذاك . وقد ادّعى سليمان بن سحيم في رسالته التي بعثها إلى

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٧ .
(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٤٠ .
(٤) دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ، تـأليف محمد الجزولي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ .
(٥) روض الرياحين في حكايات الصالحين ، تأليف عبد الله اليافعي اليمني المتوفى سنة ٧٦٨ هـ .

العلماء خارج هذه المنطقة أن الشيخ أحرقها [1] . وقد نفى الشيخ في رسالته إلى السويدي إحراقه للكتاب الأول ، وذكر أن سبب ما روّج عنه حول هذا الموضوع أنه أشار على من قبل نصيحته ألاّ يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله ، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن [2] . كما نفى ابن غنّام إحراق الشيخ لكتاب روض الرياحين [3] . وقد يبدو للبعض نوع من الغرابة في تعليل الشيخ لما أشيع عنه حول كتاب دلائل الخيرات . ذلك أن الإحراق شيء والنصيحة بألاّ يصير في قلوب الناس أجلّ من كتاب الله شيء آخر . ومن الملاحظ أن الإمام الصنعاني قد مدح الشيخ بقوله :

وحرّق عمداً للدلائل دفترا   أصاب ففيها ما يجلّ عن العدّ

ولم يعلّق ابن غنام وابن بشر اللذان أوردا هذا البيت في تاريخهما بأي شيء عليه [4] . كما يلاحظ أن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حين تكلم عن الدعوة قال :

« ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات أصلاً إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين » [5] .

ب - حالة البادية :

وتشير رسائل الشيخ محمد إلى مسألة في غاية الأهمية وإن لم تكن من المسائل التي كثر النقاش حولها بين أنصار الدعوة

---

(1) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ۱ ، ص ۱۱۲ .
(2) المصدر نفسه ، ج ۱ ، ص ۱٥۳ .
(3) المصدر نفسه ، ج ۱ ، ص ۱۲۹ .
(4) المصدر نفسه ، ج ۱ ، ص ٤۷ ؛ ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ۱ ، ص ٦۹ .
(5) الدرر السنية ، ج ۱ ، ص ۱۲۷ .

وخصومها . فالشيخ يذكر أن كثيراً من أبناء البادية كانوا لا يمارسون الواجبات الدينية ، بل إن كثيراً منهم كانوا لا يؤمنون بقضية مهمة من قضايا العقيدة وهي البعث بعد الموت . ففي رسالته إلى محمد ابن عيد يقول :

« ومن المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم . . . ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من مائة ناقض » [1] .

وفي رسالته إلى سليمان بن سحيم يقول :

« ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقرّ به ، وأن الذي يعرف الدين أقلّ ممن لا يعرفه ، والذي يضيّع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها ، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها » [2] .

وإذا علم أن البادية حينذاك كانت تشكّل قسماً كبيراً من سكان هذه المنطقة أدركت خطورة هذه المسألة . ولقد كان حدوث مثل هذا الأمر متوقعاً لسيادة الجهل الديني لدى هؤلاء ، كما تشير إليه عبارة الشيخ الأخيرة ، ولعدم وجود سلطة مهتمة بهذا الموضوع .

ولعل هذا هو السبب الأساسي في توقف الشيخ في الحكم على من اتصفوا بالصفات المذكورة في بداية دعوته ، كما ذكر ابن غنام [3] . لكن لا بد أن ذلك لم يدم حين توافرت فيهم الشروط التي ذكرها الشيخ في رسالته إلى أحمد بن إبراهيم :

---

(١) ابن غنام،المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٤ .
(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

« تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كلّه ، وتبرأوا من الدين كله ، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث ، وفضّلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها مع إقرارهم أن محمداً رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر. لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عناداً » [1] .

٢ـ بدء الدعوة في نجد :

من المعروف أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد قبل وفاة أبيه سنة ١١٥٣ هـ . فقد ذكر ابن بشر أن الشيخ أقام على الدعوة مدة سنين حتى توفي أبوه [2] . وهذا يعني أن الدعوة قد بدأت سنة ١١٥٠ هـ أو قبل ذلك لأن أباه توفي سنة ١١٥٣ هـ . ومن هنا فإن كلامه لا يحدّد السنة التي بدأت فيها الدعوة . وليس في رسائل الشيخ ما يفيد إفادة كاملة في هذا التحديد ، لكن فيها ما يلقي بعض الأضواء . فقد وردت في رسالته إلى عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي عبارة :

« اجتمعت بك من نحو عشرين » [3] . وذلك حسب كتاب ابن غنام . لكن قد ذكر في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ أن هذه العبارة وردت في بعض النسخ :

« اجتمعت بك من نحو عشر سنين » [4] .

وواضح أن العبارة في هذه النسخة تبدو أصح من العبارة الواردة في تاريخ ابن غنّام . وإذا سُلّم بصحتها فإن الشيخ كان في

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٢) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١ .
(٣) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٠ .
(٤) مؤلفات الشيخ . . . ، ج ٥ ، ص ٢٥٠ .

الأحساء قبل كتابته لهذه الرسالة بعشرة أعوام . فمتى كتبت هـذه الرسالة ؟ .

ليس هنالك نص محدّد في تاريخ ابن غنّام على زمن أو مكان كتابتها ، لكن المتأمل في رسـائل الشيـخ يمكنه أن يستنتـج بعض الأمور التي قد تساعد في هذا الموضوع . فقد ذكر الشيخ في رسالته إلى عبد الله أنه تألم لكتابته مع أهل الأحساء ضده [1] . وذكر في رسالتيه اللتين بعثهما من العيينة إلى عبد الله بن عيسى وابنـه عبد الـوهاب أنهما كـانا يستهـزئان بجـواب ابن فيروز ، وأن أمـر عبد الوهاب أشق عليه من أمر أهل الأحساء [2] . فإذا كان عبد الله بن عبد اللطيف قد كتب مع أهل الأحساء ، وكانت كتابتهم حين كان الشيخ في العيينة فإنه من المرجّح أن تكون رسالة الشيخ إليـه قد كتبت في هذه البلدة . لكن إذا كان من المعروف متى سافر الشيخ من العيينة إلى الدرعية فإنه من غير المعـروف يقيناً متى قـدم من حريملاء إلى العيينة . فقد يكون قدومه إليها بعـد شهور من وفـاة أبيه ، وقد يكون بعد سنة أو سنتين . وإذاً فإنه من المحتمـل أن تكون إقامتـه في العيينة بـين سنتي ١١٥٣ و١١٥٧ هـ وعلى هـذا الأساس فإن رسالته المذكورة تكون قد كتبت في هذه الفترة ، ويكون اجتماعه بعبد الله بن عبد اللطيف في الأحساء خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١١٤٣ و١١٤٧ هـ . وبما أن الشيخ لم يطل الإقامة في الأحساء،على الأرجح ، فإن وصوله إلى نجد من أسفاره خـارجها كان ، أيضاً ، في الفترة المذكورة . ومعلوم تاريخياً أنه بدأ دعوته في حريملاء بعد وصوله إليها مباشرة .

ولا شك أن معارضة بعض علماء نجد للشيخ قد بدأت منذ

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

بدئه بالدعوة . وقد ذكرت المصادر الأصلية حدوث المعارضة له قبل وفاة أبيه . وفي رسائله ما يؤيد ذلك . فقد جاء في رسالة له من العيينة أن عبد الوهاب بن عيسى كان يعمل ضد الدعوة منذ أكثر من خمس سنين [1] . وذلك يعني أن معارضته قد بدأت منذ سنة ١١٥٢ هـ على الأقل .

٣-أسلوب الدعــوة :

تبين رسائل الشيخ أن من أساليب نشر دعوته مراسلة من كان يعتقد تأثيرهم على الناس ؛ سواء من أمراء المنطقة أو علمائهـا ، وإجاباته عن أسئلة من كتبوا إليه يستفسرون عن حقيقة هذه الدعوة أو جانب من جوانبها [2] . ومن بين تلك الأساليب ، أيضاً ، ما كان يقوم به الأنصار والدعاة في البلدان النجدية المختلفة من شرح للدعـوة أو مجادلـة لخصومهـا . فكان ابن عيـدان ، مثـلاً ، أحـد المدافعين عنها في الوشم [3] . وكان موسى بن سليم يقرأ رسالـة كتبها الشيخ وعلّق عليها أحد خصومه معترفاً بصحة ما فيها في عدة بلدان من إقليم العارض [4] . وكان ابن صالح يجادل سليمان بن سحيم في مجلس زعماء من بلدة الرياض [5] .

وفي رسائل الشيخ ما يؤيد قول ابن غنام من أنه كان في بداية

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
(٢) هذا الأمر واضح في أكثر رسائله . ويبدو أن هذا الأسلوب قد حقق نجاحاً طيباً ، كما كانت الحال بالنسبة لقاضي الدرعية الذي ذكر أنه كان من أكبر أسباب قبـول الناس للدين . انظر ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤١ .

أمره يدعو معارضيه بأسلوب هادىء . فهو يقول في رسالته إلى أحمد ابن يحيى :

« هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام . . . وكاتبناهم ، ونقلنا لهم العبارات ، وخاطبناهم بالتي هي أحسن وما زادهم إلا نفورا » [1] .

ويقول عن عبد الله المويس أيضاً :

« استدعيته أولاً بالملاطفة ، وصبرت منه على أشياء عظيمة » [2] .

ويبدو أن هذا الأسلوب الليّن كان متبعاً في مرحلة مبكرة جداً من نشاط الدعوة . وكان اتخاذه في البداية ضرورياً لعدة أسباب منها ما يتوقعه المرء من أن المعارضة في بداية الأمر لم تكن عنيفة جداً لأن الدعوة حينذاك لم تكن قد حققت من النجاح ما يشعر معارضيها بالخطر ، ويدفعهم بالتالي إلى انتهاج أسلوب قوي ضدها . وإذا سلّم بذلك فإنه كان من المتوقع ، أيضاً ، أن يكون موقف صاحب الدعوة تجاههم غير شديد . ومنها أن الشيخ كان يأمل في اجتذاب بعض المعارضين إلى جانبه . والأسلوب الليّن من عوامل كسب الآخرين . ومنها أن الشيخ كان يحس بغرابة بعض ما كان يدعو إليه لدى مجتمعه . ومن هنا كان لا بد من انتهاج أسلوب اللين ـ مرحلياً على الأقل ـ لئلا يكون رد الفعل في غير صالح الدعوة .

يقول الشيخ في إحدى رسائله :

« لولا أن الناس إلى الآن ما عرفوا دين الرسول ، وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه لكان شأن آخر . بل والله الذي لا إله إلا

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

هو لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحلّ دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم »[1] .

ومن المعروف ، بطبيعة الحال ، أن زعماء الدعوة حين رأوا الظروف مناسبة اتخذوا أهم أسلوب من أساليب نشرها ، وهو الجهاد .

٤ - المعارضة النجدية :

واضح من رسائل الشيخ أن دعوته لقيت معارضة شديدة من قِبَل بعض علماء نجد . فالمتتبع لها يلاحظ أن أكثر من عشرين عالماً أو طالب علم وقفوا ضدها في وقت من الأوقات . ويأتي في مقدمة هؤلاء المعارضين عبد الله المويس من حرمة وسليمان بن سحيم من الرياض .

ويستفاد من هذه الرسائل أن معارضي الشيخ من النجديين كانوا مختلفي المواقف . فمنهم من عارضه منذ البداية واستمر في معارضته[2] . ومنهم من كان يعترف في بداية الأمر بأن ما جاء به الشيخ أو بعضه حق ، لكنه غيّر موقفه مع مرور الزمن[3] . ومنهم ، أيضاً ، من كان متأرجحاً في تأييده ومعارضته[4] . وتوضح الرسائل أن النجديين المعارضين أعطوا أسماء مختلفة لما تضمنته الدعوة . قالوا عنه : دين أهل العارض[5] . وقالوا : إنه مذهب

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) من هؤلاء المويس .

(٣) مثل ابن سحيم .

(٤) مثل عبد الله بن عيسى .

(٥) ابن غنام،المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٧

خامس[1] ، كما ادّعوا أنه بدعة خرج أول ما خرج من خراسان[2] .

ويبدو أن أسباب معارضة أولئك النجديين للدعوة كانت متعددة ورغم توافر بعض الأسباب لدى الجميع فإن بعضها قد توافر عند شخص دون آخر . ومن غير العدل إهمال جانب الاقتناع الشخصي لدى فريق من هؤلاء بعدم صحة بعض ما كان يدعو إليه الشيخ . كما أنه من السطحية عدم ملاحظة تغيّر موقف البعض طبقاً لانتقال الدعوة من مرحلة إلى أخرى ومناداتها بأمور لم تكن تنادي بها ، أو تطبيقها أموراً لم تكن تطبقها في بداية الأمر . ولعل أوضح دليل على ذلك ما ذكره الشيخ نفسه في إحدى رسائله حيث قال :

« صدّقني من يدّعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد وفي نفي الشرك وردّوا عليّ التكفير والقتال »[3]

وقوله في رسالة أخرى :

« إنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال لكانوا على دين الله ورسوله »[4] .

ومن المعروف أن قتال أصحاب الدعوة لخصومهم لم يحدث في أول بدايتها .

ويعطي الشيخ في إحدى رسائله سببين أساسيين لتغيّر موقف العلماء من الاعتراف بصحة الدعوة إلى مناوأتها :

الأول : أن العامة ستقول إذا كان ما يدعو إليه الشيخ هو

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٠٢ و ١١٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

الحق فلِمَ لَم تدعونا إليه قبله ؟ وعدم سؤال العامة لهم عنه لا يبرّر سكوتهم . وهذا يمكن أن يقال عنه بعبارة أخرى : إن هؤلاء المعارضين خافوا أن يفقدوا مكانتهم الاجتماعية لأن الناس سيتساءلون عن علمهم وإخلاصهم . فإن كانوا لم يعرفوا الحكم قبل الشيخ فعلمهم قليل . وإن كانوا علموا الحكم وأخفوه فإخلاصهم مفقود . وفي كلتا الحالتين إضعاف لمكانتهم .

والسبب الثاني : لتغير موقفهم في نظر الشيخ إنكاره عليهم السحت والرشوة [1] .

ومن الممكن قبول السبب الثاني من تعليل الشيخ السابق ، لأن هذا الموضوع كان بطريقة ما بين المسائل التي ذكرها ابن سحيم في رسالته الموجهة إلى العلماء خارج نجد ليقفوا ضد الدعوة [2] . لكن السبب الأول من التعليل لا يمكن قبوله دون تحفّظ . فلو كان سليمان بن سحيم وأمثاله يرون أن اعترافهم بصحة الدعوة قد يهزّ من مكانتهم الاجتماعية لما اعترافوا بصحتها منذ البداية . ولعل السبب الأساسي في تغيّر موقفهم انتقال الدعوة من طور إلى آخر مختلف نوعاً ما .

وتشير الرسائل ، أيضاً ، إلى أن تغيّر موقف بعض المعارضين النجديين كان نتيجة تأثير البعض الآخر ، مثلما حدث بالنسبة لتأثير المويس على عبد الله بن سحيم [3] . كما تشير إلى أن عدم انضمام بعض علماء نجد إلى الدعوة ناتج عن عدم القدرة على إقناع الأمراء بها [4] .

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١١٩ و ١٦٢ .

وتبينّ الرسائل أن نشاط المعارضة النجدية للدعوة كان مختلف الجوانب . وفي مقدمة أوجه النشاط الكتابة ضدها . والمتأمل في هذه الرسائل يرى كثرة تلك الكتابة ، وإن كان من المتوقع أن أغلبها لم يكن طويل المحتوى . ويأتي في طليعة هؤلاء الكتاب المعارضين سليمان بن سحيم وعبد الله المويس وسليمان بن عبد الوهاب . ومن الجدير بالذكر أن بعض ما كتبه المعارضون النجديون ـ باستثناء الأخير من الثلاثة المذكورين ـ يكاد يكون مفقوداً . ولا شك أن أصول كتاباتهم لو وجدت لكان ميل الباحث إلى اعتمادها أعظم . لكن رسائل الشيخ ، على أية حال ، تلقي أضواء على بعض مضامين تلك الكتابات . فقد ورد في هذه الرسائل أن سليمان بن سحيم كتب أربعة أشياء :

أولها : تلك الرسالة التي بعثها إلى العلماء خارج نجد والتي أورد ابن غنّام نصها في تاريخه [1] . وقد أورد فيها كاتبها خمس عشرة مسألة اعتبرها مآخذ على الشيخ .

ثانيها : رسالة وصلت إلى عبد الله بن سحيم . وقد ذكر الشيخ في رسالته إلى عبد الله أنها تحتوي على أربع وعشرين مسألة [2] . وهي وإن اشتملت على بعض ما جاء في رسالة سليمان إلى العلماء خارج نجد إلا أنها لا تحتوي عليها كلها ، كما يتضح من جواب الشيخ . وهي ، أيضاً ، تشتمل على مسائل لم ترد في رسالة سليمان المذكورة أولاً [3] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١١١ ـ ١١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١١٣ ـ ١٢٢ . ويلاحظ أن ابن غنّام أورد رسالة الشيخ على أنها ردّ على رسالة سليمان الموجهة إلى العلماء خارج نجد .

(٣) قارن ما جاء في الرسالتين في المصدز نفسه ، ج ١ ، ص ص ١١١ ـ ١١٣ و ١١٣ ـ ١٢٢ .

ثالثها : رسالة أشار إليها الشيخ في رسالته إلى سليمان بقوله : « انك أزعجت قرطاسة فيها عجايب » [1] .
وما ناقشه الشيخ في هذه الرسالة يوضح أن رسالة سليمان أو قرطاسته المشار إليها هنا غير الرسالتين السابقتين [2]

رابعها : أوراق ذكر الشيخ أنه وقف عليها . ومضمونها مختلف عمّا جاء في الكتابات المذكورة سابقاً [3] .

أما المويس فقد أشار الشيخ في رسالته إلى عبد الله بن سحيم إلى أنه ألّف كتاباً بعثه إلى أهل الوشم ، وقال : إنه مشتمل على ثلاثة موضوعات :

الأول : علم الأسماء والصفات أو العقائد .

الثاني : التوحيد والشرك .

الثالث : الاقتداء بأهل العلم .

وقد ناقش الشيخ الموضوعين الأولين في رسالته إلى عبد الله ، لكنه ترك مناقشة الموضوع الثالث ، لأنه ـ كما يقول ـ قد أرسل رأيه حوله إلى المويس نفسه [4] .

الوجه الثاني من أوجه نشاط المعارضة النجدية: مجادلة أنصار الدعوة في البلدان المختلفة . مثال ذلك مجادلة ابن إسماعيل جماعة

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٨ .
(٢) قارن ما ورد في المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٣٨ ـ ١٤١ وص ص ١١١ ـ ١١٣ و١١٣ ـ ١٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٩٧ ـ ١٠٣ .

الشيخ في ثرمداء ، ومجادلة سليمان بن سحيم لابن صالح في مجلس الشيوخ في الرياض[1] .

الوجه الثالث من أوجه ذلك النشاط : الاتصال بالعلماء وذوي النفوذ خارج نجد وتحريضهم ضد الشيخ ودعوته . مثال ذلك : ما ذكر سابقاً من إرسال سليمان بن سحيم كتاباً إلى العلماء خارج نجد وشكواه له عند أهل الحرمين[2] . وقد ركب المويس وخواص أصحابه إلى أهل قبّة الكواز وقبة رجب يخبرونهم بإنكار الشيخ لما هم عليه ويستثيرونهم ضده[3] . كما ركب المويس مع ابن ربيعة وابن إسماعيل إلى أهل قبة أبي طالب وأغروهم بأتباع الشيخ[4] .

وواضح أن الاتجاه إلى الاستنجاد بالخارج يعكس إدراك المعارضين النجديين لضعفهم أمام دعوة الشيخ وفشلهم في إيقافها .

الوجه الرابع من وجوه نشاط المعارضين المحليين: ترويج الكتب التي ألّفها علماء غير نجديين ضد الدعوة بين الناس ، كما روّج المويس وابن عبيد كتاب القبّاني البصري ، وكما روّج المويس وابن اسماعيل كتاب ابن عفالق[5] .

٥ - علماء الأحساء والدعوة :

وتلقي رسائل الشيخ أضواء على الدور الذي قام به بعض علماء الأحساء تجاه دعوته ، وتبين أوجه النشاط التي كانوا يزاولونها .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٠٦ و ١٤١ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٠٩ و ١٦٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٠٩ و ١٦٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

ومن ذلك كتابة الكتب صده ، وإرسالها إلى زعماء المعارضة النجديين لتأييدهم أو إقناع من كان منضماً إليه بمفارقته . وتوضح هذه الرسائل ، أيضاً ، بعض النقاط التي ركز عليها أولئك العلماء .

ومن هذه الأمور قضية الاجتهاد ، والتنويه على أن الشيخ لم يكن مؤهلاً لممارسته [1] وقد أوضح الشيخ بدوره موقفه تجاه هذا الموضوع غاية الإيضاح في رسائله [2] .

ومن تتبع رسائل الشيخ يتضح أنه كان في طليعة العلماء الأحسائيين الذين قاموا بالكتابة ضده القاضي عبد الله بن عبد اللطيف . ومن الواضح أن الشيخ محمداً كان شديد الحرص على ضم ذلك العالم إلى جانبه ، أو على الأقل التزامه الحياد بينه وبين خصومه [3] . ومن أولئك العلماء محمد بن عفالق الذي يقول الشيخ عنه : إنه زعم في كتابه أن التوحيد دين ابن تيمية ، وأنه لما أفتى به كفّره العلماء وقامت عليه الحجة [4] . كذلك كان منهم ابن مطلق وابن فيروز . وقد أورد الشيخ في إحدى رسائله بيتين من الشعر قال إن أحدهما ورد في مصنف ابن مطلق والثاني في مصنف ابن

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٣) انظر مدح الشيخ له وتودّده إليه في الرسالة التي بعثها إليه في المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٥٠ ـ ٦٠ . وقد أشار الحدّاد (**مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردّ شبهات البدعي النجدي الذي أضل بها العوام** ، ١٣٢٥ هـ ، ص ص ٤ ـ ٥) . إلى أن اسم كتاب عبد الله ضد الشيخ **سيف الجهاد لمدّعي الاجتهاد** .

(٤) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٦ . ومن بين كتابات ابن عفالق رسالة اسمها : **تهكّم المقلدين بمن ادّعى تجديد الدين** . وربما كانت المقصودة هنا . على أن له رسالة أخرى بعثها إلى عثمان بن معمر . وفيها الكثير من الاستشهاد بأقوال ابن تيمية .

فيروز[٨٩] . وكان الثلاثة الأولون في نظر الشيخ أشدّ عداوة من ابن فيروز فقد قال عنهم :

« أما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحشوا بالزبيل ؛ أعني سبابة التوحيد ، واستحلال دم من صدّق به أو أنكر الشرك » . أما ابن فيروز فإنه ـ كما يقول الشيخ ـ أقربهم إلى الإسلام[٩٠] .

ويبدو أن الشيخ كان يدرك خطر أولئك العلماء الأحسائيين لأنه حذّر محمد بن سلطان منهم تحذيراً شديداً بعد أن سمع أنه سيعرض كلامه عليهم [٣] .

ومن الأمور التي أشارت إليها رسائل الشيخ وجود القبور التي يعتقد فيها أناس من أهل الأحساء [٤] ؛ بل وجود أمور تضاد أصلي الإسلام على حدّ تعبيره [٥] . ولم يكن غريباً في مثل هذه الظروف أن يعتبر الشيخ تلك المنطقة بلد مشركين [٦] .

٦ ـ الأشراف والدعوة :

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ كان يدرك أهمية علماء مكة ومدى تأثيرهم ، كما كان يدرك مكانة حاكم تلك المدينة . لذلك كانت مجاملته لكل منهما واضحة في أسلوبه . وفي رسائله ما يبين أن

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦١ .
(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
(٣) مؤلفات الشيخ . . . ، ج ٥ ، ص ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٤) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

المعارضة النجدية قد أدركت ، أيضاً ، هذه المكانة وتلك الأهمية . وكان أن بذل زعماؤها جهوداً كبيرة لكسب قادة مكة إلى جانبهم ضد الشيخ . وواضح من تلك الرسائل أن جهودهم قد أثمرت . فقد بعث علماء مكة رسائل إلى نجد تؤيد المعارضين للدعوة [1] . واتخذ حكام تلك المدينة موقفاً عدائياً منها ، فسجنوا فريقاً من أنصارها حين قدموا للحج ، ومنعوا أتباعها من أداء فريضته مدة طويلة [2] .

وكان الشيخ يعترف بحق آل البيت الذين ينتسب إليهم أشراف مكة ويقول إن الله شرفهم على أهل الأرض [3] .

بل إنه لام بعض أنصاره الذين انتقدوا أحد الأشراف لسماحه بتقبيل يده ولبسه عمامة خضراء ؛ مشيراً إلى أن لبسهم الأخضر حدث قديماً تمييزاً لهم لئلا يظلموا أو يقصِّر في حقهم من لا يعرفهم .

لكن موقفه هذا لم يمنعه من مهاجمة ما كان سائداً في منطقة تحت حكم الأشراف . بل إن رسائله لا تلقي الضوء على ما كان سائداً فيها مما له صلة بالعقيدة فحسب ، وإنما تشير إلى نوع من الانحطاط الخلقي الغريب . فيقول في رسالته إلى البكيلي : « إن بعض النساء المعروفات بالزنا يأتين وفوداً يوم الحج الأكبر كل من الأشراف معروفة بغيته منهن جهاراً [4] » .

---

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٠٩ و ١٦٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨١ .
(٤) **مؤلفات الشيخ** . . . ، ج ٥ ، ص ٩٧ .

وواضح ما في هذه العبارة من تعميم دفع إليه ـ فيما يبدو ـ شعور عميق بظلم موجَّه ضد من كتبه . لكن وجود هذا الانحطاط الخلقي عند البعض ، على الأقل ، أمر ملفت للنظر .

أيها السادة :

إن ما ورد في هذا البحث عرض لجزء مما تحتوي عليه الرسائل الشخصية للشيخ محمد ، وهو ـ كما لاحظتم ـ لم يتعرض لبعض أصول الدعوة المعروفة ، ولم يورد ما في هذه الرسائل من مناقشة حولها . ولا شك أن من له عناية بمثل هذه الأمور سيجد في الرسائل الشيء الكثير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . ،

حول الرسالة المنسوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب

حول الرسالة المنسوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]

كانت مجلة الدارة قد نشرت في عددها الأول من سنتها السابعة رسالة قيل إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أرسلها إلى أهل المغرب ؛ مرفقة بها صورة فوتوغرافية لأصلها المحفوظ في الخزانة الملكية في الرباط .

ثم نشرت المجلة في عددها الرابع من سنتها الثامنة تعقيباً لطيفاً للأستاذ محمد بن عبد الله الحمدان مقارناً نص الرسالة المنشورة في الدارة بما ورد لها من نص في كتاب **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**[2]. وقد أبان الأستاذ الحمدان في مقارنته للنصين ما راه ضرورياً . وأشار في نهاية ذلك إلى وجود اختلاف طفيف في كلمات أو تركيبات لم يتطرق إليه .

وما قام به الأستاذ الكريم عمل يشكر عليه لأنه ينمُّ عن اتجاه طيب للتأكد من صحة النصوص . ولعله من المستحسن استكمال ما لم يتطرق إليه في مقارنته بين النصين قبل مناقشة صحة نسبة الرسالة ذاتها إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

١ ـ ورد في **الدارة** « الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به » وفي **الدرر** « الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله » .

---

(١) نشر هذا التعليق في مجلة الدارة، شوال ١٤٠٣ هـ، ص ص ٢٢١ ـ ٢٢٧ .

(٢) جمع عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الثانية ، دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٣٨٥ هـ ، ج ١ ، ص ص ٥٦ ـ ٥٩ .

٢ ـ ورد في الدارة « ونشهد أن لا إله إلاّ الله . . . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله » ، وفي الدرر « وأشهد أن لا إله إلا الله . . . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

٣ ـ ورد في الدارة « ولا يضر إلا نفسه ولا يضر أحداً » .
وفي الدرر « ولن يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً » .

٤ ـ ورد في الدرر « وصلّى الله على سيدنا محمد » .
وفي الدارة « وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً » .

٥ ـ قال الأستاذ الحمدان عند إشارته إلى إثبات الياء في « ومن اتبعني » الواردة في الدارة : « ولعل زيادة الياء من المطبعة » . لكن من الواضح أنها ليست زيادة من المطبعة إذ تبدو مثبتة في صورة الرسالة الخطية أيضاً .

٦ ـ ورد في الدارة « فأخبر سبحانه وتعالى » .
وفي الدرر « فأخبر سبحانه » .

٧ ـ قال الأستاذ الحمدان : « في السطر ١٦ من نفس الصفحة (٧) ـ الدارة ـ وأمرنا بلزوم ما أنزل عليه . وبعد كلمة (أنزل) زيادة عمّا في الدرر هي (إلينا في ربنا) . . . الخ .
ومن الواضح أن (في) خطأ مطبعي ؛ إذ الأصل (من) . ومن الواضح أيضاً أن (عما) زيادة أضيفت نتيجة خطأ مطبعي .

٨ ـ ورد في الدارة « قد أخبر أن أمته تأخذ ما أخذت الأمم » .
وفي الدرر « قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون » .

٩ ـ ورد في الدارة « في الصحيحين وغيرهما أنه صلّى الله عليه وسلم قال » .

وفي الدرر « في الصحيحين وغيرهما عنه صلّى الله عليه وسلم أنه قال » .

١٠ ـ ورد في الدارة « من كان قبلكم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » .
وفي الدرر « من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » .

١١ ـ ورد في الدارة « وإذا علم هذا فمعلوم » .
وفي الدرر « وإذا عرف هذا فمعلوم » .

١٢ ـ ورد في تعقيب الأستاذ الحمدان أنه ذكر في الدارة « أعظمت الإشراك بالله » . ومن الواضح أن هذا خطأ مطبعي . إذ الوارد في الرسالة المطبوعة في الدارة « أعظمت الإشراك به » . وبالإضافة إلى ذلك فإن ما ورد مطبوعاً في الدارة على أنه « أعظمت » ليس واضحاً في صورة المخطوطة . لكن لا تبدو في أول الكلمة همزة .

١٣ ـ قال الأستاذ الحمدان : إن الكلمة الأخيرة من الصفحة السابعة في الدارة (ليقربهم) وفي الدرر (ليقربوهم) . وما ذكر صحيح . لكن الكلمة في صورة الرسالة الخطية « ليقربوهم » بصيغة الجمع . فهي مطابقة لما ورد في الدرر . وإنما أخطأ من نقل الكلمة من صورة الرسالة الخطية .

١٤ ـ ورد في الدارة « وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار ، وقال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله . . ﴾ الآية .
وفي الدرر « وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار . فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال : ﴿ إن الله لا يهدي من هو

كاذب كفار﴾، وقال تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله . .﴾ الآية .

١٥ ـ ورد في الدارة « ولا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر لله ساجداً » .
وفي الدرر « لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجداً » .

١٦ ـ ورد في الدارة « فيقول له ارفع رأسك » .
وفي الدرر « ثم يقال ارفع رأسك » .

١٧ ـ ورد في الدارة مطبوعاً « ودرج على مناهجهم » . لكن في صورة المخطوطة « ودرج على منهاجهم » .
وفي الدرر « ودرج على منهجهم » .

١٨ ـ ورد في الدارة « وما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة »
وفي الدرر « وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة » .

١٩ ـ ورد في الدارة « ببناء القباب عليها وإسراجها » .
وفي الدرر « ببناء القباب عليها والسرج » .

٢٠ ـ ورد في الدارة « أخبر بوقوعها صلّى الله عليه وسلم . وحذر أمته منها » .
وفي الدرر « أخبر بوقوعها النبي صلّى الله عليه وسلم ، وحذر منها .

٢١ ـ ورد في الدارة « وفي الحديث عنه . . . تعبد أقوام من أمتي الأوثان » .
وفي الدرر « كما في الحديث عنه . . . تعبد فئام من أمتي الأوثان » .

٢٢ ـ ورد في الدارة « وحمى جانب التوحيد » .
وفي الدرر « حمى جناب التوحيد » .

٢٣ ـ ورد في الدارة « كل طريق موصل إلى الشرك » .
وفي الدرر « كل طريق يوصل إلى الشرك » .

٢٤ ـ ورد في الدارة « ولذا قال » .
وفي الدرر « ولهذا قال » .

٢٥ ـ ورد في الدارة « هدم القباب » .
وفي الدرر « هدم القبب » .

٢٦ ـ ورد في الدارة « وهذا الذي أوجب الاختلاف » .
وفي الدرر « فهذا هو الذي أوجب الاختلاف » .

٢٧ ـ ورد في الدارة « حتى آل الأمر إلى أن قاتلونا وكفرونا » .
وفي الدرر « حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا » .

٢٨ ـ ورد في الدارة « وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلم » .
وفي الدرر « وسنة رسوله » .

٢٩ ـ ورد خطأ مطبعي بزيادة « الواو » قبل كلمة « تعالى » مما ذكره الأستاذ الحمدان في مقارنته رقم ٢٨ ؛ إذ لم ترد قبلها في الرسالة المطبوعة في الدارة .

٣٠ ـ ورد قول الأستاذ الحمدان (رقم ٢٩) : في السطر الثاني من الصفحة التاسعة « دعونا بالسيف » . ومن الواضح ، أيضاً ، أنه وقع خطأ مطبعي بحذف الضمير بعد « دعونا » ؛ إذ الأصل « دعوناه » .

٣١ ـ ورد في الدارة « وصوم شهر رمضان » .
وفي الدرر « وصيام شهر رمضان » .

٣٢ ـ ورد في مقارنة الأستاذ الحمدان (رقم ٣١) أن ما هو موجود في الدرر « فهذا هو الذي نعتقده » . ومن الواضح أنه قد وقع خطأ مطبعي بزيادة الضمير بعد « نعتقده » ؛ إذ قد وردت في الدرر بدونه .

٣٣ ـ ورد في الدارة « وندين لله به » .
وفي الدرر « وندين الله به » .

٣٤ ـ ورد في الدارة « المتبعين للسنة » .
وفي الدرر « المتبعين لسنته » .

ومن المعلوم أن الاختلاف بين نسخة وأخرى لعمل واحد كثيراً ما وقع ، وكثيراً ما كان سببه النساخ . لكن المهم في الموضوع هنا هو الرسالة ذاتها . أهي من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب أم لا ؟ .

كنت قد أثرت هذا التساؤل في بحث ألقي في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ونشر في مجلة الدارة في عددها الثالث من سنتها السابعة .

ومما ينبغي ملاحظته عدة أمور منها :

أولاً : أن الرسالة التي يقال إن الشيخ محمداً أرسلها إلى المغرب لم ترد ضمن رسائله التي أوردها المؤرخ حسين بن غنام . وكان ذلك المؤرخ مقرباً من الشيخ حريصاً كل الحرص على ذكر ما كان له من نشاط ورسائل وإجابات . ولذلك فإنه من المرجح ألّا يغفل رسالة مهمة تجاوزت حدود نجد ، بل حدود الجزيرة العربية إلى المغرب الأقصى .

ثانياً : أن عبد الرحمن بن قاسم ، جامع الدرر السنية ، قال : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسل الرسالة المذكورة إلى

أهل المغرب ؛ لكنه أورد بعد البسملة مباشرة « الحمد لله . . . » الخ دون أن يورد الرسالة مبدوءة بعبارة الشيخ محمد المعتادة في رسائله وهي « من محمد بن عبد الوهاب » .

ومن الملاحظ أن ابن قاسم حين أورد الرسالة التي قبل هذه الرسالة والرسالة التي بعدها أوردهما بعد البسملة مبدوءتين بعبارة « من محمد بن عبد الوهاب » مع ذكره قبل اسمي من وجهت إليهما الرسالتان . ومن المستبعد أن يحذف ابن قاسم العبارة من تلقاء نفسه . لكن من المحتمل أنه وجد الرسالة منسوبة للشيخ محمد فأوردها كما وجدها .

ثالثاً : أن الرسالة المحفوظة في الخزانة الملكية بالرباط ليست بخط الشيخ محمد . وقد وقعت فيها أخطاء واضحة مثل « من شر الفسقاء » بدلاً من العبارة المشهورة « من شرور أنفسنا » ، و « برسم الشفاعة » بدلاً من « لأجل الشفاعة » . وهذا يوحي بأنها لم تكن بخط أحد علماء الدعوة الإصلاحية النجدية أيضاً .

رابعاً : أن التطور التاريخي لمسار دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية الأولى يوحي بأنه من المرجح ألاّ يكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى حجاج بيت الله الحرام . ومن المعروف لدى من درس تاريخ الدولة السعودية الأولى أن أنصار الشيخ محمد مُنعوا من الحج خلال حياته باستثناء سنتي ١١٨٣ هـ و ١١٩٧ هـ[1] .

خامساً : أن الرسالة كتبت في فترة انتصر فيها زعماء الدعوة

(١) حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ ، ج ٢ ، ص ص ٧٩ - ١١٩ - ١٢٠ .

على خصومهم بدليل العبارة الواردة فيها « حتى نصرنـا الله عليهم وظفرنا بهم » . وكان استيلاء أولئك الزعماء على مناطق خارج نجد كالأحساء وعسير والحجاز بعد وفاة الشيخ محمد .

سادساً : أن أحمد بن أبي الضياف التونسي ذكر وصول الرسالة إلى تونس زمن الباي حمودة باشا ، وأفاد أنها من بين رسائل وجهها زعماء الدعوة إلى الأقطار المختلفة ، وذلك بعد أن ذكر أن رئاستهم كانت لسعود بن عبد العزيز وأنهم استولوا على الحجاز . وقد أورد ابن أبي الضياف الرسالة دون أن يذكر كاتبها ؛ لكن سياق كلامه يوحي بأنها أرسلت بإشراف الإمام سعود[1] . ومن الملاحظ أن الرسالة التي أوردها المؤرخ التونسي لا يختلف نصها عن النص المحفوظ في الخزانة الملكية بالرباط إلا اختلافات أقل من الاختلافات الموجودة بين رسالة الرباط والمطبوعة في الدرر.

سابعاً : أن الجبرتي حينما تحدث عن استيلاء سعود بن عبد العزيز على مكة سنة ١٢١٨ هـ ذكر أنه أرسل إلى شيخ الركب المغربي كتاباً ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته . ثم أورد صورتها ، وهي نص الرسالة المناقشة هنا[2] .

وهكذا يتضح أن الرسالة المنسوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تكن له ، وأنها كتبت بعد استيلاء آل سعود على الحجاز وذلك بعد وفاة الشيخ بمدة لا تقل عن اثني عشر عاماً .

وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مع سعود بن

(١) أحمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الطبعة الثانية ، تونس ، ١٩٧٩ م ، ج ٢ ، ص ص ٨٢ ـ ٨٥ .

(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، بيروت ، دون ذكر لسنة الطباعة ، ج ٢ ، ص ص ٥٨٨ ـ ٥٩١ .

عبد العزيز حين استولى على مكة سنة ١٢١٨ هـ . وقد كتب الشيخ عبد الله ، حينذاك ، رسالة أوضح فيها عقيدة أنصار الدعوة الإصلاحية النجدية[1] . ولعله هو الذي كتب الرسالة المنسوبة إلى أبيه . ومعلوم أن أفكار علماء الدعوة لا تختلف وأن أساليبهم وبخاصة إذا كتبوا عن العقيدة تتشابه . ولعل الناسخ الذي نسخ رسالة الرباط والذي وقع في أخطاء ذكرت سابقاً قد التبس عليه الأمر فنسب الرسالة التي كتبها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب إلى أبيه لأنه هو الذي قام بالدعوة .

---

(١) هذه الرسالة مطبوعة في الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج ١ ، ص ص ١٢٣ - ١٣٤ .

على هامش أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

على هامش أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]

تنوّع النشاط في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي دعت إليه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وكان من ذلك النشاط تلك المحاضرة العامة التي ألقاها عالم تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها الشيخ حمد الجاسر مساء يوم الأربعاء ٢٥/٤/١٤٠٠ هـ . وكان عنوان المحاضرة « المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » . وقد تلا هذه المحاضرة وإجابة ملقيها عن أسئلة الحاضرين تعليق للعالم الجليل الأستاذ محمد بهجة الأثري . وكان مما جاء في هذا التعليق تساؤله عن الجمع أو التوفيق بين استخدام الشيخ حمد الجاسر لابن بشر في كثير مما ورد في محاضرته من معلومات وبين عدم اعتماده عليه في نقاط معينة أثناء إجابته عن بعض الأسئلة . ومن هذه النقاط روايته عن كيفية خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من البصرة إلى الزبير وروايته عن اعتداء بعض الناس عليه في حريملاء . وقد أوضح الشيخ حمد الجاسر في إجابته عن هذا التساؤل بأنه ليس من الضروري أن يقبل من كل مؤرخ جميع ما ورد في تاريخه من روايات وأخبار ، وأن ابن بشر ، الذي لم يكن معاصراً لحدوث المسألتين السابقتين ، قد نقل خبريهما عن غيره .

ولقد ورد في خاطري ، ذلك المساء ، أن أعلّق على ما دار حوله نقاش العالمين الجليلين . لكن بدا لي أن الجو لم يكن ليسمح بإبداء ما لديّ . وهأنذا أكتب ما كنت قد توقفت عن قوله في تلك المناسبة ؛ آملاً أن يسهم في إيضاح بعض جوانب الموضوع الذي دار حوله النقاش .

---

(١) سبق أن نشر هذا التعليق في مجلة الدارة، العدد الرابع، سنة ١٤٠٠ هـ، ص ص ٣٢ - ٣٩.

لعلّه من المسلمٌ به صحة ما أشار إليه الشيخ حمد الجاسر من أنه ليس ضرورياً أن يقبل من المؤرخ جميع ما في تاريخه من روايات . فمن مهام الباحث أن يحلّل الروايات المختلفة ليخرج بما يرى أنه أقرب إلى الحقيقة . ولا تقتصر مهمته على تحليل ما رواه المؤرخ من أحداث سابقة لعصره . وإنما تشمل ، أيضاً ، ما رواه من أحداث معاصرة له . والنظرة إلى ابن بشر ينبغي ألاّ تخرج عن هذه القاعدة العامة . فبالرغم من أن تاريخه يعتبر من أهم مصادر تاريخ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية التي قامت على أساس دعوته إلاّ أن المتتبع له يلاحظ عدم دقة مؤلفه ، أحياناً ، في تعبيره عن أمور معاصرة له وروايتها لها[1] . وإذا كان احتمال عدم الدقة وارداً بالنسبة لكتابة هذا المؤرخ عن أمور عاصرها فإن احتمال ضعف روايته عن أمور سبقت عصره أقوى وأقرب إلى الوقوع .

والحادثتان اللتان دار النقاش حولها بين العالمين الجليلين ، الجاسر والأثري ، وقعتا قبل مولد ابن بشر بأكثر من نصف قرن . ومن خلال مناقشتها ، مع روايته لحوادث مشابهة لهما في الهدف ومقاربة لها في الزمن ، يتضح مدى صحة رواية هذا المؤرخ أو ضعفها في هذا المجال . يقول ابن بشر عن قضية خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من البصرة :

---

(١) من ذلك ـ مثلا ـ أنه حين تحدث عن وصول خبر اغتيال الإمام تركي بن عبد الله إلى ابنه فيصل في شرقي الجزيرة العربية قال : « وكان معه رؤساء المسلمين من الأمراء والأعيان منهم رئيس الجبل عبد الله بن علي بن رشيد . انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ، الطبعة الثانية من قِبَل وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ ، ج ٢ ، ص ٦٥ . ومن المعروف أن عبد الله بن رشيد لم يكن ، حينذاك ، قد أصبح أميراً للجبل .

« ثم إن الشيخ اجتمع عليه أناس في البصرة من رؤسائها وغيرهم فآذوه أشد الأذى . وأخرجوه منها وقت الظهيرة . ولحق شيخه ـ يعني المجموعي ـ منهم بعض الأذى . فلما خرج من البصرة . وتوسط في الدرب فيما بينها وبين بلد الزبير أدركه العطش وأشرف على الهلاك. وكان يمشي على رجليه ، حافياً ، وحده . فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له أبو حميدان من أهل الزبير . فرأى عليه الهيبة والوقار وهو مشرف على الهلاك . فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير »[1] .

والمتأمل في هذه الرواية تتضح له عناصر الصورة الدرامية عن كيفية خروج الشيخ محمد من البصرة . فالراوي قد أخرجه من تلك المدينة بعد إيذاء شديد . واختار لخروجه منها وقت الظهيرة . وصوّره وحده ماشياً على قدميه . ولم ينس ؛ مبالغة في التصوير الدرامي ، أن يذكر إدراك العطش للشيخ وإشرافه على الهلاك في وسط الدرب بين البصرة والزبير . بل إنه لم ينس، في سبيل إكمال الصورة المأساوية، أن يقول : إن الشيخ كان حافياً . وحين انتهى ذلك الراوي من ذكر العناصر الهادفة إلى إيضاح ما نال الشيخ من مصائب في سبيل دعوته عاد ليبينّ أن الفوز للصابرين مهما أدلهمت الخطوب . وهكذا قدّر الله سبحانه أن يوافي من كانت تلك حاله صاحب حمار مكاري فيسقيه ويحمله على حماره حتى وصل إلى الزبير بسلام .

وبالرغم مما في الرواية السابقة من تصوير مؤثر فإن ما ورد فيها لم يذكر من قبل مؤرخين لهما وزنهما في مجال الحديث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهما حسين بن غنام الأقرب إلى

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١ .

الحادثة زمناً والأقرب إلى بطلها صلة ، وعبد الرحمن بن حسن حفيد ذلك الشيخ . وكلام ابن غنام يوحي بأن موقف الشيخ في البصرة كان قوياً لدرجة أنه كان يفحم خصومه بالحجة والبرهان . وليس في كلامه أي ذكر لإخراج الشيخ من البصرة بغير رضاه ، أو معاناته خلال سفره منها[1] . وكلام عبد الرحمن بن حسن ينص على أن جده عاد إلى البصرة بعد ذهابه إلى الأحساء ، وأنه تركها مرة ثانية إلى الحجاز . وكلامه لا يدل ، بأية حال ، على أن خروجه من البصرة في كلتا المرتين كان خروجاً غير طبيعي[2] . وبناء على ما تقدم فإن للباحث ، أو عليه ، أن ينظر إلى رواية ابن بشر عن الحادثة السابقة بحذر شديد .

أما بالنسبة للمسألة الثانية ، وهي رواية ابن بشر عن محاولة اعتداء أناس من أهل حريملاء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فإنها لم تكن بالصورة التي أظهرت بها الحادثة الأولى . ولكنها مقاربة لها في بعض جوانب الهدف الذي رويتا من أجله . يقول ابن بشر :

« وكان في البلد ـ يعني حريملاء ـ عبيد لإحدى القبيلتين كثير تعديهم وفسقهم . فأراد الشيخ أن يمنعوا عن الفساد ، وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فهمّ العبيد أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سراً . فلما تسوّروا عليه الجدار علم بهم أناس فصاحوا عليهم ، فهربوا . فانتقل الشيخ بعدها إلى بلد العيينة »[3] .

---

(1) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ . ج ١ ، ص ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(2) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الثانية ، جدة ، ١٣٨٨ هـ ، ج ٩ ، ص ٢١٦ .

(3) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢ .

وهذه القصة غير مذكورة ، أيضاً ، في تاريخ ابن غنام . لكن من المعروف لدى المهتمين بتاريخ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن معارضته لما كان يراه مخالفاً للعقيدة الصحيحة والشرع القويم أصبحت أكثر قوة بعد وفاة أبيه سنة ١١٥٣ هـ . ومن المحتمل أن ذلك جاء نتيجة اقتناعه بأنه أصبح أبرز شخصية علمية في البلدة . وعلى هذا الأساس فإنه من غير المستبعد أن يكون الشيخ قد أراد أن يمنع ذوي الفساد من ممارسته ؛ أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر . ولأنه لم تكن في حريملاء ، حينذاك ، إمارة قوية فإن هؤلاء ربما حاولوا الاعتداء عليه . لكن إذا سلّم بترجيح وقوع هذه الحادثة فإنه من الواضح أنها لم تكن السبب في انتقال الشيخ من حريملاء إلى العيينة ، كما قد يفهم من عبارة ابن بشر الواردة في آخر الرواية السابقة « فانتقل الشيخ بعدها إلى بلد العيينة » . ومن المرجّح أن ذلك الانتقال يعود إلى سبب رئيسي وسببين ثانويين . أمّا السبب الرئيسي فهو قبول أمير العيينة ، عثمان معمّر ، لدعوة الشيخ ، وذلك ما ذكره ابن غنام ، بعد إشارته إلى انتشار تلك الدعوة في بلدان العارض المشهورة ، بقوله :

« ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها ـ يعني حريملاء ـ والارتحال والإقامة بالعيينة . فجد في الرحيل والانتقال . وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمّر لقبول هذا الدين »[1] .

وأمّا السببان الثانويان فأحدهما كون العيينة أقوى من حريملاء وكونها موحّدة الزعامة ، وهذا ما لم يكن متوافراً في حريملاء التي كانت السلطة فيها منقسمة ، والتي لم يكن لها « رئيس يزع الجميع »

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠ .

حسب تعبير ابن بشر[1] . وما دام أمير البلدة القوية الموحّدة متقبلاً للدعوة فاحتمال نجاحها فيها أكبر من احتمال نجاحها في حريملاء . وكان نجاح الدعوة هو ما يبحث عنه الشيخ بن عبد الوهاب . والثاني من السببين الثانويين وجود مكانة اجتماعية بارزة لأسرة الشيخ في العيينة منذ قدوم جده ، سليمان بن عليّ ، إليها واحتلاله مركز القضاء فيها . ويضاف إلى ذلك أنها كانت مسقط رأس الشيخ ومكان نشأته . ولذا فقد كان يوجد لديه ميل نفسي إليها . وهكذا توافرت العوامل لانتقاله إليها ، فانتقل .

وقريب من رواية ابن بشر الدرامية عن كيفية خروج الشيخ من البصرة ما ورد في إحدى طبعات كتابه حول خروج ذلك الشيخ من العيينة إلى الدرعية . فبعد أن أشار إلى ضغط حاكم الأحساء على عثمان بن معمّر للتخلص منه ذكر أن عثمان قال للشيخ :

« ليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا . فشأنك ونفسك ، وخلّ بلادنا . فأمر فارساً عنده يقال له الفريد مع خيّالة معه منهم طوالة الحمراني . وقال : اركب جوادك وسر بهذا الرجل إلى ما يريد . فقال الشيخ : أريد الدرعية . **فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلاً أمامه ، وليس معه إلاّ المروحة . وذلك في غاية الحرّ في فصل الصيف** . فقال ابن معمّر لفارسه : إذا أنت وصلت إلى أخيه يعقوب فاقتله عنده . . . فسار الفارس والشيخ أمامه وهو لا يلتفت ويلهج بقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، والفارس لم يكلمه . فلما همّ بقتله كفّ الله عنه يده ، وأبطل كيده ، وقذف الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما

(١) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢ .

استطاع أن يمشي قدما . فحرف جواده وانصرف إلى العيينة . وقال لعثمان : إنه أصابه رعب عظيم حتى خفت على نفسي »[1] .

وهذه القصة لم ترد في تاريخ ابن غنّام . وليس الباحث في حاجة إلى محاولة إيضاح ما يبرهن على ضعفها . ذلك أن ابن بشر نفسه كفى الباحثين هذه المهمة حين كتب في المبيضة الثانية من كتابه هذه القصة كما يلي :

« ليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك[2] ، فشأنك ونفسك وخلّ لنا بلادنا . فأمر على فارس عنده يقال له الفريد الظفيري وخيّالة معه منهم طوالة الحمراني ، وقال لهم : اركبوا مع هذا الرجل إلى ما يريد . فقال الشيخ : أريد الدرعية . فسار الشيخ ومعه الفرسان حتى وصل الدرعية . ذكر لي أنه في طريقه لا يفتر لسانه من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ، واعلم رحمك الله أني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمّر وفرسانه أنه أمرهم بقتل الشيخ في الطريق وغير ذلك . ثم تحقق عندي أنه ليس لها أصلاً [هكذا] بالكلية فطرحتها من هذه المبيضة »[3] .

ولم تقتصر الروايات الضعيفة الواردة في تاريخ ابن بشر حول نشأة الدعوة على ما سبق ، وإنما تعددت . ومن هذه روايته عن الظروف التي أحاطت بالشيخ منذ وصوله إلى الدرعية حتى اتفاقه مع

---

(١) الطبعة الثانية من قِبَل أبي بطين ، القاهرة ، ١٣٧٣ .

(٢) لعله يشير بذلك إلى زواج الشيخ من الجوهرة بنت عبد الله بن معمّر .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣ .

محمد بن سعود . ومما جاء في هذه الرواية أن الشيخ نزل عند ابن سويلم . فضاقت على هذا داره خوفاً من أمير البلدة . وأن بعض الخاصة من أهل الدرعية علموا بقدوم الشيخ فأخذوا يزورونه سراً ، وأن هؤلاء همّوا بنصح الأمير لنصرته لكن لهيبتهم منه اتصلوا بزوجته لتقوم بهذه المهمة . وكانت النتيجة أن نجحت في إقناعه . ثم انتهت الرواية بذهاب الأمير محمد بن سعود إلى بيت ابن سويلم ليسلّم على الشيخ ويتفق معه على نصرة الدعوة[1] .

وقد أبدى الدكتور منير العجلاني شكه في صحة هذه الرواية ، معلّلاً ذلك بأن دعوة الشيخ كانت مشهورة في الدرعية ومعتنقة من قبل بعض زعمائها قبل انتقاله إليها . بل إنه يعتقد ـ بناء على رواية مانجان ـ أن الشيخ لم يخرج من العيينة إلاّ بعد أن دعته الدرعية إليها[2] .

وسواء قبل ما اعتقده الدكتور العجلاني من دعوة الدرعية للشيخ أم لا فإن ما ذكره من شهرة الدعوة في تلك البلدة واعتناق بعض زعمائها لها قبل قدومه إليها من الأمور الثابتة . ذلك أن دعوة الشيخ كانت ، حينذاك ، قد نجحت في القضاء على ما كان الجهال في المنطقة يتوسلون به . وقد أحدث ذلك ردود فعل واسعة لا في نجد فحسب بل خارجها . ومن هنا فليس من المحتمل أن يكون مجيىء صاحب تلك الدعوة إلى الدرعية من الأمور التي لا يعلم بها أمير تلك البلدة ، أو أن يوجد فيها ويزار خفية من قبل بعض خاصتها . على أن ابن غنام قال عن هذه القضية بالذات :

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٢) منير العجلاني ، تاريخ البلاد العربية السعودية ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ ، ج ١ ، ص ٩١ .

« فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية . . . فنزل على عبد الله بن سويلم تلك الليلة ، فأقام عنده ذلك اليوم . ثم بعده انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم . فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود ، أسكنه الله دار الخلود ، قام من فوره مسرعاً إليه ومعه إخوته ثنيّان ومشاري . فأتاه في بيت أحمد بن سويلم ، فسلّم عليه ، وبادره بالقبول والتقبيل »[1] .

وواضح أن رواية ابن غنام لا تشير إلى ثلاثة أمور وردت في رواية ابن بشر ، وأثارت حولها الشكوك . وهي خوف ابن سويلم حين نزل عنده الشيخ ، وزيارة بعض خاصة الدرعية له سراً ، واتصالهم بزوجة الأمير محمد بن سعود لإقناعه بالدعوة ونصرتها . لكن في عبارة ابن غنام السابقة ما يوحي بأن أمير الدرعية لم يسمع بقدوم الشيخ إلا بعد انتقاله إلى بيت أحمد بن سويلم . ويفهم من هذه العبارة أن ذلك الأمر لم يحدث إلا بعد يوم وليلة من وصوله إلى تلك البلدة . ويبدو أن ابن غنام لم يكن دقيقاً في عبارته . فمن المحتمل أن الأمير محمد بن سعود لم يذهب للسلام على الشيخ فور وصوله إلى الدرعية . لكنه من غير المحتمل أن يكون الشيخ قد بقي يوماً وليلة في البلدة دون علم أميرها به .

ومن العبارة الواردة في رواية ابن غنام وإشارة ابن بشر إلى الدور الذي كان لزوجة الأمير محمد بن سعود يبدو أن الأمر كان كما يلي : حين وصل الشيخ إلى الدرعية نزل عند ابن سويلم ، الذي كان من الشخصيات البارزة هناك . وقد جرت العادة أن يذهب القادمون إلى أمير البلدة التي يفدون إليها للسلام عليه . لكن الشيخ لم يفعل ذلك ، ربما لأنه كان يعتقد أن العلم يجب أن يسعى إليه .

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣ .

ومع علم الأمير محمد بن سعود بقدومه فإنه ـ بدوره ـ كان يرى أن يؤتى إليه بصفته أميراً ، كما هي العادة المتبعة . وهكذا مر يوم وليلة دون أن يكون لقاء بين الرجلين . ولما لزوجة الأمير العاقلة من حظوة لدى زوجها سارع أنصار الشيخ إليها يسألونها أن تقنع ذلك الزوج لا ليقبل الدعوة ـ كما ذكرت روايه ابن بشر ـ ولكن ليذهب بنفسه للسلام على القادم الجديد ويظهر له الاحترام . وكان أن فعل .

ولعلّه من المستحسن قبل ختام هذا التعليق مناقشة رواية أخرى من روايات ابن بشر حول تلك الفترة التاريخية رويت ، فيما يظهر ، لنفس الغرض الذي رويت من أجله رواياته السابقة ، واتسمت بما اتسمت به تلك الروايات من ضعف . وهذه الرواية تتحدث عن الغزوة الأولى التي بدأ بها جهاد أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أو الصراع المسلّح بين أنصار تلك الدعوة وخصومهم . يقول ابن بشر عن هذا الأمر :

« تم أمر الشيخ بالجهاد . . . فامتثلوا . فأول جيش غزا سبع ركائب . فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها ، لأنهم لم يعتادوا ركوبها . فأغاروا ، أظنه على بعض الأعراب ، فغنموا ورجعوا »[1] .

وقد وردت هذه القصة في كتابين آخرين بصورة مقاربة لرواية ابن بشر في الهدف الذي سيقت من أجله ، وهو إظهار ضعف الدعوة في بداية الأمر ، مع اختلاف في التفاصيل . فالمؤلف المجهول لكتاب كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يذكر أن أول غزوة خرجت من الدرعية كانت مكونة من

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٦ ـ ٢٧ .

ستة عشر رجلاً على ثمان من الإبل ، وأن الذين قاموا بها رجعوا دون الحصول على غنائم[1] . ويوركارت يقول : إن عدد الإبل في الغزوة الأولى كان سبعاً . لكنه لم ينص على عدد الرجال ولم يشر إلى نتائج غزوتهم[2] . وذلك يعني أن هذه القصة كانت شائعة في المنطقة حينذاك .

ولعله من الواضح ما في رواية ابن بشر السابقة ، بالذات ، من تصوير يميل إليه عشاق القصص أكثر مما يركن إليه طلاب الحقيقة التاريخية . ذلك أنه من المنتظر أن يبذل قادة الدرعية ما في وسعهم لإظهار الغزوة الأولى من غزواتهم بمظهر القوة والاستعداد . ومن المستبعد ألّا يكون لديهم ، حينذاك ، غير ذلك العدد القليل من المهيئين للغزو . ومن المعروف أن الإبل كانت وسيلة المواصلات لدى أهل نجد في ذلك الزمن . ومن غير المحتمل أن يكون كل أفراد الغزو لا يتقنون ركوبها لدرجة أنهم جميعاً سقطوا من أكوارها حين أسرعت بهم . وابن بشر نفسه لم يكن متأكداً من أولئك الذين وجهت إليهم الغزوة المذكورة ، ولم يذكر إلى أية قبيلة ينتمون . وفي ذلك ما فيه من أدلة ضعف الرواية . ذلك أن الغزوة الأولى أجدر أن يهتم بها ، وأن يعرف ، على الأقل ، من كانت موجهة إليه . ثم بعد إيضاح ذلك الضعف في الاستعداد وعدم ذكر الهدف الموجه إليه الغزو تختتم الرواية بأن الغازين عادوا غانمين ! .

ومن الواضح أن المؤرخين السابقين الثلاثة متفقون على ضعف الغزوة الأولى التي قام بها أنصار الدعوة . وأنهم متفقون ، أيضاً ، على أن هؤلاء الأنصار هم الذين بدأوا القتال مع

---

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد الله العثيمين ، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣ هـ . وما ورد عن الموضوع في ص ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(2) Burckhardt, **Notes on the Bedouins and Wahabys**, London, 1831, Vol. II, p.98.

خصومهم . لكن ابن غنام ، الذي لم ترد هذه القصة في تاريخه ، يذكر أن بداية القتال بين الدرعية وخصومها كانت نتيجة لاعتداء دهام بن دواس ، أمير الرياض ، على منفوحة التي كانت ، حينذاك ، تابعة لدولة الدرعية الناشئة(١) . وهذا يعني أن خصوم الدعوة هم الذين بدأوا القتال مع أنصارها . وقد ورد في رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى السويدي ما يؤيد رواية ابن غنام السابقة إذ قال :

« وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا »(٢) .

وهكذا تبدو بعض روايات ابن بشر عن حياة الشيخ وبداية دعوته ضعيفة أمام من يتأملها . ولكن ذلك لا يعني أن كتابه لا يعتبر من أهم كتب تاريخ حياة الشيخ ودعوته والدولة التي قامت على أساسها . ولا شك أن ذلك المؤرخ كان يتحرّى الصدق ، بدليل أنه حين اتضح له عدم صحة ما رواه في إحدى مخطوطات كتابه عن أمر ابن معمّر لفارسه بقتل الشيخ أشار إلى ذلك وحذف القصة من ذلك الكتاب . لكنه كان يروي تلك الأحداث التي لم يعاصرها عن آخرين ، كما ذكر في مستهل هذا التعليق . ولا شك ، أيضاً ، أن هدف أولئك الرواة من الروايات السابقة إظهار ما عاناه الشيخ ، رحمه الله ، في سبيل الدعوة ، وإظهار نصر الله لها مع أنها كانت ضعيفة جداً في بداية أمرها . وفي هذا وذاك حث للمخلصين على الصبر وتبشير لهم بأن الله معهم مهما كانوا ضعفاء .

---

(١) ابن غنّام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [1]

من المعروف لدى المطلعين على سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه جهر بدعوته الإصلاحية أول الأمر في البصرة . وحين عاد من أسفاره خارج نجد التحق بأسرته التي كانت موجودة في بلدة حريملاء منذ سنة ١١٣٩ هـ . وبعد استقراره فيها أخذ ينكر ما كان يراه مخالفاً للحق ، خاصة ما يتعلق بالتوحيد والشرك . ويذكر ابن بشر أن إنكاره هذا أدى إلى وقوع كلام بينه وبين أبيه القاضي عبد الوهاب [2] . لكنه لا يوضح سبب الخلاف الحقيقي بينهما ، غير أن مصدراً لا يزال مجهول المؤلف يدّعي أن الأب كان يرتشي، وأن خلافاً حدث بينه وبين ابنه محمد بسبب ذلك [3] . ومن المعلوم أن محمد بن عبد الوهاب أنكر ما كان يأخذه بعض القضاة من أموال من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم واعتبره رشوة . وذلك موضوع أورد ابن غنام آراء الشيخ وآراء خصومه حوله في تاريخه [4] .

ومن المرجح أن عبد الوهاب كان يتحلّى بالنزاهة ، وأنه لم يكن يأخذ من المتخاصمين أجوراً مقابل النظر في قضاياهم . لكن من المحتمل أنه لم يكن يعتبر ذلك رشوة ، كما كان يرى ابنه محمد .

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود، العدد الخامس، ١٣٩٧ هـ، ص ص ١ - ٢٠ .

(٢) انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ، الطبعة الثانية من قِبَل وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٣) انظر كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق عبدالله العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣ هـ، ص ٤٥ . لكن يلاحظ ان هذا المؤلف يذكر أن الخلاف بين الأب وابنه حدث قبل سفر الأخير من نجد، بينما يذكر ابن بشر أنه وقع بعد عودته واستقراره في حريملاء .

(٤) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ، القاهرة، ١٣٦٨ هـ ، ج ١ ، ص ص ١١٣ ، ١٣٣ ، ١٣٦، و١٨٤-١٨٦ .

وعلى هذا فإنه من الممكن أن تكون هذه القضية مسألة خلاف بينهما ، وأن هذا الخلاف أظهر إشاعة أن عبد الوهاب كان يتعاطى الرشوة . ومع ذلك فإنه من المرجح أن يكون أهم دواعي الخلاف بين الأب وابنه الأسلوب الذي اتبعه الشيخ محمد في دعوته وخوف أبيه عليه من جرائه .

ومهما يكن من أمر فإنه من الواضح أن فريقاً ممن عارضوا الشيخ محمداً في بداية دعوته أصبحوا من مؤيديه فيما بعد ، كما أن أناساً ممن صدقوه أول الأمر وقفوا ضده بعد فترة معينة[1] . وما من شك أن هناك أسباباً متعددة لتغير مواقف هؤلاء وأولئك . ومن تلك الأسباب الاقتناع الشخصي وانتقال دعوة الشيخ من مرحلة إلى أخرى ؛ سواء في تناولها أموراً غير التي كانت تتناولها في البداية أم في دخولها مرحلة التنفيذ بتطبيق ما كانت تنادي به .

كان بعض علماء نجد على استعداد لقبول الخطوط العريضة لآراء الشيخ محمد في التوحيد والشرك . لكنه ما أن دخل في تفصيلات متعلقة بهذين الموضوعين ، وطبق عملياً ما كان يدعو إليه حتى اختفى ذلك الاستعداد وأصبحوا ضده . ويؤكد الشيخ نفسه هذا التفسير بقوله في رسالته إلى محمد بن عيد أحد علماء ثرمداء :

« صدقني من يدّعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد وفي نفي الشرك ، وردّوا عليّ التكفير والقتال »[2] .

وقد قال كلامه هذا بعد دخول دعوته مرحلة القتال لأعدائها ؛ لأنه يشير في هذه الرسالة إلى أنه قد مضى على دعوته أكثر من عشرين سنة[3] .

---

(١) من بين هؤلاء عبد الله بن سحيم من المجمعة وعبد الله بن عيسى من الدرعية .

(٢) ابن غنّام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

ومن بين الذين تغيّر موقفهم من تصديق بالدعوة المذكورة إلى محاربة لها سليمان بن محمد بن سحيم ، أحد علماء الرياض ، الذي قال عنه الشيخ محمد إن رسائله المتعددة تشهد على استمرار إقراره بصحة الدعوة عدة سنين ، لكنه أنكرها آخر الأمر[1] . ويعطي الشيخ سببين لتغيّر موقف سليمان صالحين لأن ينطبقا على مواقف آخرين غيره . أحدهما ما عبّر عنه بالبغي . وفسره بأن العامة ستقول لسليمان وأمثاله لِمَ لَمْ تنهونا عما كنا نفعل من محرمات قبل دعوة محمد ابن عبد الوهاب ؟ فاعتقدوا أن يأتيهم في هذا غضاضة وأن يكون فيه شرف لغيرهم . ويمكن أن يقال عن هذا الموقف بأن المعارضين خافوا أن يفقدوا شيئاً من مكانتهم الاجتماعية لدى الناس ؛ لأن هؤلاء سيتساءلون عن علمهم وإخلاصهم . فإذا كانوا لم يعرفوا حكم هذه الأمور قبل الشيخ محمد فعلمهم قليل . وإذا كانوا قد علموا الحكم وأخفوه فهم غير مخلصين .

أما السبب الثاني لتغيّر موقف سليمان في نظر الشيخ محمد فهو إنكار الأخير على الأول وأمثاله أكل السحت والرشوة[2] .

ومن الممكن قبول السبب الثاني من تعليل الشيخ ؛ لأن هذا الموضوع كان بطريقة ما من بين النقاط التي أوردها سليمان بن سحيم في رسالته الموجهة إلى العلماء خارج نجد ليقفوا ضد الدعوة ، كما سنرى فيما بعد .

لكن السبب الأول من التعليل لا يمكن قبوله دون تحفظ . فلو كان سليمان بن سحيم يرى أن اتّباعه لدعوة الشيخ أو تصديقه بها قد يهز من مكانته الاجتماعية لَما أيّد الدعوة منذ البداية . أما وأنه

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

قد أيّدها وبقي على ذلك التأييد سنين ثم غيّر موقفه فلا بد أن هناك أسباباً أخرى وراء هذا الموضوع . والمرجح أن هذه الأسباب هي ما أشير إليه سابقاً بالنسبة للعلماء الذين أيّدوا الشيخ في البداية حول الخطوط العريضة لدعوته ثم عارضوه آخر الأمر .

ومهما كانت الأسباب وراء تغيّر موقف سليمان بن سحيم بالنسبة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فإنه أصبح واحداً من أشد المعارضين النجديين لتلك الدعوة وأكثرهم نشاطاً ضد توسعها . وكان نشاطه متعدد الجوانب . فهو تارة يكتب الرسائل في تضليل الشيخ وتبديعه ، وتارة أخرى يستثير العلماء الآخرين للرد على دعوته . وهو أحياناً يردّ على دعاته ويحاول صد الناس عنهم ، وأحياناً يحرض الزعماء السياسيين ضده . ومن أساليبه،أيضاً،ترويج ما كتبه معارضو الدعوة ونشره بين الناس ، كما حدث بالنسبة لإسهامه في نشر كتاب القبّاني البصري ضد محمد بن عبد الوهاب بين سكان نجد[1] .

على أن الذي يهمنا أكثر من غيره في هذا البحث مناقشة تلك الرسالة التي بعثها سليمان بن سحيم إلى العلماء خارج نجد لإثارتهم ضد الشيخ ودعوته[2] . وواضح أن مجرد توجيهها إلى أولئك العلماء دليل على أن المعارضة النجدية للدعوة قد أصبحت تدرك ضعفها أمام قوة الشيخ المتزايدة على المستوى المحلي .

يذكر حسين بن غنام في موضع من كتابه أن سليمان بن سحيم بعث الطروس إلى علماء الأحساء والبصرة والحرمين ليقفوا

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٣١ - ٣٢ ، ١٠٦ و ١٣٩ .

(٢) ليس من أهداف هذا البحث توضيح صحة آراء الطرفين من الناحية الشرعية. فهذا أمر معروف لدى الكثيرين ، وإنما الهدف تبيين ما حدث من الناحية التاريخية فقط .

ضد الشيخ [1] . بينما يذكر في الموضع الذي أورد فيه رسالة ابن سحيم أنها كانت مرسلة إلى أهل البصرة والأحساء [2] . وهذا يعني أنه أرسل غير هذه الرسالة إلى علماء الحرمين . ولعل مما يقوي هذا الاعتقاد ما ورد في رسالة الشيخ محمد إلى سليمان بن سحيم من أنه شكاه عند أهل الحرمين [3] . على أن الظاهر من رسالة ابن سحيم ذاتها أنها كانت موجهة إلى كل من تصل إليه من علماء المسلمين . وهذا لا يمنع بطبيعة الحال أنها أساساً كانت مرسلة إلى علماء المناطق المذكورة لكونها أقرب المناطق إلى نجد مركز الدعوة .

تبدأ رسالة ابن سحيم بالأسلوب المتبع عادة بين العلماء ؛ وذلك بإظهار التواضع من جانب المرسل وتعظيم المرسل إليه .

« من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ثم ينتقل إلى إخبارهم بظهور محمد بن عبد الوهاب في نجد دون أن يذكر اسمه ؛ ربما محاولة منه للتقليل من شأنه ، واصفاً إياه بصفات تغري بوقوفهم ضد دعوته :

« الذي يحيط به علمكم أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل مضل ضال من بضاعة العلم والتقوى عاطل ، جرت منه أمور فظيعة وأحوال شنيعة . منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع ، وشيء لم يتعد أماكننا بعد » .

ثم يوضح هدفه من إخبارهم بذلك وهو الرد على « بدعه وضلالاته وجهله وهفواته » .

---

(1) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .
(2) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١١ .
(3) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

وبعد المقدمة الإخبارية الإغرائية يبدأ سليمان بتعداد مآخذه على محمد بن عبد الوهاب وهي خمس عشرة مسألة ، في بعضها ما قد يتفرع منه مسألة أخرى ، وعلى بعضها قليل من تعليقه .

يقول ابن سحيم : فمن بدعه وضلالته :

١ ـ أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة ، زيد بن الخطاب وأصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها ، لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع . والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ . وعمد أيضاً إلى مسجد في ذلك وهدمه وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى .

٢ ـ ومنها أنه أحرق **دلائل الخيرات**[1] لأجل قول صاحبها سيدنا ومولانا . وأحرق أيضاً **روض الرياحين**[2] ، وقال هذا روض الشياطين .

٣ ـ ومنها أنه صح عنه أنه يقول : لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها ، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب . أما سمع وجه قوله تعالى ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ ؟ .

---

(١) دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ، تأليف محمد الجزولي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ ، وكان يتلى في كثير من الأقطار الإسلامية ؛ خاصة تركيا . انظر حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، اسطنبول ، ١٩٤١ م ، ج ١ ، ص ٧٥٢ .

(٢) روض الرياحين في حكايات الصالحين ، تأليف عبد الله اليافعي اليمني المتوفى سنة ٧٦٨ هـ . ويحتوي على خمسمائة قصة عن الأولياء . انظر كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٩١٨ .

٤ ـ ومنها أنه ثبت أنه يقول الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء . وتصديق ذلك أنه بعث إليّ كتاباً يقول فيه : أقروا أنكم قبلي جهال ضلال .

٥ ـ ومن أعظمها أن من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره . ومن وافقه وصدقه في كل ما قال قال أنت موحد ولو كان فاسقاً محضاً أو مكاساً . وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله .

٦ ـ ومنها أنه بعث إلى بلداننا كتاباً مع بعض دعاته بخط يده وحلف فيه بالله أن علمه هذا لم يعرفه مشائخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم في زعمه ، وإلا فليس له مشائخ ، ولا عرفه أبوه ولا أهل العارض . فيا عجباً إذا لم يتعلمه من المشائخ ولا عرفه أبوه ولا أهل قطره فمن أين علمه ؟ وعمن أخذه ؟ هل أوحي إليه أو رآه مناماً أو أعلمه به الشيطان ؟ وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض .

٧ ـ ومنها أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي .

٨ ـ ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول لأجل أنهم يأخذون النذور . ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده .

٩ ـ ومنها أنه ثبت عنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمة ، قال اختلافهم نقمة .

١٠ ـ ومنها أنه يقطع بفساد الوقف ويكذب المروي عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقّفوا .

١١ ـ ومنها إبطال الجعالة على الحج .

١٢ ـ ومنها أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة ، وقال السلطان فاسق لا يجوز تمجيده .

١٣ ـ ومنها أنه قال: الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليلتها بدعة وضلالة تهوي بصاحبها إلى النار .

١٤ ـ ومنها أنه يقول: الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثاً إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة إن ذلك رشوة . هذا القول بخلاف النصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين: لا أقضي بينكما إلا بجعل .

١٥ ـ ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى ويدخل مع ذلك دفع شر الجن ، ويقول: ذلك كفر واللحم حرام . فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط ، وذكره في حاشية المنتهى».

وبعد أن ذكر سليمان بن سحيم هذه المآخذ عاد إلى حث العلماء على تبيين الحق لأن كثيراً من الناس في نجد قد افتتنوا بسبب من نادى بها ـ على حد قوله [(١)] .

وقد أورد ابن غنام رسالة بعثها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم الذي وصفه بأنه مطوّع من أهل المجمعة . وقال إن الشيخ أرسلها إليه جواباً عن سؤاله إياه عن الكتاب الذي بعثه سليمان بن سحيم إلى أهل البصرة والأحساء [(٢)] . ومعنى هذا أن رسالة الشيخ إلى عبد الله كانت حول رسالة سليمان بن سحيم التي سبق ذكر تفاصيلها . فماذا تتضمن رسالة الشيخ إلى عبد الله من أمور ؟ .

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١١١ ـ ١١٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١١ .

ذكر الشيخ لعبد الله في مستهل رسالته أن المسائل التي بلغتهم عنه في كتاب من العارض جملتها أربع وعشرون مسألة . وأوضح أن الذي أرسلها إليهم سليمان بن سحيم . وقد فصّل أكثر هذه المسائل في رسالته فقال :

والمسائل التي شنع (سليمان بن سحيم) بها منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله إني :

١ ـ مبطل كتب المذاهب .
٢ ـ أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء .
٣ ـ ادّعي الاجتهاد .
٤ ـ خارج عن التقليد .
٥ ـ أقول إن اختلاف العلماء نقمة .
٦ ـ أكفّر من توسل بالصالحين .
٧ ـ أكفّر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق .
٨ ـ أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها .
٩ ـ ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب . .
١٠ ـ أنكر زيارة قبر النبي ﷺ .
١١ ـ أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم .
١٢ ـ أكفّر من يحلف بغير الله .

فهذه إثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول : ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ . وأما المسائل الأخرى وهي :

١ ـ أني أقول لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله .

٢ ـ أني أعرّف من يأتيني بمعناها .

٣ ـ أني أقول الإله هو الذي فيه السر .

٤ ـ تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك [1] .

٥ ـ أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمى الله عليها إذا ذبحها للجن .

فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها».

وبعد أن وضح الشيخ محمد الحكم في هذه المسائل الخمس وفصّله قال : «أما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله ، وبيننا وبينكم كلام أهل العلم» [2] .

وبمقارنة الرسالتين رسالة سليمان بن سحيم التي بعثها إلى العلماء خارج نجد ورسالة الشيخ إلى عبد الله بن سحيم التي يقول ابن غنام إنها توضيح لرسالة سليمان السابقة يتبينّ أن المسائل التي ذكر سليمان خمس عشرة مسألة رئيسية ، بينما ذكر الشيخ لعبد الله أن المسائل الموجودة في الكتاب القادم إليهم من سليمان أربع وعشرون مسألة . وقبل مناقشة حقيقة ما قاله كل من الطرفين وتوضيح ما في ذلك من مبالغة أو تحوير ينبغي إيضاح تطابق المسائل المذكورة في الرسالتين أو عدم تطابقها .

وما دامت رسالة سليمان بن سحيم هي الأصل الذي رد عليه في رسالة الشيخ إلى عبد الله بن سحيم على حد قول ابن غنام فلا بد من البدء بالمسائل الموجودة فيها أولاً .

---

(١) لعل العبارة في الأصل تكفير الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك .

(٢) ابن غنّام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١١٣ ـ ١٢٢ .

يلاحظ أن المسائل ذات الأرقام ٢ و٥ و٦ و١٠ و١١ و١٢ و١٣ و١٤ في رسالة سليمان غير موجودة في رسالة الشيخ إلى عبد الله . بينما توجد فيها المسائل ذات الأرقام ٣ و٤ و٨ و٩ و١٥ .

أما بالنسبة للمسألة الأولى فإن رسالة الشيخ إلى عبد الله لم تتطرق إليها بصفتها مسألة قائمة بذاتها . وإنما أشار إليها في توضيحه للمسائل الخمس التي قال إنه قائلها ، حيث ذكر أن ابن القيّم يرى وجوب هدم مواضع الشرك ، وقال : وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور [1] . كما أشار إلى هذا الموضوع حين خاطب عبد الله بقوله : العجب من قولك إني هادم قبور الصحابة ، وعبارة الإقناع في الجنائز : يجب هدم القباب التي على القبور . ولكن من الواضح أنه لم يجعل ذلك رداً مباشراً على النقطة التي أثارها سليمان بن سحيم .

وأما بالنسبة للمسألة السابعة فإنها أيضاً لم ترد في رسالة الشيخ قضية منفردة ، وإنما وردت إشارة إليها أثناء كلامه عن المسائل الخمس المذكورة حين تحدث عن شخص اسمه عبد الغني وقال : اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون [2] .

وعند تأمل رسالة الشيخ إلى عبد الله بن سحيم يتضح أن فيها مسائل لم ترد في رسالة سليمان بن سحيم إلى العلماء خارج نجد . وهذه هي المسائل ذات الأرقام ١ و٣ و٤ و٦ و٧ و١٠ و١١ و١٢ . وهي ثمان مسائل من الاثنتي عشرة مسألة التي نفى الشيخ

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٠ و١٢٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

قولها . وكذلك المسائل ذات الأرقام ١ و٢ و٣ من المسائل الخمس التي أثبت قولها .

وواضح أن الشيخ تكلم في رسالته إلى عبد الله بن سحيم عن سبع عشرة مسألة من أربع وعشرين ذكر في بداية الرسالة أن سليمان بن سحيم بعثها بكتاب إلى عبد الله ومن معه . ومن هنا فإن كتاب سليمان المرسل إلى عبد الله بن سحيم ومن معه غير الرسالة المرسلة إلى العلماء خارج نجد . ولكنه يتضمن بعضاً من المسائل المذكورة فيها .

ولنعد الآن إلى مناقشة ما قاله سليمان بن سحيم عن الشيخ محمد في رسالته إلى علماء البصرة والأحساء وما فيها من حقيقة أو مبالغة .

ذكر سليمان هدم الشيخ لقبور الصحابة في الجبيلة وهدم المسجد المقام حولها . ومن الثابت تاريخياً أن الشيخ فعل ذلك [1] . وقد أجاب عن هذا الموضوع إجابة غير مباشرة في رسالته إلى عبد الله بن سحيم ـ كما سبق ـ وتولى ابن غنّام الرد بالتفصيل على هذه المسألة [2] .

أما المسألة الثانية وهي إحراق كتابي دلائل الخيرات وروض الرياحين فقد نفى الشيخ في رسالته إلى عبد الرحمن السويدي إحراقه للكتاب الأول ، كما نفى أنه ينهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان ، وأشار إلى أن سبب ما روّج عنه حول هذا الموضوع أنه أشار على من قبل نصيحته ألاّ يصير في قلبه أجل من كتاب الله

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن [1] . وعلّق ابن غنام على قول سليمان بن سحيم إن الشيخ محمد أحرق روض الرياحين وسماه روض الشياطين بقوله : هذا من الكذب البهتان المبين [2].

وتعليل الشيخ محمد لما أشيع عنه حول كتاب الدلائل يثير تساؤل الباحث . ذلك أن الإحراق شيء والنصيحة بالّا يصير في قلوب الناس أي كتاب أجل من كتاب الله شي آخر . ويلاحظ أن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حين تكلم عما يعتقده علماء الدعوة قال :

« ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات أصلاً إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين ، وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق ، فإنه قد حرّمه جميع العلماء على أنا لانفحص عن مثل ذلك ، وكالدلائل »[3] .

كما يلاحظ أيضاً أن الصنعاني مدح الشيخ بقوله :

وحـرّق عمـداً للدلائـل دفتـراً
أصـاب ففيهـا مـا يجـلّ عن العـد

ولم يعلّق ابن غنام وابن بشر اللذان أوردا هـذا البيت بأي شيء عليه [4] .

وقد نفى الشيخ محمد في رسالته إلى عبد الله بن سحيم ما

---

(1) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٣ .
(2) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
(3) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الثانية ، جدة ، ١٣٨٥ هـ ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
(4) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٧ ؛ ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩ .

نسبه إليه سليمان بن سحيم من أقوال حول الحجرة النبوية وميزاب الكعبة وادعاء أن الناس منذ ستمائة سنة ليسوا على شيء . وليس في كتابات الشيخ ما يدل على خلاف ذلك النفي .

أما بالنسبة للمسألة الخامسة وهي قول سليمان بن سحيم إن الشيخ يكفّر من لم يوافقه في كل ما قال . . . إلخ فقد تولّى الرد عليها ابن غنام . لكنه فسر كلام ابن سحيم بغير ما يدل عليه إذ قال : إنه يريد القول بأن من لم يوافق الشيخ على توحيد الله وإخلاص العبادة بجميع أنواعها . . فإن الشيخ يكفّره . ومن وافقه على ذلك سماه موحداً ولو كان فاسقاً أو مكاساً . وهذا صحيح . قاله الشيخ كما قاله غيره من العلماء [1] .

وأما المسألة السادسة وهي نسبة ابن سحيم إلى الشيخ قوله بأن مشائخه وعلماء العارض وأباه لم يعرفوا العلم الذي يدعو إليه فإن الشيخ ـ حسب ما توافر من مصادر ـ لم يرد على ابن سحيم بشأنها . لكن ما ورد في كتابات الشيخ محمد يؤيد ما نسبه ابن سحيم عنه في هذا الموضوع . ففي رسالة الشيخ التي بعثها عن طريق عبد الله بن عيسى إلى أهل الرياض ومنفوحة قال :

« والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم واعتقد من عرفني أن لي معرفة . وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله ، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منّ الله به . وكذلك مشائخي ما منهم رجل عرف ذلك . فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت ، أو زعم عن مشائخه أن أحداً عرف ذلك فقد كذب وافترى » [2] .

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

كما قال في رسالة أخرى إلى عبد الله بن عيسى :

« أنتم ومشائخكم ومشائخهم لم يفهموا دين الإسلام ولم يميّزوا بين دين محمد ﷺ ودين عمرو بن لحيّ »[1] .

والمسألة السابعة في رسالة سليمان بن سحيم تكفير الشيخ لابن الفارض وابن عربي . وقد تقدم الكلام على أن الشيخ أشار إلى ابن عربي في رسالته إلى عبد الله بن سحيم . وقد قال في رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة : إن العلماء ذكروا أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية . وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى[2] . وفي تعليق عبد الله بن عيسى الذي كان، حينذاك ، مؤيداً للشيخ على هذه الرسالة قال : إن من تمذهب بمذهب ابن عربي وابن الفارض فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلاً ؛ لأنهما ينتحلان نحلا تكفّرهما . وقد كفرهما كثير من العلماء[3] .

وفيما يتعلق بالمسألة الثامنة وهي القول بتكفير الشيخ لمن يأخذون النذور وتكفير من لم يكفّرهم فقد أوضح الشيخ في رسالته إلى عبد الله بن سحيم أنه يقول بتكفير الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله وآخذ النذر كذلك[4] . وأشار إلى أنه يكفّر شمسان وأولاده ومن شابههم لأنهم ـ كما يقول ـ يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله[5] .

أما المسألة التاسعة وهي ذكر ابن سحيم أن الشيخ يقول: إن

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، وانظر أيضاً ما هو قريب من هذا الكلام في المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٢ .

اختـلاف الأئمة نقمـة فقد نفى الشيـخ قولـه ذلك من بـين نفيه للمسائل الاثنتي عشرة التي نفى قولها في رسالتـه إلى عبد الله بن سحيم . لكن يلاحظ أنه وضع العلماء بدلا من الأئمة [1] . على أنه في موضع آخر قال : وأما قولهم اختلافهم رحمة فهذا باطل ، بل الرحمة في الجماعة،والفرقة عذاب [2] .

المسألة العـاشرة قضيـة الوقف . وقـد أوضح ابن غنـام أن الوقف الذي أنكره الشيخ هو وقف الجنف . وهو ما كان مخالفاً لما ثبت في الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه . وقد شرح الشيخ نفسه هذا الموضوع شرحاً وافياً وبيّن الجائز منه والممنوع [3] .

المسألة الحادية عشرة إبطال الجعالة على الحج . وقد أشار ابن غنام إلى ما يبطله الشيخ وهو ألاّ يحج إلا أن يعطى أجراً أو جعلا على ذلك [4] .

المسألة الثانية عشرة ترك تمجيد السلطان في الخطبة . قال ابن سحيم إن الشيخ ترك ذلك . وقد صدق في هذا القول . لكنه علّل الترك بأن الشيخ يرى أن السلطان فاسق لا يجوز تمجيده . ولكن ابن غنام يقول.إنه تركه لأن تمجيده من البدع المحدثة [5] .

المسألة الثالثة عشرة قول ابن سحيم إن الشيخ يقول : إن الصلاة على النبي يوم الجمعة وليلتها بدعة . وقد أوضح الشيخ في رسالته إلى سليمان بن سحيم هذا الموضوع وأبـان أن ما يسمّى

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٢٤ ـ ١٢٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣١ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

بالتذكير يوم الجمعة للتهيؤ للصلاة بدعة أدخلت في القرن الثامن الهجري . وردّ عليه قوله إنها بدعة حسنة بقوله : أنت تقول بدعة حسنة والنبي ﷺ يقول : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ولم يستثن شيئاً تشير علينا به [1] . كما أوضح ابن غنام ، أيضاً ، إبهام عبارة سليمان بن سحيم وما نهى الشيخ عنه حقيقة وهو ما كان يفعل في كثير من البلدان مما يُسمَّى بالتذكير [2] .

المسألة الرابعة عشرة ما يأخذه القضاة من المتخاصمين . وقد أوضح الشيخ رأيه حول هذا الموضوع في إجابته لمحمد بن صالح . ومما قاله : « إن الرشوة ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل » . وواضح أنه لا يختلف في هذا مع سليمان بن سحيم وأمثاله من الخصوم . ولكنه يضيف إلى ذلك قوله : « وهي أيضاً ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه حين يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة » [3] . والظاهر أن الخلاف بين الطرفين كان حول هذه النقطة بالذات . هذا وقد أورد ابن غنام أقوال العلماء من مختلف المذاهب حول هذا الموضوع [4] . وهي تؤيد ما ذهب إليه الشيخ .

المسألة الخامسة عشرة تكفير من يذبح الذبيحة . . . الخ . وقد ذكر الشيخ في رسالته إلى عبد الله بن سحيم أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمّى الله عليها [5] . كما أوضح في رسالته إلى سليمان بن سحيم صحة موقفه هذا [6] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٣٢ - ١٣٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٣٣ - ١٣٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

وعلى أية حال فهناك مسائل لم ترد في رسالة سليمان بن سحيم إلى علماء البصرة والأحساء ، ولكنها وردت في رسالة الشيخ محمد إلى عبد الله بن سحيم على أنها مناقشة أو أجوبة لنقاط جاءت في كتاب من سليمان إلى عبد الله ومن معه . وقد سبقت الإشارة إلى أن الشيخ نفى اثنتي عشرة مسألة مما ادّعاه سليمان في الكتاب المذكور ، كما سبق أن قورنت المسائل الواردة منها في رسالته إلى العلماء خارج نجد . وهي المسائل ذات الأرقام ٢ و ٥ و ٨ و ٩ فماذا عن البقية منها ؟ .

لقد نفى الشيخ ما ادّعاه سليمان عليه بشأنها . والمتتبع لكتابات الشيخ محمد لا يجد فيها ما يؤيد هذا الادعاء أو يخالف ذلك النفي . لكنه يجد فيها توضيحاً وتفصيلاً يختلفان عن الإطلاق أو المبالغة اللذين وردا في كلام سليمان بن سحيم . من ذلك ـ مثلاً ـ ما قاله سليمان عن تكفير الشيخ للبوصيري لقوله : يا أكرم الخلق . وقد سبقت الإشارة إلى أن الشيخ نفى ما ادعاه سليمان عنه بهذا الخصوص مع نفيه للاثنتي عشرة مسألة السابقة . وعند تتبع كلام الشيخ عن هذه المسألة في مواضع أخرى من كتاباته يلاحظ أنه يعجب لمن أنكر عليه القول بأن البوصيري أخطأ في قوله يا أكرم الخلق . . . الخ [1] ، وأنه ينكر المبالغة الواردة في بعض أبيات بردته [2] . بل إنه يقول : إن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيه بعض المصنفين على جهالة لم يفطن له . من ذلك قوله في البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم [3]

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .
(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

غير أنه مع ذلك كله لم ينص على تكفير البوصيري عيناً بسبب هذا القول ، بل الواضح من أسلوب الشيخ أنه يلتمس له عذراً وهو الجهل وعدم الفطنة . ومعروف ما يوجد من فرق بين الحكم على قول معين بأنه شرك والحكم على قائله ؛ خاصة إذا كان قد توفي . وقد أوضح هذا الموقف ابن الشيخ عبد الله بالتفصيل [1] .

أثر رسالة ابن سحيم :

إذا تجاوز الباحث مناقشة ما جاء في رسالة سليمان بن سحيم من حيث صحة ما ادعاه عن الشيخ فيها وعدم صحته من الناحية التاريخية إلى محاولة معرفة ما ترتب عليها من نتائج يجد أنها لقيت صدى لدى بعض العلماء الذين وجهت إليهم . صحيح أن قسماً من هؤلاء العلماء كان قد سمع عن دعوة الشيخ محمد بصورة من الصور قبل ذلك . لكن تحديد ابن سحيم لمسائل معينة وحثهم على الردّ عليها شجعا فريقاً منهم على التصدي للدعوة التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ومن بين هؤلاء عبد الله بن عبد اللطيف ومحمد بن عفالق من الأحساء ، والقبّاني من البصرة [2] . غير أن محاولة أولئك العلماء من خارج نجد لإيقاف دعوة الشيخ

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) انظر ابن غنام ، (المصدر السابق ج ١ ، ص ص ٥٠ - ٦٠) حول عبد الله بن عبد اللطيف . وكان من نشاط ابن عفالق ضد الشيخ محمد تأليفه رسالة بعنوان « تهكّم المقلّدين بمن ادّعى تجديد الدين » ، وهي موجودة في مكتبة برلين تحت رقم ٢١٥٧ . أما القبّاني فمن بين كتاباته ضد الشيخ : « كشف الحجاب عن وجه ضلالة ابن عبد الوهاب » . وهو موجود في الخزانة التيمورية ، عقائد ١٨٦ . وقد أشار الشيخ محمد رحمه الله إلى ترويج بعض خصومه لكتاب القبّاني في نجد ، ومن بينهم ابن سحيم ، كما سبق ذكره .

محمد بالإقناع والدليل فشلت كما فشلت المحاولات داخل نجد في هذا الصدد . ومن هنا اتجه العلماء المعارضون ، بصفة عامة إلى الزعماء السياسيين ليضعوا ثقلهم في ميدان المعركة . وكانت وسيلتهم لاجتذاب هؤلاء الزعماء إلى جانبهم ذات شقين : الأول زعموا أن محمد بن عبد الوهاب خارج عن الصراط المستقيم وأنه يخشى منه إفساد عقائد العامة . وبصفة هؤلاء الزعماء حكاماً مسلمين فإن عليهم أن يقيموا المعوج أو يقضوا عليه ، محافظة على عقائد رعاياهم . والثاني ادّعوا أن من بين أهداف محمد بن عبد الوهاب إثارة العامة على الخاصة والأمراء . ورجل من بين أهدافه هذا الأمر سوف يفسد الأوضاع ، وخطره كبير على هؤلاء الزعماء إن لم يتداركوا الموقف ويضعوا حداً لحركته .

وكان من نتائج هذه الدعاية أن كسب العلماء المعارضون للشيخ سليمان بن محمد ، رئيس بني خالد وحاكم الأحساء ، إلى جانبهم . وكان أنسب زعيم يمكن أن تستفيد منه المعارضة بهذا الشأن لما هو معروف من علاقة عثمان بن معمر ، أمير بلدة العيينة ، به وعلاقة مدينته بمنطقة الأحساء تجارياً وسياسياً ، ولما لسليمان من قوة عسكرية لا يستهان بها مقارنة بقوة الزعماء النجديين المفككين حينذاك . ومن المعروف ، أيضاً ، أن موقف سليمان بن محمد الزعيم الخالدي غيّر خط مسيرة حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكنه لم ينجح في إيقافها أو القضاء عليها .

موقف الشيخ محمد من سليمان بن سحيم

بطبيعة الحال كان موقف الشيخ من سليمان حينما كان معترفاً بصدق دعوته موقفاً لا يختلف عن موقف أي مصلح من أولئك الذين يعترفون بصحة ما يدعو إليه . وبعد اختلاف موقف سليمان

منه حاول في بداية الأمر أن يعامله بأسلوب رقيق لعله يعود إلى سابق تأييده له [1] . لكنه حين تأكد من تصميمه على معاداته وتبين له نشاطه المكثف ضد دعوته نهج نحوه أسلوباً صارماً يتضح أكثر ما يتضح في تلك الرسالة التي بعثها إليه من العيينة . فالملاحظ أن الشيخ لم يتبع الأسلوب الشكلي الذي اعتاد أن يلتزم به في مراسلاته مع الآخرين ، لا من حيث الألفاظ المستعملة ولا من حيث طريقة ترتيبها . فقد جرت عادة الشيخ أن يبدأ رسائله بالبسملة ثم بعبارة من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان . لكنه في رسالته إلى سليمان بدأ بالبسملة ولم يقل عبارته المعتادة ، وإنما قال مباشرة :

« الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك أزعجت قرطاسة فيها عجائب » . . . إلخ .

ومن الواضح عنف بداية هذه الرسالة . ثم يعرب الشيخ عن مدى غضبه على سليمان واستهتاره به بأسلوب فيه من طابع اللهجة العامية بعض الشيء فيقول :

« إنك أنت وأباك مصّرحون بالكفر والشرك والنفاق . ولكن صاير لكم عند خمامة في معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء ونداريكم وودنا أن الله يهديكم ويهديهم » [2] .

ثم يبيّن له أموراً كان يتعاطاها ـ بل هي دينه ودين أبيه ـ على حد قول الشيخ ، ويذكر أن الفقهاء يكفّرون من فعلها [3] ، كما يبيّن له نشاطه ضد الدعوة مثل اتهامه لها بأنها مذهب خامس ، وشكواه عند أهل الحرمين . ويصفه بأنه « رجل جاهل مشرك

---

(١) ابن غنّام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤١ .

مبغض لدين الله »[1] ، ويغري بعض الشخصيات المشهورة في الرياض ألاّ يصلّوا خلفه وأن يعزلوه عن الإمامة [2] .

ولعل أدل شيء على إدراك الشيخ لخطورة ابن سحيم على الدعوة وبغضه له ما ذكره في رسالته إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب حيث قال :

« والله الذي لا إله إلا هو لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم ، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم ، لا أجد في نفسي حرجاً من ذلك » [3] .

والمصادر لا تذكر شيئاً واضحاً عن نشاط سليمان بن سحيم ضد الدعوة بعد انتقال الشيخ محمد من العيينة إلى الدرعية [4] ، ومن المرجح أن نشاطه المعادي لها لم يتوقف وإنما بات ضعيفاً . ومن المحتمل أنه كان له دور معين في تشجيع دهام بن دواس ، أمير الرياض ، على اتخاذ سياسة معارضة للانضمام إلى دولة الدرعية الجديدة المعتمدة على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

والملاحظ أن اسم سليمان بن سحيم قد ورد ضمن أسماء أولئك الذين ذكر ابن غنام مغادرتهم الرياض إلى منفوحة ، ثم

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .
(٤) لكن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ذكر في كتابه الصادر هذه السنة ، أن نشاط ابن سحيم ضد الدعوة بدأ بعد استقرار ابن عبد الوهاب في الدرعية . انظر علماء نجد خلال ستة قرون ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، ج ١ ، ص ٣٢٢ . ولكنه من الواضح خطأ الشيخ عبد الله في هذه القضية . فنشاط ابن سحيم القوي ضد دعوة الشيخ محمد كان والأخير لا يزال في العيينة .

هجرتهم منها إلى الدرعية سنة ١١٦٨هـ [1] ، وليس من الواضح ما إذا كان هذا الرجل هو ذلك المعارض لدعوة الشيخ محمد أم لا .
أما الشيخ عبد الله البسام فيرجّح أن ابن سحيم حين رأى نجاح الدعوة في نجد سافر إلى الزبير، كما يرجّح أن وفاته كانت هناك سنة ١١٨١ هـ [2] .

ومما ذكرته المصادر أن دهام بن دواس طلب الصلح من الدرعية سنة ١١٦٧هـ وأجيب إليه [3] . ولعل هذه الخطوة التي اتخذها دهام قد أقنعت الكثيرين بضعف المعارضة النجدية لدعوة الشيخ محمد وأنصارها بدرجة كبيرة . ومن المحتمل أن يكون من بين هؤلاء المقتنعين سليمان بن سحيم . ولذلك أذعن للأمر الواقع وانتقل إلى الدرعية ، ولا يمنع انتقاله إليها مغادرته نجداً إلى الزبير فيما بعد .

ومهما يكن من أمر فإن شهرة سليمان بن سحيم وهو معارض لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تفوق كثيراً شهرته وهو مذعن لها أو هارب من قوتها .

---

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦ .
(٢) انظر كتابه السابق الذكر ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .
(٣) ابن غنّام ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩ ؛ ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣ .

ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

نيبور ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (*)

توطئة:

شهد القرن الثامن عشر الميلادي زيادة اهتمام بعض الأوربيين باللغة العربية والرغبة في معرفة الشيء الكثير عن جزيرة العرب. ولعل من أوضح شواهد ذلك الاهتمام وتلك الرغبة اقتراح العالم ميخائيلس أستاذ علم اللغات في جامعة غوتنجن إرسال بعثة علمية إلى الجزيرة العربية لمحاولة وضع أجوبة عما كان يدور في ذهنه وأذهان آخرين من أمثاله في أوربا، حينذاك، من تساؤلات تتعلق بمختلف جوانب الحياة في هذه الجزيرة. وقد لقي ذلك الاقتراح ترحيباً من قِبَل ملك الدانمارك، فريدريك الخامس، فعين خمسة علماء للقيام بهذه المهمة، ووضع تحت تصرفهم الإمكانات اللازمة للسفر، كما قدمت إليهم بعض الأكاديميات العلمية الأوربية ما كان لديها من معلومات عن هذه البلاد. وكان من بين هؤلاء العلماء الخمسة المهندس الألماني الأصل كارستن نيبور.

كان نيبور المولود في هانوفر سنة ١٧٣٣ م يعرف شيئاً من اللغة العربية. وحين وصل إلى اليمن تعرّف برجل لبناني ماروني علّمه لهجة البلاد العامية. وكان هذا - إضافة إلى ارتدائه اللباس الشرقي ومظهره البسيط ومحاولة التكيّف مع الظروف المحلية - من الأمور التي ساعدته على تقبّل الناس له وتعاونهم معه.

ومن المعروف أنه لم يعد إلى أوربا من أفراد البعثة العلمية المذكورة إلا نيبور الذي وضع كتاباً باللغة الألمانية ضمّنه ما رآه ودرسه في جزيرة العرب. وقد طبع هذا الكتاب في كوبنهاجن سنة

(*) سبق أن نشر هذا التعليق في مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثاني، ١٣٩٨هـ، ص ص ١٧٥ - ١٨٣.

١٧٧٢ م . ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية . وبعد ذلك ترجمه روبرت هيرون إلى اللغة الانجليزية بعنوان : **رحلات عبر جزيرة العرب وأقطار أخرى في الشرق**. وصدرت هذه الترجمة في أدنبرا سنة ١٧٩٢ م ، وهي المعوّل عليها في هذا المقال .

وحينما كان نيبور في شرق الجزيرة العربية كان قد مضى على تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود عشرون عاماً أو أكثر بقليل . وكانت علامات نجاح دولة الدرعية الجديدة ضد خصومها داخل نجد واضحة كل الوضوح . بل إن هذه الدولة كانت قد أثبتت صموداً قوياً في وجه بعض القوى من خارج نجد . ففي سنة ١١٧٢ هـ (وهي تقابل في معظم شهورها سنة ١٧٥٩ م) تمكنت الدرعية من صدّ هجوم حاكم الأحساء ، عريعر بن دجين ، على الجبيلة وأجبرته على العودة إلى بلاده دون تحقيق أي نجاح . وقد بلغ شعور قادة الدرعية بالقوة درجة جعلتهم يقومون بغارة خاطفة ضد منطقة الأحساء نفسها سنة ١١٧٦ هـ . وواضح أن تلك الغارة قصد بها في تلك المرحلة إيضاح قوة الدولة الجديدة في نجد أمام المعارضة داخل هذا الإقليم وأمام حاكم الأحساء نفسه ، وإثبات أنها قادرة على رد هجماته بهجمات مماثلة . وهذه الدولة وإن كانت قد منيت بهزيمة شديدة في الحائر على يد صاحب نجران سنة ١١٧٨ هـ إلا أنها أبدت شجاعة كبيرة في صد هجوم حاكم الأحساء على عاصمتها بعد ذلك بقليل .

عرض ومناقشة ما كتب نيبور عن الدعوة :

يكاد يتفق الباحثون على أن كتاب نيبور من الكتب الأوربية الأولى التي يقلّ فيها التعصب ضد العرب والإسلام . وما ورد فيه من أخطاء هنا وهناك مرده فيما يبدو إلى الجهل بالأمور لا التعصب

الديني . وكتابه أول مؤلّف نقل أخبار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أوربا . وقد اعترف نيبور بأنه لم تتح له فرصة مقابلة أي فرد من أتباع الشيخ . ولذا فانه لن يتمكن من إعطاء أية فكرة مؤكدة عن مبادىء دعوته[1] . وقد نقل أخبارها عن أناس ليسوا من أتباعها . وما دام هذا هو الوضع بالنسبة له فليس غريباً أن يكون ما كتبه عنها بعيداً في غالبه عن الحقيقة التاريخية .

تكلم نيبور عن هذه الدعوة في فصل مكوّن من ست صفحات تقريباً . وقد جعل عنوان هذا الفصل « الديانة الجديدة في نجد » . وكرر استعمال هذا التعبير عدة مرات بعد ذلك . وفي مستهل حديثه عن الدعوة قال : إنه يوجد في منطقة نجد صابئة ومسيحيون من أتباع سانت جون وقليل من اليهود »[2] . ومعروف أن هذا الادعاء لا يستند إلى أي دليل تاريخي ولا يستحق أي تعليق .

ثم تابع كلامه عن عقيدة أهل نجد فذكر أن بقية السكان محمديون ـ وهذا تعبير خاطيء جرى عليه كثير من الكتاب الغربيين ـ وأنهم كانوا سنيين محافظين ، غير أنه منذ فترة قصيرة ظهرت في إقليم العارض ديانة جديدة أحدثت ثورة في أسلوب الحكم في جزيرة العرب ، ويحتمل أن تؤثر أكثر فأكثر في حالة البلاد على وجه العموم .

ولعل النقطة الجيدة في كلام المؤلف هنا إشارته إلى ما أحدثته دعوة الشيخ وما يمكن أن تحدثه وانطباق ذلك مع الواقع التاريخي .

---

(1) Niebuhr (tr. R. Heron), Travels through Arabia and Other Countries in the East, Edinburgh, 1792; Vol. II, p.134.

(2) Ibid, Vol. II, p.130.

وحين تناول نيبور حياة صاحب الدعوة قال : إن مؤسس هذه الديانة عبد الوهاب من بلدة العيينة في العارض . ويظهر أنه كان يعتقد بأن عبد الوهاب كان البادىء بالدعوة وأن محمداً كان مكملاً لعمله ؛ إذ يقول في مكان آخر من هذا الفصل : « إثر وفاة عبد الوهاب تولى ابنه محمد السلطة نفسها واستمر في تطبيق آرائه »[1] .

في سنة ١١٧٩ هـ توفي الأمير محمد بن سعود وخلفه ابنه عبد العزيز . وفي هذه السنة أيضاً كان نيبور في المنطقة الشرقية من جزيرة العرب . ويبدو أن خبر وفاة القائد السياسي في الدرعية وتولي ابنه مكانه كان مبعث الخلط لدى هذا المؤلف البعيد عن سير الحوادث في نجد . ولهذا اعتقد أن المتوفى صاحب الدعوة وأن محمد ابن عبد الوهاب الموجود فعلاً كان ابنه وخليفته .

ويذكر نيبور عن صاحب الدعوة أنه درس أثناء شبابه العلوم الموجودة في وطنه جزيرة العرب . ثم قضى بعض الوقت في البصرة . وقام بعدة رحلات إلى بغداد وبلاد فارس[2] .

ولعل هذه أول إشارة ظهرت في كتاب حول قيام الشيخ محمد برحلات إلى مناطق غير التي ذكرها المؤرخون السلفيون والمقرّبون من الشيخ وهي الحجاز والأحساء والبصرة ؛ إذ أن إشارة نيبور هذه قبل إشارة عبد اللطيف الشوشتري المولود سنة ١١٧٠ هـ[3] وقبل لمع الشهاب المدوّن سنة ١٢٣٣ هـ والذي اعتمد عليه بعض الكتاب عرباً وغير عرب في هذا الموضوع . ورغم قدم هذه الإشارة فإنه من

---

(1) Ibid. Vol. II, pp.132 - 33

(2) Ibid. Vol. II, p.131

(٣) انظر مجلة العرب سنة ١٣٩٠ هـ ، ج ٩ ، ص ٨٦١ .

المرجح أن الشيخ محمداً لم يسافر إلا إلى الأماكن التي ذكر المؤرخون والكتاب المقربون منه لسببين : الأول أن هؤلاء أدرى بتفاصيل حياة رائدهم ، والثاني أنهم حرصوا على تدوين كل ما اعتقدوه حسنة من حسناته . ومعلوم أن السفر لطلب العلم فضيلة . ولو كان الشيخ قد سافرَ إلى بلدان أخرى لما توانى هؤلاء في ذكر ذلك .

ثم يمضي المؤلف في حديثه عن الشيخ وحركته بعبارات فيها الشيء الكثير من الحقيقة التاريخية وعمق التحليل إذ يقول : إن الشيخ بعد عودته من أسفاره بدأ يدعو مواطنيه إلى ما يراه ، وأنه نجح في اجتذاب عدد من الزعماء الذين انقادت إليه رعاياهم بالتبعية . وكان أولئك الزعماء في حرب مستمرة فأصبحوا بوساطته متصالحين ووافقوا على ألاّ يقوموا بأي عمل في المستقبل بدون مشورته .

وبهذا التحالف اختل ميزان القوة في نجد . فالأمراء الصغار الذين كانوا قادرين على الاحتفاظ باستقلالهم ضد أي عضو في ذلك التحالف أصبحوا لا يتمكنون من الصمود أمام هذا الحلف الجديد ككل . وأصبحت الحروب أكثر عدداً وأشد ضراوة لأن العامل الديني أضيف إلى أسباب الحروب السابقة [1] .

ثم يتابع نيبور حديثه مشيراً إلى النتيجة التي أدّى إليها اختلال ميزان القوة في المنطقة فيقول إنه حين تم إخضاع أكثر إقليم العارض استنجد الزعماء المعارضون للدعوة بعرعر شيخ الأحساء . فهب هذا الزعيم لنجدتهم مدفوعاً بعوامل سياسية ودينية على حد سواء . وأرسل جيشاً إلى العارض لكنه هزم . ومن هنا زحف بنفسه

(1) Niebuhr, op.cit, Vol., II,

على رأس قوة مكوّنة من أربعة آلاف رجل وثلاثة مدافع قديمة ومدافع ميدان . لكنه فشل في استعمال مدفعيته ضد إحدى القلاع الحصينة التابعة لخصومه فاضطر إلى العودة إلى بلاده بعد أن تكبّد بعض الخسائر[1] .

وكما سبقت الإشارة كان عريعر بن دجين حتى ذلك الوقت قد قام بهجومين ضد الأماكن الخاضعة لدولة الدرعية : أحدهما سنة ١١٧٢ هـ . وكان قادة هذه الدولة قد حصنوا البلدان التابعة لهم ، خاصة العاصمة نفسها . وقد قام بعض المعارضين النجديين تدعمهم قوات من حاكم الأحساء بهجمات ضد حريملاء التابعة حينذاك للدرعية ، لكنهم فشلوا في التغلب عليها كما فشل عريعر بن دجين في محاصرته للجبيلة بعد ذلك واضطر إلى العودة إلى بلاده . أما الهجوم الثاني فقد وقع سنة ١١٧٨ هـ على العاصمة الدرعية . وكان عريعر يؤمل كثيراً في الانتصار لأن وصوله إلى المنطقة أتى بعد هزيمة جيوش الدرعية في الحائر على يد حسن بن هبة الله المكرمي ، ولأن جيشه كان كبيراً وكان معه عدد من المدافع . لكن صمود المدافعين عن الدرعية وتحصيناتها القوية ، إضافة إلى عدم وجود الخبرة الكافية في الجيش الأحسائي لاستخدام المدفعية إلى أبعد مدى بعثرت آمال حاكم الأحساء فعاد إلى بلاده دون إحراز أي انتصار[2] .

---

(1) Ibid. Vol. II, p.132

(٢) حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام القاهرة ، ١٣٦٨ هـ ، ج ٢ ، ص ص ٥٥ و ٦٨ ـ ٧١ . وعثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الطبعة الثانية من قِبَل وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ ، ج ١ ، ص ص ٥١ و ٥٩ ـ ٦١ .

وبعد هذا يتعرض نيبور لعلاقة المكرمي بالدعوة . وفي كلامه عن هذا الموضوع الكثير من الخلط .

كان قد تحدث المؤلف عن المكرمي في موضع آخر من كتابه وذلك حين تكلم عن منطقة نجران، وأعطى بعض التفصيلات عن قوته العسكرية وعن حالته الدينية وذكر بأنه رئيس فرقة دينية وأن المشهور عنه أنه مستجاب الدعوة وأنه يبيع لأتباعه أمكنة في الجنة [1] .

أما في هذا الفصل فيقول نيبور : إن عربياً من الأحساء أخبرني أن هناك تشابهاً كبيراً بين مبادىء عبد الوهاب ومبادىء المكرمي . ويبدو لي ـ والكلام لنيبور ـ أن كلامه صحيح . ولا بد وأن يكون هذان المبتدعان على الأقل صديقين وإلا لما استطاع المكرمي عبور نجد بجيش صغير لمهاجمة شيخ الأحساء سنة ١٧٦٤ م . ويظهر أنه تحالف مع عبد الوهاب ، أو بتعبير أصح تحالف مع ابنه محمد الذي كان قد خلف أباه حينذاك لإخضاع زعماء السنة [2] .

وغير خاف على أي ملمّ بتاريخ هذه البلاد الفرق الكبير بين عقيدة المكرمي وعقيدة الشيخ محمد ، كما لا يخفى أن المكرمي عبر مسافة من نجد في السنة المذكورة لا ليهاجم صاحب الأحساء وإنما ليهاجم قادة الدرعية نجدة لرجال قبيلة العجمان الذين كان عبد العزيز بن محمد قد هاجمهم لاعتدائهم على فريق من قبيلة سبيع التابعة للدرعية في سنة ١١٧٧ هـ [3] .

---

(1) Niebuhr, op.cit, Vol., II, pp. 60 - 61.

(2) Ibid, Vol. II, pp. 132 - 3.

(٣) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٥٦ ـ ٥٩ .

ثم انتقل نيبور للحديث عن علاقة الشيخ محمد بالمنضمين إلى دعوته فقال : إن الزعامات الوراثية للدويلات الصغيرة التي كانت في يوم من الأيام مستقلة ظلت تحتفظ باستقلال اسمي، ولكن محمد ابن عبد الوهاب كان في حقيقة الأمر زعيماً للجميع . وهو يفرض عليهم ضريبة يسميها زكاة من أجل متابعة الحروب ضد الخارجين عن الدين [1] .

وواضح ما في آخر جملة من هذا الكلام من عدم دقة ؛ فالزكاة فرضها الله سبحانه . وابن عبد الوهاب كان يأخذها ممن تجب عليه ثم يصرفها في الوجوه التي حددتها الشريعة الإسلامية . ومن بينها الجهاد في سبيل الله . وكان الشيخ محمد وأنصاره يرون حروبهم مع خصومهم جهاداً . وصرفه من الزكاة على تلك الحروب باب من أبواب إخراجها لا أنه الباب الوحيد .

ثم يقول نيبور إن فرقة السنة تشكو من اضطهاد الشيخ . ولكن المرجح عند المؤلف أن المبعث الحقيقي لشكوى تلك الفرقة المنغمسة في الخرافات هو كرهها لمحمد بن عبد الوهاب لبدعه في الدين ـ على حد تعبيره ـ . وعلى أية حال فان النجديين الذين لم يريدوا أن يعتنقوا دعوته التجأوا إلى مناطق أخرى من بينها الزبير التي أصبحت بوفود هؤلاء اللاجئين إليها مدينة كبيرة [2] .

ولقد أوضح المؤلف من يعني بمن سمّاهم السنة . ولم يخرج هنا بنسبة البدع للشيخ عما كان يشيعه الخصوم حينذاك [3] . ومن الغريب أن يسمّى مبتدعاً من كان أشد عدو في زمنه للبدع .

---

(1) Niebuhr, op cit, Vol, II, p.133.

(2) Ibid, Vol. II, p.133

(٣) ابن غنام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٢ .

أما تفاصيل عقيدة الشيخ محمد فـإن نيبور يذكر أنه تحدث حولها مع شيخ بدوي اعتاد في شبابه أن يسافر مع التجار عبر كل جزيرة العرب . وقد زار المدن الرئيسية في نجد . ويقول إن هذا الشيخ يبدو ذكياً . وقد ذكر أن عبد الوهاب يقول للناس : « إن الله وحده هو المستحق للدعاء والعبادة لأنه الخالق المدبّر لهذا الكون . وإنه يحرّم دعاء الأولياء وإشراك محمد أو غيره من الأنبياء في العبادة لأن ذلك من الوثنية » .

وهذا الجزء من كلام نيبور ـ أو على الأصح كلام من أخبره ـ حق . لكن الغريب أن ينتهي كلام هذا المخبر بالقول : إن عبد الوهاب يعتبر محمداً وعيسى وموسى وغيرهم ممن تسميهم السنّة أنبياء مجرد رجال عظماء ؛ منكراً تدوين أيّ كتاب بوحي إلهي أو إنزاله من السماء بوساطة جبريل [١] .

وكل من له أدنى عقل يعرف أن هذا منتهى الخطأ والجهل . ولعل للإشاعات المغرضة ضد دعوة الشيخ محمد يداً في مدى الجهل بحقيقتها . ففسر الجاهلون تحريم الشيخ صرف أي نوع من أنواع العبادة لأي مخلوق مهما علت مرتبته على أنه عدم حب للرسول صلى الله عليه وسلم أو إنكار لنبوته .

وواضح أن نيبور يرجح ما ذكره ذلك البدوي عن عقيدة الشيخ على ما سمعه عنها من آخرين إذ يقول : إن كلام هذا البدوي لا يتفق كلية مع ما أخبرني به بعض السنة عن عقيدة عبد الوهاب. لكنه من غير الإنصاف إقامة وزن لأقوال أتباع هذه الفرقة الخرافية التي هاجم آراءها الزائفة الدين الجديد [٢] .

---

(1) Niebuhr, op. cit, Vol., II, p.134.

(2) Ibid, Vol. II, pp.134 - 5

ثم يمضي نيبور معلّقاً على عقائد من يسميهم بالسنة وأعمالهم ويذكر بعدهم عن الدين كما هو على عهد النبي صلّى الله عليه وسلم ، مدّعياً أن بعض الفرق كالزيدية يقلّون عنهم انحرافاً وإن كانوا أيضاً بعيدين عن طهارة الدين ونقاوته . ويقوده هذا الأمر إلى الاستنتاج الآتي :

« وعلى هذا الأساس فإن دين عبد الوهاب الجديد يستحق أن يعتبر إصلاحاً للمحمدية وعودة بها إلى حقيقتها الأولى . وهو وإن كان قد ذهب أكثر من أي مصلح آخر في هذا المضمار لكنه كعربي لا يتوقع منه أن يعالج مثل هذه الأمور بمرونة . والتجربة ستوضح ما إذا كانت ديانة بهذا الشكل ستنجح بين قوم بدائيين وجهال كالعرب »[1] .

وفي نهاية المطاف يعود نيبور إلى الكلام عن المكرمي فيناقض ما قاله عنه آنفاً من ترجيحه لوجود شبه كبير بين عقيدته وعقيدة الشيخ محمد إذ يقول : إن خداع المكرمي لا يتفق مع روح الإصلاح ؛ فقد استغل جهل قومه وبث فيهم آراءه الشاذة حول بركة دعائه حتى زعم أنه يحصل بدعائه على أي شيء أراده من الله . وهذا ما لا يتفق مع سماحة العقيدة[2] .

---

(1) Ibid, Vol., II, pp. 135 - 6.

(2) Ibid, Vol., II, p.136.

رحلة مرتضى بن علوان إلى البلاد المقدسة ومناطق أخرى
سنتي ١١٢٠ - ١١٢١هـ[1]

رحلة مرتضى بن علوان إلى البلاد المقدسة ومناطق أخرى
سنتي ١١٢٠ – ١١٢١ هـ

المصادر التاريخية المألوفة لا تذكر عن صاحب هذه الرحلة أكثر من اسمه ، وأنه فاضل ، وله رحلة إلى مكة سنة ١١٢٠ هـ[٢] . غير أن قارىء الرحلة نفسها يستطيع أن يضيف إلى ذلك بعض المعلومات المفيدة نسبياً عن صاحبها . فهو مرتضى بن علي بن علوان ، دمشقي السكن ، ينتمي إلى الأسرة العلوية إذ يقول في حديثه عن زيارته لقبر فاطمة رضي الله عنها : « ودعنا جدتنا . . . السيدة فاطمة عليها أفضل الصلاة وأتم السلام » ويقول في كلامه عن زيارته لقبور بعض الأئمة في بغداد : « وزرنا . . . السيد الجليل جدنا إبراهيم المرتضى »[٣] وكان له أولاد ذكر أسماءهم في قصيدته التي أوحتها إليه نجد وبعثها إلى الشام[٤] .

أما وضعه الاقتصادي فيبدو أنه كان جيداً ، يوضح ذلك المظهر الذي ظهر فيه أثناء رحلته هذه، حيث كان قادرا على القيام بهذه الرحلة وحيث كان معه أتباع له[٥]. وإذا أضيف إلى مكانته

---

(١) نشر هذا التعليق في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثاني عشر، السنة الثالثة، ١٣٩٧ هـ . ص . ص . ٢٠٩ – ٢١٦ .

(١) لدى كاتب هذا التعليق صورة من مخطوطة هذه الرحلة أهداها ـ مشكورا ـ إليه الدكتور اولترش هارمان من جامعة فرايبورج الذي كان قد تحدث عن بعض جوانب هذه المخطوطة في الندوة العالمية لدراسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية التي عقدت في الرياض اواخر ابريل سنة ١٩٧٧ م . والمخطوطة موجودة ضمن مجموعة في مكتبة برلين ٦١٣٧ وهي من ١١٠٢ أ حتى ١٢٥ ب .

(٢) انظر عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٨٠هـ . ج ١٢ ، ص ٢١٦ .

(٣) ورقة ١١٠ أ أو ١١٥ أ

(٤) ورقة ١١١ ب

(٥) ورقة ١٠٧ ب

الاقتصادية انتماؤه الأسري بدا أمراً طبيعياً أن يحظى بمثل ما حظي به خلال رحلته من حفاوة وإكرام، خاصة من قبل بعض نبلاء الأماكن التي زارها والمنتمين إلى البيت العلوي ذاته . وكانت له صلة سابقة ببعض هؤلاء كما هي الحال بالنسبة للسيد محمد بن علي حيدر المكي [1] .

ويبدو أن السيد مرتضى لا يتبع مذهب أبي حنيفة حيث قال : « وأحرمت الحنفية من رابغ » بينما ذكر عن نفسه انه أحرم من آبار علي [2] . والعبارات التي استعملها في كلامه عن آل البيت وزيارته لقبور بعضهم تبين ميله الشديد إلى المذهب الشيعي ، ولكنه ميل قد يكون مصدره وضعه الأسري . وفي الوقت الذي بالغ فيه باحترام الأئمة العلويين وقبورهم مدح كلا من أبي حنيفة وعبد القادر الكيلاني وزار قبريهما [3] .

وكان قد حج سنة ١٠٨٨هـ حينما كان شاباً قوياً ودوّن منازل الحاج واحدة بعد أخرى ولكنه لم يذكر المسافة بينها [4] .

والمخطوطة التي تضمنت أخبار حج السيد مرتضى سنة ١١٢٠هـ وأخبار ما قام به بعد حجه في هذه الرحلة تتكون من ثمان وعشرين صفحة ، معدل ما في الصفحة الواحدة منها ثلاثة وعشرون سطراً . وقد كتبت بخط رقعة متوسط الحجم والجودة . وفي جوانب بعض الصفحات هوامش بخط الكاتب نفسه . ويظهر أنه هذه المخطوطة مسودة ربما كان ينوي تبييضها . وواضح أنه لم يكتبها كلها خلال الرحلة .

---

(١) ورقة ١٠٧ ب

(٢) ورقة ١٠٦ ب و ١٠٧ أ

(٣) ورقة ١١٥ أ

(٤) ورقة ١٠٢ ب

والأسلوب الذي كتبت به هذه المخطوطة ضعيف جداً . وفي بعض الأحيان يستعمل كاتبها اللهجة العامية . وتكثر في كتابته الأخطاء النحوية والإملائية . مثال ذلك قوله :

« فوصلنا العلا بعدمضي أربع ساعات من النهار المرقوم.وكان نهار الجمعة المبرور عشري القعدة الحرام.ولم نرا فيها شيئاً من الزخاير.والسبب أن الجراد في العام الماضي اثر عندهم وشوش عليهم.فما كان إلا التبن وبعض تمر وقليل ليمون وبعض ذبايح . وبتنا تلك الليلة وثاني يوم نهار السبت إلى بعض الظهر وكان باقي من النهار أربع ساعات »[1] . وأكثر من ذلك بعدا عن قواعد اللغة العربية قوله في موضوع آخر :

« وأما ما كان من وصف هذه الحسا فمواشيهم جميعاً الإبل والبقر والحمير مع أهاليها أكلهم التمر غير أن البقر يحلون لهم التمر بالماء ويسقوهم إياه والنوا يغلو عليه في الماء حتى يلين ويجعلوه لهم علفاً »[2]

وكثيراً ما يخطيء في تأنيث وتذكير الأعداد فيقول تسعة عشر ساعة وخمس فراسخ[3] بدلاً من تسع عشرة ساعة وخمسة فراسخ كما يخطيء فيكتب الثلاثة والأربعة[4] قاصداً الثلاثاء والأربعاء .

وفي أحيان قليلة يستعمل السجع « صار في ذلك اليوم مطر . . . هتون،طير النوم من العيون،وأجرا من الجفون عيون »[5] .كما تضمّن كلامه أحياناً شيئاً من الشعر أغلبه ضعيف،

---

(١) ورقة ١٠٥ ب
(٢) ورقة ١١٢ أ
(٣) ورقة ١٠٤ أ و ١١٢ أ
(٤) ورقة ١٠٣ أ و ب
(٥) ورقة ١٠٣ أ

وقد بدأ تدوين أخبار رحلته منذ أن غـادر منزلـه في دمشق متجهاً نحو مكة المكرمة لأداء الحج ، عازماً عـلى تفادي مـا فاتـه تدوينه في حجته الأولى زمن شبابه وهو ذكـر وبُعْد كـل مرحلة من مراحل الطريق عن الأخرى بالساعات من دمشق إلى مكة . وقـد ذكر ذلك بـالفعل . وكـانت مغادرتـه لدمشق في فصـل الشتاء في السادس والعشرين من شـوال سنة ١١٢٠هـ. وكـان أمـير قـافلة الحجاج آنذاك الوزير نصوح باشا والي الشام .

وقد وصف الحاج مرتضى منازل الطريق التي مرت بها القافلة واحدة بعد أخرى حتى مكة المكرمة ، كما ذكر ما حدث له بصفة خاصة وللقافلة بصفة عامة أثناء السير إلى البلاد المقدسة . وقد جاء ذلك بصورة مختصرة أحياناً أخرى . ولكن المعلومات التي ذكرها في كلتا الحالين جيدة . ومن الأمور التي لاحظها الكاتب أثناء رحلته شجرة كبيرة قرب العقبة يقال لها أم عياش . وكان بعض الجهال يطوفون حولها .

وقد اعتقدوا أن حج المرء لا يصح إلاّ بالطواف حول تلك الشجرة [١] كما لاحظ الخلل الذي أصاب قلعة حالات عمار وتهدم بعض جدارها الغربي . وقد قيل له إن سبب ذلك هجوم الأعراب عليها سنة ١١١٨ هـ . وذكر أنه كان يوجد حولهـا بيوت صغيرة يسكنها بعض الأعراب على شكل قرية فخلت من أهلها ولم يبق في القلعة ولا في جوارها أحد . وأفاد أيضاً أن أمير القافلة نصوح باشا تفقدها ليخبر زعماء الدولة العثمانية عن مصيرها لعلها ترمم وتعود إلى وضعها السابق [٢] .

---

(١) ورقة ١٠٤ أ

(٢) ورقة ١٠٤ ب

كذلك ذكر صاحب الرحلة وجود قلعة عظيمة في تبوك ، فيها جنود تابعون للسلطان العثماني ، وقلعة أخرى في الأخيضر وفيها أيضا جنود عثمانيون [1] . وأشار إلى ما حدث بين الأعراب وبين محافظ قلعة فخمة تسمى قلعة المعظم بين الأخيضر والعلا من عداوة كانت نتيجتها أن ترك هذا المكان وأصبح غير مأهول [2] .

وأخيراً وصل الحاج مرتضى مع القافلة إلى مكة بعد المرور بالمدينة وغيرها من الأماكن الواقعة على الطريق . وكان وصوله في اليوم الثامن من ذي الحجة . وكان أول عمل قام به اتصاله بصديقه السيد محمد حيدر الذي صحبه مع ولديه بعد ذلك إلى عرفة . وقد نفر مع أمير الحاج الشامي نصوح باشا إلى مزدلفة . ومن الأمور التي لفتت نظره في المشاعر الحرام جمع من الحجاج قيل له إنهم خليط من « أعجام ومشاهدة » يسمون الحاج العقيلي . ولعل هؤلاء كانوا بزعامة من ينتسب إلى عقيل فأعطوا هذا اللقب . وكثيراً ما أطلق اسم الحاج العقيلي على الحجاج القادمين من الجهات الشرقية للجزيرة العربية التي كان فيها نفوذ لبني عقيل ، كما فعل ابن بشر حين ذكر في حوادث سنة ١١١٩ هـ أن الحاج العقيلي الأحسائي نزل بلد ثادق [3] .

ومن الغريب أن يذكر الحاج مرتضى أمراً كهذا ولا يذكر حادثا مهما وقع أثناء حج تلك السنة وهو الشجار الذي حصل بين رجال المحملين الشامي والمصري وكاد يحدث فتنة بين الطرفين لولا تدخل بعض أعيان الأشراف [4] .

(١) ورقة ١٠٥ أ

(٢) ورقة ١٠٥ ب

(٣) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد، الطبعة الثانية من قبَل وزارة المعارف السعودية سنة ١٣٩١ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٤) أحمد السباعي ، تاريخ مكة، الطبعة الثالثة ، مكة ١٣٨٧هـ ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

وفي أثناء إقامة السيد مرتضى التي استمرت أربعين يوماً في مكة زار شريفها عبدالكريم عدة مرات. وقد قال عنه إنه حامي حمى بيت الله الحرام.

وعبد الكريم المشار إليه هنا هو عبد الكريم بن محمد بن يعلى. وكان قد أتى إلى حكم مكة سنة ١١١٦ هـ لكنه أبعد عن حكمها مرتين. ثم عاد إليه في السنة التالية، واستمر حاكماً لمكة حتى أواخر سنة ١١٢٣ هـ حين حل محله منافسه الشريف سعيد بن سعد بتحريض من نصوح باشا وتأييد من قبل الدولة العثمانية.[1] وعدم استمرار الاستقرار لعبد الكريم ليس بالأمر الغريب، فقد شهدت مكة الكثير من النزاعات بين الأشراف حول الحكم في فترات متعددة من تاريخها.

ومن الأمور التي حدثت لصاحب الرحلة بعيد خروجه من مكة سرقة أمواله وأمتعته. وقد شكا الأمر إلى الشريف عبد الكريم فبعث من تعقب أثر اللصوص ولم يعثر إلا على قليل من الأمتعة يبدو أنه غير مفيد لأولئك اللصوص الذين عرف متعقبهم أنهم من قبيلة هذيل. فسجن الشريف شيخ هذه القبيلة أملاً في حضورهم. وحين مضى يومان من سجنه ولم يحضروا أمر بشنقه غير أن بعض العمال شفعوا له. وكانت النتيجة أن غادر الحاج مرتضى دون حصوله على ما سرق منه، لكنه كتب وكالة للسيد محمد حيدر ليستلم ما يمكن أن يوجد من ماله[2]. والحادثة تدل على بعض ما كان يلاقيه الحجاج آنذاك من مشاكل وما يتخذ حيالها من إجراءات. وقد نظم مرتضى أبياتاً ذكر فيها تفاصيل هذا الموضوع.

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٥ - ٦٣.

(٢) ورقة ١٠٩ أ

وقد اتجه صاحب الرحلة من مكة إلى المدينة وزار فيها ما أراد زيارته؛ خاصة الأمكنة التي دفن فيها من ينتسب إلى آل البيت، وكذلك قبور شهداء الصحابة . ثم بعد ذلك عزم على الرحيل إلى الأحساء ليتجه من هناك إلى العراق وفي طريقه إلى الأحساء مر بنجد ومدح هواءها وماءها ونظم فيها قصيدة ذكرها في مخطوطته وأشار إلى أنه بعثها إلى الشام . وقد خص بالذكر من نجد ثلاثة أمكنة هي : نفي وثرمداء والعيينة وقد قال عن العيينة بالذات :

« إنها أعظم الثلاث وفيها من الحمض الكباد والنقاش ما لا يوجد مثله الا في صالحية الشام . وأما المياه فلا تقاس بغيرها طيباً وصفاء وهضماً . وفيها أرزاق وخيرات كثيرة »[1] .

والمصادر التاريخية الأخرى تؤيد ما ذكره هذا الكاتب من عظمة بلدة العيينة آنذاك . وتاريخ هذه البلدة يعود إلى منتصف القرن التاسع الهجري حين اشترى حسن بن طوق، جد آل معمّر مكانها من آل يزيد وسكن فيه . ثم تطورت البلدة مع مرور الزمن حتى بلغت أوج عظمتها زمن أميرها عبد الله بن معمّر الذي تولى الإمارة من سنة ١٠٩٦ هـ حتى سنة ١١٣٨ هـ حين توفي بسبب الوباء الذي أصاب البلدة في تلك السنة وأفنى كثيراً من رجالها . وقد عبر المؤرخ النجدي عثمان بن بشر عن عظمة إمارة عبد الله المذكور بقوله: « لم يذكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد مثله في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث »[2] كما عبر عن عظمته حميدان الشويعر بقصيدة طويلة منها :

---

(١) ورقة ١١ أ

(٢) ابن بشر . المصدر السابق . ص ٢٣٦

رفيـع الثنـا عبـد الله بن معمـر
أنيس وحيش لـين كـفى تخـامسـه
خذ السعدل من كسرى ومن حاتم الصخا
ومن أحنف حلمه ومن عمرو هاجسه
هزبر التلاقي واحش الطرف والحمى
وراعي جفـان تجـري القـاع دانسـه
نسـر الضحى يلقى الغدا حـول بيتـه
ونسر العشا يلقى العشا في مداوسه [1]

وقد تولى قضاء البلدة أثناء إمارة عبد الله بن معمر المذكور عبد الوهاب بن سليمان بن علي آل مشرف والد المصلح المشهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وقد ورد في كلام الكاتب عن الأحساء قوله : « إنها بلدة عظيمة البنا واسعة الرحاب كثيرة المياه تشتمل على عيون جارية وآبار معينة ومساجد وعلماء وصلحاء .. محصولها النخيل وجل غلالها التمر مع الرخص .... ومواشيهم جميعاً للإبل والبقر والحمير مع أهاليها أكلهم التمر غير أن البقر يحلون لهم التمر بالماء ويسقوهم إياه والنوا يغلوا عليه في الماء حين يلين ويجعلوه لعم علفاً » [2] . وما ذكره عن عظمة الأحساء ـ على ما في تعبيره من ركاكة واضحة ـ من حيث العيون والزراعة والمحاصيل والحيوانات أمر اتفقت عليه المصادر وبرهن عليه الواقع منذ عصور طويلة .

ثم يواصل حديثه عن الأحساء فيقول : « ويذكروا أن نصف

(١) عبدالله الحاتم، خيار ما يلتقط من الشعر النبط، الطبعة الثانية، دمشق. ١٣٨٧ هـ. ج ١، ص ١١٢ ـ ١١٣ .
(٢) ورقة ١١٢ أ

أهلها شيعة ونصفها سنة ومتحدين اتحاد الأهل من غير عناء بينهم وكذلك قراها . وكافلها وواليها وحاميها يقال له الشيخ سعدون سني من عرب خالد ووزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر وانه من اولاد مروان بن الحكم . واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهما راض عن الآخر »[1] . والذي يثير الانتباه في كلام الحاج مرتضى هنا ما أشار إليه من روح التسامح والتضامن التي كانت سائدة بين سكان هذه المنطقة شيعة وسنة؛ خاصة في تلك الفترة لدرجة أن من أقرب المقربين إلى الحاكم كان شيعياً. أما الحاكم فهو سعدون بن محمد بن غرير ثالث حاكم للمنطقة الشرقية من آل حميد زعماء بني خالد بعد تمكنهم من أجلاء الحامية التركية عن الكوت سنة ١٠٨٠ هـ. وكان ذلك بقيادة برّاك بن غُرير الذي توفي سنة ١٩٠٣ هـ. ثم تولى حكم المنطقة بعده أخوه محمد حتى وفاته سنة ١١٠٣ هـ. وبعد ذلك تولى الحكم ابنه سعدون بن محمد المذكور حتى وفاته سنة ١١٣٥ هـ . [2]

وقد كان للزعامة الخالديه نفوذ على بعض مناطق نجد ابتدأ منذ توطد حكمها في الاحساء . ويبدو أن ذلك النفوذ ازداد أثناء فترة حكم سعدون بن محمد حيث تكررت غزواته لمناطق نجدية معينة انضم إليه في بعضها عبد الله بن معمر أمير العيينة المشار إليه سابقاً . وقد عبر عن نفوذ سعدون في نجد أحد الشعراء المعاصرين له بقوله :

ما غير سعدون مزار إلى عدت
علينا الليالي صايلات جرودها

---

(١) ورقة ١١٢ ب

(٢) ابن بشر . المصدر السابق . ص ٢١١ ، ٢٤١ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤ .

حمى من ربا هجر إلى ضاحي اللوى
إلى الشام من دار العميري حدودها
إلى خشم رمان إلى النير مجنب
إلى الشعراء وقمانها من نجودها
إلى العرض والوادي الحنيفي مشرق
وما عن جنوب كل هذي يسودها
إلى طاب منها مرتع زانه الحيا
رعاها على رغم العدا ما يكودها [1]

وقد يكون في كلام هذا الشاعر مبالغة ، ولكن ابن بشر ذكر شيئاً من غزوات سعدون لنجد [2] مما يؤكد نفوذه في بعض مناطقها .

وغادر الحاج مرتضى الأحساء قاصداً النجف . وفي طريقه إلى هناك توقف ليلتين في الكويت التي قال إنها تدعى أيضاً القرين . وقد ذكر أنها « بلد لا بأس بها تشابه الحسا إلا أنها دونها ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها » كما ذكر أنها تبعد عن البصرة أربعة أيام براً ويوماً واحداً بحراً وأن الفاكهة وغيرها من اللوازم تأتي إليها من البصرة كل يوم في المركب . وأشار أيضاً إلى أن سائر الحبوب تأتي عن طريق البحر لأن أرضها غير قابلة للزراعة . غير أن من الطريف إشارته إلى أن أسعارها كانت أرخص من أسعار الأحساء لكثرة الوارد اليها من البصرة وغيرها [3] .

ثم وصف بعد ذلك وصوله إلى النجف . وقد وردت في

---

(١) عبد الله الحاتم ، المصدر السابق ، ج ١ ، من ص ١٩٣ ـ ١٩٥ .
(٢) ابن بشر، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٣.
(٣) ورقة ١١٣ «أ» و«ب».

مستهل وصفه هذا عبارة تبدو ناقصة إذ قال : « ودخلنا النجف الأشرف . . . ولله الحمد يا لها من نعمة بها كمال الدين وتمام النعمة ونسأله من فضله عز وجل أن يمن علينا بالوصول إلى تقبيل أعتاب اولاده (هكذا) الكرام والأئمة العظام عليه وعليهم أفضل الصلواة وأتم السلام » .

ولا بد أنه كان ينوي وضع ما فيه ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم قبل عبارة « تقبيل أعتاب أولاده » يعود إليه الضمير .

واستمر يتحدث عن النجف بقوله : « دخلنا القبة البيضاء وقبّلنا تلك الأعتاب وزرنا عنا وعن والدينا ووالد والدينا وولدنا وولدهم ومن ينيب الينا ويؤل علينا »[1] . كما أشار إلى اجتماعه ببعض علمائها وحضوره لدروسهم .

ثم بعد ذلك وصف زيارته لكربلاء وقال عنها : « وأقمنا في جواره - أي جوار الحسين - مجاورين وفي أعتابه متقلبين ثلاثة عشر يوماً . . وفي أثناء هذه الأيام المباركة حضرنا هلة الشهر المعظم رجب من شهور سنة ١١٢١ وكانت ليلة الجمعة المعظمة الغرا وصار جمع عظيم من سائر الأطراف حتى أتى والي بغداد وحرمه وجنده وكان ليلة كليلة منى ويوم كيوم عرفة ». واختتم وصفه لهذه الزيارة بقوله : « ثم ودعنا تلك الأعتاب معفرين جباهنا بالتراب »[2] .

وقد ركز الكاتب في كلامه عن إقامته في بغداد وسامراء على زيارته لقبور الأئمة الموجودة فيهما .

وقد انتهت المخطوطة بانتهاء حديثه عن زيارته لقبر الإمام علي الرضا واتجاهه إلى بعقوبة ، وذلك في التاسع عشر من شهر رجب سنة

---

(١) ورقة ١١٤ أ و ب .

١١٢١ هـ. وبهذا تصبح المدة الزمنية التي تحدثت عنها الرحلة حوالى عشرة شهور .

وبرغم ما في المخطوطة من قصر وركاكة في الأسلوب فإنها مفيدة بدرجة لا بأس بها ، أحياناً بما ورد فيها من معلومات مؤيدة لمصادر أخرى ، وأحياناً بما انفردت بذكره وهو الأهم كما حدث بالنسبة لوصفها لحالة بعض منازل الحج بين دمشق والمدينة وبالنسبة لوصف الكويت الذي قد يكون أول وصف لعمرانها وتجارتها من نوعه .

حول كتاب الدولة السعودية الثانية
للدكتور أبي علية

حول كتاب الدولة السعودية الثانية (*)

يتناول هذا الكتاب ـ كما هو واضح من عنوانه ـ فترة مهمة من فترات تاريخ هذه البلاد . ولأهميته ساهمت دارة الملك عبد العزيز مشكورة في تكاليف طباعته فخرج الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٣٩٤ هـ في عشرين وثلاثمائة صفحة من الحجم المتوسط .

قدم للكتاب الشيخ حمد الجاسر الذي تمنى لو أن لديه متسعاً من الوقت لقراءته كاملاً . وأثنى على مؤلفه الدكتور عبدالفتاح أبي علية بالرجوع إلى وثائق مفيدة ، كما تمنى لو عاد المؤلف إلى مصادر معينة لاستكمال الفائدة .

وتلت مقدمة الشيخ حمد الجاسر مقدمة قصيرة للمؤلف نفسه أوضح فيها الفترة التي يتناولها كتابه وشكر من سهلوا له مهمته في البحث والطباعة . وبعد ذلك تكلم في مقدمة أخرى عن مصادره . ثم دخل إلى صلب موضوعه الذي قسمه إلى ثمانية فصول .

ولا شك أن الأخ الدكتور أبا علية بذل جهداً يشكر عليه في هذا البحث . وربما كان ذلك من أكبر الدوافع التي جعلتني أكتب عنه هذه الملاحظات .

المصادر :

في بداية كلام الدكتور أبي علية عن مصادره أعاد بعض ما ذكره في مقدمته عن الفترة التي يتناولها الكتاب ، وأعطى ملاحظات عامة عن تلك الفترة وهي ملاحظات سأحاول مناقشتها فيما بعد .

---

* نشر هذا التعليق في مجلة الدارة، العدد الاول، السنة الثالثة، ١٣٩٧ هـ. ص ص ٢٤٤ ـ ٢٧١ .

أشار المؤلف الفاضل إلى أن مما يزيد في صعوبة دراسة فترة بحثه طبيعة المصادر « إذ أن معظم ما كتب كان من الكتب القديمة التي يهتم أصحابها بإبراز المحاسن اللغوية أكثر من اهتمامهم بالموضوع » . ولكن المصادر العربية الأولى التي تكلم عنها لا تؤيد هذا الرأي . فابن بشر وابن عيسى وضارى الرشيد ـ مثلاً ـ لم يهتموا بالمحسنات اللغوية أكثر من اهتمامهم بالموضوع الذي يناقشونه . والأسلوب الذي كتبت به مؤلفاتهم سهل القراءة ، ويكاد يكون خالياً من المحسنات اللغوية غير المهضومة . صحيح أن ابن بشر استعمل السجع في حالات قليلة معينة، إلا أن سجعه ذلك جاء غير متكلف ولا صعب . أما كتاب ابن عيسى وكتاب ضاري الرشيد فغير مسجوعين .

والواقع أنه وردت كلمات في مؤلفات هؤلاء المؤرخين الثلاثة قد يكون من الصعب فهمها على بعض القراء ، خاصة إذا كانوا من غير هذه المنطقة من الوطن العربي . لكن هذه الكلمات محصورة العدد . وما ورد منها في كتاب ابن بشر قد شرح في طبعة هذا الكتاب سنة ١٣٧٣هـ، وما ورد منها في كتاب تاريخ بعض الحوادث قد شرح في نهاية الكتاب أيضاً . ومن ناحية أخرى تخلل نبذة ضاري الرشيد شعر باللهجة المحلية . وقد لا يكون من السهل على البعض فهمه أيضاً . لكن هذا شيء والمحسنات اللغوية شيء آخر .

ثم أخذ المؤلف الفاضل يتكلم عن تلك المصادر بالتفصيل مبتدئاً بكتاب عنوان المجد لعثمان بن بشر وكلامه يحتاج إلى الدقة في نقاط متعددة . فهو يذكر أن ابن بشر ولد في شقراء وقد اعتمد في هذا ـ كما يبدو ـ على النبذة المكتوبة عن المؤرخ في طبعة أبي بطين سنة ١٣٧٣هـ. لكن المعروف لدى المحققين في هذا الموضوع أنه ولد

في جلاجل.[1] على أن نسبه يتصل ببني زيد أهل شقراء .

ويقول الدكتور أبو علية : إن عنوان المجد طبع في مجلد موجز في بغداد سنة ١٣٣١ هـ . والواقع أن الموجز المطبوع في بغداد لا يغطي إلا جزءاً من تاريخ ابن بشر ؛ إذ يتوقف عند حوادث سنة ١٢٣٧ هـ . ويذكر أن الكتاب طبع في مكة سنة ١٣٤٩ هـ ، كما طبع في مصر عام ١٩٤٦ م . والحقيقة أنه لم يطبع في مصر ذلك العام . ثم بعد ذلك يقول المؤلف إنه اعتمد على طبعة مكة الثانية سنة ١٣٧٣ هـ.والكتاب لم يطبع في مكة تلك السنة ، وإنما طبع في مصر . وكانت طباعته على نفقة الشيخ عبد المحسن أبي بطين .

وحينما تحدث الدكتور عن ابن عيسى قال : إن له كتابين هما عقد الدرر وتاريخ بعض الحوادث . . وإنهما ظلا مخطوطين إلى أن قامت دار اليمامة بطبعهما . وكلامه هنا يحتاج إلى تفصيل . أما بالنسبة لتاريخ بعض الحوادث فقد ظل مخطوطاً حتى طبعته الدار المذكورة وكانت طباعته سنة ١٩٦٦ م لا كما ذكر الدكتور في مصادر بحثه سنة ١٩٦٧ م . وأما بالنسبة لعقد الدرر فقد طبع في دمشق عن طريق مكتبة النهضة الحديثة بالرياض سنة ١٣٧٢ هـ.ثم طبع مع عنوان المجد في مصر سنة ١٣٧٣ هـ.ثم طبع مع عنوان المجد في الطبعة الثانية من قِبَل وزارة المعارف السعودية سنة ١٣٩١ هـ . ولم تنشره دار اليمامة .

والدكتور نفسه يذكر في مصادر بحثه أن هذا الكتاب طبع في بيروت سنة ١٩٥٥ م .

---

(١) انظر ترجمة الشيخ حمد الجاسر لابن بشر في مقاله « مؤرخو نجد » المنشور في مجلة جامعة الرياض ، العدد الثالث (١٣٧٩) : ص ٤٣ ، وانظر ترجمة المحقق عبد الرحمن آل الشيخ له في طبعة وزارة المعارف لكتابه سنة ١٢٩١ هـ ، ص ١١ .

ويقول المؤلف ، أيضاً ، إن كتابات ابن عيسى محلية اهتمت بشؤون نجد . وكلامه صحيح من حيث العموم . ولكن كتابات ذلك المؤرخ لا تخلو من إشارات إلى أمور حدثت خارج هذا الإقليم [1] .

ويقول الدكتور أبو علية : إن ابن عيسى توقف عن تسجيل الحوادث عندما كان نفوذ آل رشيد قد امتد إلى الرياض نفسها ، وكانت نهاية دولة آل سعود الثانية قد أوشكت . وهذا صحيح بالنسبة لكتاب عقد الدرر . أما في تاريخ بعض الحوادث فقد سجل ابن عيسى بصورة مختصرة ومتقطعة قليلاً من الحوادث التي تلت تلك الحقبة حتى نهاية حكم آل رشيد .

وهنالك أخطاء مطبعية ـ فيما يبدو ـ خاصة في أسماء بعض الكتب أو سنوات طباعتها . فمثلاً يذكر المؤلف (ص ٢١ ـ ٢٢) ترجمة حاج إلى نجد بدلاً من حج إلى نجد . ويقول إن محمد أنعم غالب ترجم بعضاً من هذا الكتاب بعنوان رحلة إلى نجد بدلاً من رحلة إلى بلاد نجد .

مناقشة المادة :

بعد الإشارة إلى بعض الأخطاء التي وردت في كلام المؤلف الفاضل عن مصادره يحسن الانتقال إلى مناقشة ما جاء في صلب كتابه من نقاط معينة . قال في معرض كلامه عن المنطقة التي يتناولها بحثه (ص ٩) « وبهذا نكون قد درسنا تاريخ نجد وجبل

(١) انظر الصفحات ٩ ـ ١٠ ، ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ و٥٣ من عقد الدرر، طبعة أبي بطين القاهرة، ١٣٧٣ هـ ـ ضمن عنوان المجد ـ وانظر الصفحات ٤٦ ـ ٤٨ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، و ٧٩ من تاريخ بعض الحوادث ، الرياض ١٩٦٦ م .

شمر وبعض الأجزاء الشرقية من الخليج العربي ». وهذه العبارة توحي بأنه لا يعتبر جبل شمر من نجد . وهذا أمر لا يؤيده عليه الباحثون . والأجزاء الشرقية من الخليج تقع في إيران. والذي أعتقده أن المؤلف لا يقصد تلك الأجزاء وإنما يقصد الأجزاء الغربية من الخليج التي هي الأجزاء الشرقية من شبه جزيرة العرب .

ويقول المؤلف (ص ١١ و ٢٤) « الدولة السعودية الأولى التي تشكلت منذ اتفاق الدرعية سنة ١١٥٨ هـ »، بينما يضع (ص ٢٨٧) جدولاً بأسماء حكام آل سعود مشيراً إلى ابتداء حكم محمد بن سعود سنة ١١٥٧ هـ . والأحسن أن يوحد التاريخ في معرض الكلام عن ابتداء تلك الدولة متبعاً رواية ابن غنام أو ابن بشير أيهما اختار .

وحين يتكلم عن حركة مشاري بن سعود يقول (ص ٢٥) : إن ابن معمر سلمه للأتراك الذين ما كان منهم إلا أن أعدموه تخلصاً من بقايا آل سعود . ويشير إلى مصدرين أحدهما ابن بشر لإثبات ذلك الأمر . وبالرجوع إلى ذلك المؤرخ يتضح أنه يقول إن مشاري بن سعود أرسل إلى الأتراك في عنيزة وإنه مات في حبسهم،[1] وعلى هذا فإن ابن بشر لم يذكر أن مشارياً قد أعدم .

ويقول المؤلف أثناء كلامه عن حركة تركي بن عبد الله : « وأما الانتفاضة الثانية فقد قام بها الأمير السعودي تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الذي كان قد لاذ بالخرج عند تسليم الدرعية فعاد منها لينازع ابن معمر على الإمارة وتحقق له ذلك بعد أن تمكن من قتل خصمه جزاء له على ما اقترفه من ذنب تجاه ابن عمه مشاري بن سعود » - ص ٢٥ - . ومرة أخرى يعطي المؤلف ابن

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

بشر مرجعاً لكلامه هذا . وبالرجوع إلى ذلك المؤرخ حول هذا الموضوع يتضح أنه يقول : إن تركي بن عبد الله وأخاه زيداً أتيا إلى ابن معمر في الدرعية وصارا عنده وساعداه . ولما أتى مشاري بن سعود إليها وتنازل له ابن معمر عن الحكم قام معه تركي وعضده . . وحين انقلب ابن معمر على مشاري وقبض عليه سار بمن معه من الدرعية إلى الرياض وكان فيها تركي بن عبد الله ، فهرب هذا الأخير وعشيرته إلى الحائر حين دخول ابن معمر إلى الرياض . ثم سار تركي من الحائر إلى ضرماء ، ومنها سار بأتباعه إلى الدرعية وانتصر على ابن معمر [1]. ومن يقارن بين ما نسبه المؤلف إلى ابن بشر وبين ما ذكره ذلك المؤرخ فعلاً يتبين له الفرق .

ثم قال المؤلف : « وقامت حركة ثالثة كمحاولة جديدة لإعادة سيادة آل سعود قام بها الأمير تركي الذي كان قد توارى من وجه عبوش آغا إلى بلدة المجمعة حيث جمع قوة جديدة زحفت معه إلى الرياض لمحاصرة الجند التركي فيها » (ص ٢٦) . وأعطى ابن بشر مصدرا لما قال .

والذي ذكره ابن بشر أن تركي بن عبد الله أقبل من بلدة الحلوة المعروفة في الجنوب ومعه نحو ثلاثين رجلاً ليس معهم سلاح وقصد بلدة عرقة فنزلها واستقر فيها . ثم قدم إليه أنصار من سدير وما حولها وهو في عرقة فرفع راية الحرب وقصد الرياض ومنفوحة [2] .

ويستمر المؤلف في حديثه عن تركي بن عبد الله فيقول : إنه حاول أن يوازن بين القوى . فاعترف بسيادة الأتراك الاسمية ،

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣ .

وتمكن بذلك من السيطرة على نجد . والكلام هنا يحتاج إلى مناقشة . فأية قوى تلك التي حاول تركي أن يوازن بينها ؟ وما هي الأدلة على أنه اعترف بسيادة الأتراك ؟ وهل صحيح أنه تمكن من السيطرة على نجد بذلك ؟ .

المعروف أن الوجود المصري التركي في المنطقة حاول أن يقضي على أية حركة يقوم بها أحد أفراد آل سعود بعد القضاء على دولتهم الأولى لكي يضمن استمرار النجاح الذي جاءت الحملة المصرية العثمانية إلى البلاد من أجله . تمثل ذلك الموقف في خنق حركة مشاري بن سعود بواسطة أعوان ذلك الوجود المصري التركي ، كما تمثل في ضرب محاولة تركي بن عبد الله الأولى بجنود الأتراك مباشرة . والمعروف أيضاً أن تركي بن عبد الله حين بدأ محاولته الثانية كانت قوته موجهة ضد الجنود الأتراك المسيطرين على الرياض وما حولها مباشرة ، وأنه ضيق الحصار على أولئك الجنود حتى اضطروا إلى طلب الصلح ، فوافق تركي على ذلك بشرط أن يخرجوا من الرياض ويذهبوا إلى أوطانهم . وكإجراء احتياطي ذهب إلى شقراء لكي يطمئن إلى أن أولئك الجنود المنسحبين لن يحاولوا الرجوع إلى العارض وقتاله مرة أخرى . ولم يعد من هناك حتى ترك هؤلاء المنطقة متجهين إلى المدينة المنورة . وبإجلاء تلك القوة أصبحت نجد خالية من جنود الأتراك والمصريين [1] .

ولا شك أن لشجاعة تركي بن عبد الله وتصميمه الدور الرئيسي في إرغام العساكر الموجودة في الرياض ومنفوحة على الجلاء . ولكن من الأمور التي ساعدته في إضعاف موقف هؤلاء أنه في نفس الوقت الذي كان فيه تركي يحاصر الرياض كانت هناك حركات في بلدان

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩ .

متعددة من نجد ضد الوجود المصري التركي . وكان آخر هذه الحركات ما قام به أهل عنيزة ضد الحامية الموجودة في قصر الصفا . وقد نجح الأهالي في إخراجها من القصر وإجبارها على الانسحاب . وبانسحاب هذه الحامية نحو الحجاز بقي العكسر المحاصرون في الرياض ومنفوحة وحيدين في نجد [1]. وهكذا يتضح أن موقف القوات المصرية التركية من تركي بن عبد الله كان عدائياً ، وأنه نجح في إجلائها عن بلاد نجد بالقوة . وفور جلاء تلك القوات عن هذا الإقليم بدأ رؤساء بعض بلدانه يفدون إلى تركي ليبايعوه إماماً لهم ، كما حدث بالنسبة ليحيى بن سليمان أمير عنيزة [2]. أما البعض الآخر فقد احتاج إلى استعمال القوة ، كما حدث بالنسبة لبعض زعماء منطقة الخرج وما حولها [3]. ولم تنته سنة ١٣٤٣ هـ إلا وإقليم نجد قد دخل في طاعة الإمام تركي على العموم بما في ذلك القصيم وجبل شمر [4]. وإذاً فإن نجاح تركي في نجد جاء نتيجة لنجاحه في طرد القوات المصرية التركية عن بعض مناطق هذا الإقليم ، ونجاح بعض الزعماء في مناطق أخرى منه في صمودها ضد قسم من تلك القوات لا أنه نتيجة لاعتراف تركي بسيادة الأتراك الاسمية التي لم يعزها المؤلف إلى أي مصدر .

واستمر نجاح الإمام تركي في ازدياد ولم يقتل إلا ونفوذه يشمل نجداً والمنطقة الشرقية وأجزاء من عمان . وعلى هذا الأساس فإن قول المؤلف (ص ٢٧) : إن كل ما قام به أمراء آل سعود ـ يقصد الذين جاءوا قبل فترة حكم فيصل بن تركي الثانية ـ من

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ١٩ ـ ٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

محاولات لإعادة بناء دولة سعودية جديدة لم توفق ، عندما كانت تقابل هذه المحاولات بعنف من قوات الترك ومحمد علي ، هذا القول لا ينطبق على الإمام تركي الذي نجح - كما رأينا - في إبعاد قوات الأتراك والمصريين عن بلاده واغتيل بعد نجاحه في ضم كثير من المناطق التي كانت تابعة للدولة السعودية الأولى دون أن يرى عودة تلك القوات إلى وطنه .

إذا وضح هذا تبين للقارىء ضعف حجة المؤلف الكريم في محاولته الردّ على الدكتور منير العجلاني ومن يرون رأيه الذين يعتبرون تركي بن عبد الله المؤسس للدولة السعودية الثانية . وتبين أن هؤلاء أقرب إلى الصواب من المؤلف . والمقارنة بين العهدين توضح ذلك كل التوضيح . فتركي بن عبد الله ساهم ونجح في إجلاء القوات التركية عن بلاده ، بينما يعود الفضل في جلاء القوات المصرية قبيل بدء فترة فيصل الثانية إلى عامل خارجي أوجب انسحاب كثير منها عن البلاد وإلى المجهود الذي بذله عبد الله بن ثنيان في إجلاء بقيتها . أما فيصل في فترة حكمه الثانية فإنه أتى والبلاد خالية من تلك القوات . وإذا نظرنا إلى المساحة التي شملها نفوذ كل من تركي وابنه فيصل رأينا أنها لا تختلف . فلم يحقق فيصل نجاحاً من حيث الاتساع أكثر مما حققه أبوه . صحيح أن فترة تركي شهدت اضطرابات داخلية أكثرها من رجال البادية. ولكن فترة فيصل الثانية شهدت هي الأخرى مثل تلك الاضطرابات . فبالإضافة إلى مشكلته مع العجمان شغلت مشاكل القصيم حيّزاً كبيراً من فترة حكمه ، إذ بدأت منذ سنة ١٢٦٢ هـ ولم تنته إلا سنة ١٢٧٩ هـ وإن كانت على فترات متقطعة . وإذا فرض أن تركي بن عبد الله كان قد اعترف بالسيادة الاسمية لتركيا فإنه لم يزد عما فعله ابنه فيصل الذي ظل معترفاً بمثل تلك السيادة كما يشير إلى ذلك في مراسلاته مع بريطانيا حول الخليج في سنتي

١٢٧٢ و ١٢٧٧ هـ[1] . فإذا أضيف إلى كل هذه الأمور عامل أسبقية الزمن تبين بجلاء رجحان رأي الدكتور العجلاني ومن يؤيدون رأيه وضعف حجة الدكتور أبي علية .

ويقول المؤلف (ص ٢٧): « ينقسم حكم فيصل إلى ثلاثة أقسام : الأول وهو دور المشاركة لحكم والده ، والثاني وهو في فترة حكمه الأولى ، والثالث وهو في فترة حكمه الثانية » . ولست أظن أن أحداً يوافق المؤلف الفاضل في اعتبار الفترة التي قضاها فيصل زمن أبيه جزءاً من حكمه . ومهما كان دور ذلك الابن في مساعدة أبيه بعد قدومه من مصر إلا أنه لا يرقى به إلى المشاركة في الحكم .

ويمضي المؤلف في كلامه عن دور فيصل زمن أبيه فيقول (ص ٢٩) : إنه قاد حملة بنفسه ضد قبائل القصيم وغزا بلدة عنيزة وقمع حركات التمرد فيها . ويعطي ابن بشر مصدراً لقوله هذا وبالرجوع إلى ابن بشر في الموضع الذي أشار إليه لا نجد أي شيء عن هذا ، بل إن المتتبع لابن بشر من عودة فيصل من مصر إلى اغتيال أبيه لا يجد أية إشارة فيه إلى ما ذكره المؤلف من أن فيصلاً قاد بنفسه حملة ضد قبائل القصيم الخ ، بل لا يجد أية إشارة إلى أن تلك القبائل أرسلت إليها حملة حينذاك ، أو أنه وقعت حركات تمرد في عنيزة وغزيت من قبل السلطة المركزية في الرياض .

ويستمر المؤلف في وصف دور فيصل إبّان حياة أبيه فيقول : إن أباه اعتمد عليه في ضم الإقليم الشرقي (الأحساء والقطيف) المنطقة الحيوية للدولة الجديدة . وفي هذا أمران :الأول أنه يعترف بأنه كان لتركي دولة ، وهو الشيء الذي حاول أن ينفيه سابقاً حين

---

(1) Baley Winder, **Saudi Arabia in the Nineteenth century**, New York, 1963, p.207.

ذكر أن الدولة السعودية الثانية لم تبدأ تتشكل إلا إثر تطبيق معاهدة لندن ١٢٥٦ هـ على يد مؤسسها فيصل بن تركي . والثاني موضوع اعتماد تركي على ابنه في ضم الإقليم الشرقي . والذي حدث أن الاتجاه نحو ذلك الإقليم بدأ بغزوة قام بها ابن عفيصان بأمر الإمام تركي . ثم أقبل زعماء بني خالد بأتباعهم من هناك لمحاربة نجد . وربما كان لغزوة ابن عفيصان أثر في تحرك هؤلاء . وسار فيصل بأمر أبيه لصد الجملة الأحسائية ، وتقابل معها بين الصمّان والدهناء ، وقتل زعيم بني خالد ، ماجد بن عريعر ، إلا أن فيصلاً كان في موقف احتاج فيه إلى معونة فأقبل إليه أبوه ، ونتج عن وصول الأب إلى أرض المعركة بمن معه وقوع الفشل في صفوف الخصوم وانتصار الجيش السعودي ، الذي زحف من هناك إلى الأحساء بقيادة تركي بن عبد الله نفسه ، ولم يعد هذا الإمام إلى عاصمته إلا بعد أن استكمل ضم ذلك الإقليم ورتّب أموره [1] .
وهكذا يتضح أن ضمّ الأحساء كان قد تمّ على يد الإمام تركي ، وأن ابنه وإن كان له دور فإنه لا يصل إلى ما قد يفهم من عبارة الدكتور أبي علية .

ويقول المؤلف (ص ٣٥) : «إن فيصلاً أمر بإرسال جباته مع أمراء وزعماء المناطق إلى الأقاليم إلا أن بعض القبائل البدوية في منطقة الدواسر والأفلاج رفضت دفع الزكاة لحكومة فيصل فأرسل إليها حملة بقيادة ابن عيّاف.. وبعد ذلك عادت الحملة إلى الرياض وبصحبتها زعماء الأقاليم الذين حضروا إلى العاصمة لإعلان الطاعة للامام فيصل». ويعطي ابن بشر مرجعاً لهذا الكلام .

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٣٨ - ٤١ .

والذي ذكره ابن بشر ما يلي : « وفي هذه السنة ـ ١٢٥٠ ـ وقع بين أهل وادي الدواسر اختلاف بينهم، فأمر الإمام على جميع بلدان نجد بالمغزى . فاجتمعوا عنده في الرياض فاستعمل فيهم أميراً حمد بن عياف فسار بهم إلى الوادي . . . ثم رجعوا إلى أوطانهم فأقبل رؤساء أهل الوادي وافدين إلى فيصل وبايعوه كما يأتي »[1] . ويقول ابن بشر بعد ذلك بسطور : « وفي أثناء هذه الغزوة أتى إليه ـ فيصل ـ وفد أهل وادي الدواسر ، وهو في منزله ذلك ـ أي في الشعراء ـ وطلبوا منه العفو والصفح » .

إذاً فابن بشر لم يذكر أن سبب غزوة ابن عياف رفض أهل وادي الدواسر دفع الزكاة لحكومة فيصل وإنما ذكر أن سببها وقوع اختلاف بينهم . وابن بشر لم يقل إن زعماء ذلك الإقليم أتوا بصحبة ابن عياف إلى العاصمة ، وإنما قال إنهم أتوا إلى فيصل وبايعوه (كما يأتي) وأوضح بعد ذلك أنهم أتوا إلى فيصل أثناء غزوته وهو في الشعراء .

ويقول المؤلف (ص ٣٦) فيما يتعلق بآل علي ، حكام جبل شمر السابقين: إن فيصلاً عيّن عبد الله بن رشيد بدلاً من صالح ابن عبد المحسن أميراً على حائل « إلا أن آل علي رفضوا مثل هذا الإجراء وثاروا ضده وحدثت مشادة في مسجد حائل بعد صلاة الجمعة انتهت بمرار آل علي إلى القصيم وأقاموا في بلدة بريدة، فما كان من فيصل إلا أن أصدر تعليماته إلى حاكم بريدة بمعاقبة آل علي ونفذ هذا الأوامر فقتل رئيسهم صالح بن علي وعدداً من جماعته مما اضطر أسرة آل علي أن تهاجر من القصيم إلى مكة » . ويعطي ابن بشر مصدراً لكلامه . فماذا قال ابن بشر ؟ .

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

قال هذا المؤرخ : « لما وصل عبد الله بن رشيد إلى حائل أميراً كثر القال والقيل بينه وبين صالح آل علي وأعوانه فحصل بينهم مجادلة في المسجد . فخرج صالح وأتباعه وقصدوا قصرهم فدخلوه . فحشد عليهم عبد الله وأعوانه . ثم أخرجهم بالأمان ، وهدم قصرهم وأخرجهم من بلدان الجبل . فقصدوا إلى بلدة بريدة . وكتب عبد الله إلى الإمام فيصل يخبره بالأمر ، وأنهم الذين بدأوا بالشر فصدقه . ثم إنه - أي ابن رشيد - أدركهم بعد ذلك في بلدان القصيم وقتلهم »[1] . فإذاً لم يقل ابن بشر إن فيصلاً أمر حاكم بريدة بمعاقبة آل علي ، ولم يقتلهم ذلك الحاكم .

وفي صفحة ٤٤ يذكر الدكتور أبو علية « أن إسماعيل بك أرسل حملة من الجيش إلى جبل شمر لإخضاع أميره عبد الله بن رشيد وأنه كان مع الحملة عيسى بن علي حاكم جبل شمر سابقاً » . والصحيح أن عيسى لم يكن حاكماً على الجبل قبل هذه الحملة فقد كان الحاكم صالح بن عبد المحسن كما سبقت الإشارة إليه . أما عيسى فإنه تولى حكم الجبل بواسطة هذه الحملة . ولعلّ هذا الخطأ ناتج من عدم وضوح عبارة ابن بشر التي تقول : « عيسى بن علي رئيس الجبل في القديم » ، وعبارة (في القديم) قد تعني اسم علي جد هذه الأسرة . وإذا لم تؤخذ هذا المأخذ فإنها بدون شك من بين الأمور التي وقع فيها ذلك المؤرخ من حيث عدم الدقة في بعض التعبيرات . ذلك أنه من الثابت تاريخياً أن أمير الجبل منذ استيلاء آل سعود عليه سنة ١٢٠١هـ كان محمد بن علي عبد المحسن آل علي . ثم خلفه أخوه صالح الذي عزله فيصل وعين بدلاً منه عبد الله بن رشيد كما ذكر آنفاً .

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص٧٣ .

ويقول الدكتور أبو علية (ص ٤٦) : إن أخبار اجتماع فيصل بخالد بن سعود وصلت إلى خورشيد عن طريق يحيى بن سليمان حاكم بريدة . وكما هو معروف كان يحيى أميراً لعنيزة ، ولم يكن حاكماً لبريدة .

ويقول (ص ٤٨) : إن ابن بشر يذكر أن الشريف عبد الله جاء إلى منفوحة عند فيصل ومعه بعض الهدايا . وأقنعه بالانسحاب إلى الاحساء بعد أن وعده بتثبيته على ملكه . وعبارة ابن بشر ليس فيها ما يشير إلى إقناع الشريف لفيصل بالانسحاب إلى الأحساء . فقد قال ذلك المؤرخ : « قدم الشريف على فيصل في منفوحة بالهدية . . وقام يتودد إليه ويعده ويمنيه ، فرحل فيصل من منفوحة وقصد الخرج ونزل بلد الدلم . . ولما استقر فيها أمر على عمر بن عفيصان أن يقصد الأحساء ، وأرسل إلى عمان حمد بن يحيى . . وإلى وادي الدواسر الزهيري أميراً وإلى الأفلاج محمد بن جلاجل أميراً »[1] .

ويمضي الدكتور أبو علية في حديثه حول هذه النقطة مقارناً بين مضمون وثيقة بعثها خورشيد إلى القاهرة وبين رواية ابن بشر ليثبت بطلان ادعاء ابن بشر ـ هكذا ـ ويوضح أن رواية خورشيد أدق وأصح .

والواقع أن ما بني على أسس غير سليمة لا بد وأن تكون نتيجته غير سليمة . فلقد رأينا كيف أن كثيراً مما نقله المؤلف عن ابن بشر كان غير سليم ، إما لأنه فهم غير ما قصد ابن بشر أو لأنه نسب إليه ما لم يقله كلية .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

ولنقف عند هذا الموضوع لنرى إذا كان يختلف موقف الدكتور فيه من ابن بشر عن مواقفه الأخرى منه أو لا .

نسب المؤلف عن وثيقة خورشيد أنها تشير إلى أن فيصلاً قرر الانسحاب إلى الأحساء وأن يرسل إلى خورشيد أخاه جلوي بن تركي بصحبة الشريف عبد الله رهينة عند خورشيد، وأعلن لجماعته أنه سيغادر الرياض في مدة ثلاثة إلى أربعة أيام . وأكد أن رواية هذه الوثيقة أدق وأصح بخاصة أنها رسالة من تابع لسيده لا يكتب فيها إلا كل ما هو رسمي وصحيح . وقال: ومما يدعم صحة رواية خورشيد بقاء خالد والقوات في نجد وانسحاب فيصل بما معه من أموال وأسلحة من منفوحة إلى الأحساء الخ [1] .

يلاحظ ـ إذا كان نقل الدكتور عن الوثيقة صحيحاً ـ أن فيصلاً أعلن لجماعته أنه سيغادر الرياض في مدة ثلاثة إلى أربعة أيام . والمعروف أن المفاوضات بين الشريف وفيصل كانت في منفوحة .

ومما يستدل به الدكتور على دقة وصحة الوثيقة أنها من تابع لسيده لا يكتب فيها إلا كل ما هو رسمي وصحيح . فهل هذا الادعاء غير قابل للنقاش ؟ ليس من الضرورة أن كل ما كتبه تابع لسيده صحيح مائة بالمئة ، فقد تتدخل عوامل معينة تجعل بعض ما كتب غير صحيح . يحدث ، أحياناً ، أن يكتب التابع للسيد ما يرى أنه يسر سيده ويسعده كادعاء انتصار كلي بدلاً من انتصار جزئي وتخفيف هزيمة أو محاولة تبريرها بدون مبرراتها الحقيقية . ويحدث ، أحياناً ، أن يكتب التابع للسيد ما يرى أنه في مصلحته وإن كان مبالغاً فيه كأن يصور التابع عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ويضخم

(١) انظر ص ص ٤٧ ـ ٤٩ .

قوة العدو لكي يستدر أموالاً طائلة وجنوداً كثيرين من رئيسه . تحدث مثل هذه المواقف من قِبَل كثير من الأتباع . وفي هذه الحالة بالذات فإن ما كتبه خورشيد عن الموقف مبني - فيما يبدو - على تقارير من الشريف عبد الله . وإذا كان خورشيد - كغيره من المكلفين بمهمات - قد يوجد في تقريره ما هو قابل لعدم الدقة فإن كون تقريره إلى مصر مبيناً على تقرير من شخص آخر يزيد من تلك القابلية .

ويستدل المؤلف ، أيضاً ، على صحة رواية خورشيد ببقاء خالد والقوات في نجد ، وانسحاب فيصل إلى الأحساء . أما بقاء خالد وقواته فقد حدث لسبب آخر سيأتي التعرض له بعد قليل . وأما انسحاب فيصل إلى الأحساء فإنه لم يحدث ، كما رأينا . بل الذي حدث أن فيصلاً عزّز موقفه في جنوب نجد بإرسال الأمراء إلى بعض المناطق وبقي بنفسه في تلك الجهة ولم يبرحها إلى الأحساء ، وإذاً فما بني على زعم خاطىء فهو خاطيء .

وقد أثار المؤلف تساؤلات عدة ليثبت بطلان رواية ابن بشر . ومن هذه التساؤلات : لماذا نقل فيصل جميع أمواله من الرياض قبل أن يغادر منفوحة ما دامت شروط الصلح - كما يروي عن ابن بشر - تنص على تعيينه أميراً على نجد ، ألم يكن هذا معناه أن شروط الصلح تذكر انسحابه إلى الأحساء ويأخذ - هكذا - معه كل ما يريد من أمواله وعتاده ؟ .

وهنا أمران : هل ذكر ابن بشر أن شروط الصلح تنص على تعيينه أميراً على نجد ؟ . وهل نقل الأموال من الرياض دليل على تضمن الشروط انسحابه إلى الأحساء ؟ .

الذي ذكره ابن بشر أن خالد بن سعود وإسماعيل بعثا فهيداً الصييفي وأصحابه مع إبراهيم المعاون إلى القصيم لحمل العسكر

الموجودين فيه إلى الرياض ، وأن هؤلاء حين وصلوا القصيم وافتهم الأخبار بإقبال خورشيد مع عبد الله الشريف ومعه هدية لفيصل ومراسلات وخدايع له ، وألزموه يرحل عن حربهم ، ووعدوه التقرير في ملكه . وإذاً فالمفهوم من رواية ابن بشر إلى هنا أنه كانت هناك أخبار عن إقبال خورشيد وعما ينوي تجاه فيصل بأن يتوقف هذا الأخير عن الحرب وأن يقرر في ملكه مقابل ذلك . أما حين وصل الشريف فعلاً إلى فيصل بالهدية فإنه قام يتودد إليه ويعده ويمنيه . فرحل فيصل واستظهر جميع ماله في الرياض . . وقصد الخرج الخ ، فابن بشر لم ينص على أنه كانت شروط من بينها النص على تعيين فيصل أميراً على نجد ، وإنما قال هناك أخبار وافت بأن فيصلاً وعد لتقرير في ملكه ، وكلمة (ملكه) تشمل نجداً وغيرها في الظاهر . وأما الاستدلال بنقل فيصل الأموال من الرياض على تضمن الشروط انسحابه إلى الأحساء فضعيف . وذلك أن النقل يوحي بتخلي فيصل عن الرياض . لكن لا يفيد الانسحاب إلى الأحساء . فقد يتخلى عن الرياض ويبقى في جنوب نجد كما حدث فعلاً .

والمتأمل في الموقف ككل يتضح له أن فيصل بن تركي كان ضاغطاً على خالد وأعوانه في الرياض ؛ خاصة بعد انهيار معنوية هؤلاء إثر الهزيمة التي لقوها على أيدي سكان منطقة جنوب نجد ، وأن من بين مهمات حملة خورشيد تعزيز موقف خالد وبالتالي موقف حكومة مصر في نجد . ويحتمل أن خورشيد ـ إدراكاً منه لحرج موقف خالد ـ بعث إلى فيصل يسأله أن يتوقف عن الحرب ويعده بإقراره حاكماً على جزء من البلاد . وكان يهدف بهذا إلى كسب الوقت . ويحتمل أن فيصل بن تركي ـ إدراكاً منه هو الآخر لضعف موقفه بعد تقدم حملة خورشيد ـ قبل ذلك العرض . والأقرب أن يكون ما توصل إليه فيصل مع الشريف عبد الله مندوب خورشيد

هو أن تظل المنطقة الجنوبية من نجد والأحساء تابعتين لفيصل وأن تبقى الرياض وبقية نجد تابعتين لخالد . وعلى هذا الأساس أخذ فيصل ما أخذ من الرياض واستقر في المنطقة الجنوبية من نجد . لكن يبدو ، أيضاً ، أن خورشيد لم يكن مخلصاً في وعده . ولهذا فإنه كلما تقدم في نجد اتضحت نواياه العدوانية ضد فيصل أكثر فأكثر . ولعل اتضاحها هو ما دفع جلوي بن تركي إلى الهرب من خورشيد حينما وصل إلى القصيم واللحاق بأخيه فيصل في الخرج . وما أن تمكن خورشيد من الوصول إلى العارض حتى أعلن حربه لفيصل وحدث ما حدث من حربه له وانتصاره عليه .

وحين بدأ يتكلم المؤلف عن الصراع بين عبد الله بن ثنيان وبين خالد بن سعود ذكر أن خالداً أكبر إخوة عبد الله بن سعود (ص ٦٠) . ويبدو أنه يريد أن يقول أصغر إخوة عبد الله إلا أن خطأ مطبعياً أو سهواً وقع . وقال إن عبد الله بن ثنيان ادعى أنه أولى بالعرش من خالد بن سعود لأنه أنقى نسباً منه . (ص ٦٣) غير أنه لم ينسب ادعاء عبد الله ذلك إلى أي مصدر . والمصادر المتوفرة حول هذا الموضوع ليس فيها ما يشير إلى ذلك الادعاء . والذي أورده ابن بشر ـ مثلاً ـ أن ابن ثنيان كاتب بعض زعماء المنطقة الجنوبية من نجد وقال لهم إنه يريد إخراج العساكر من نجد فوعدوه بالنصرة [1] . وفي ظني أن طرح القضية من قِبَل ابن ثنيان على هذا الأساس كاف لأن يكسب تأييد الكثيرين من أهل نجد . وقال المؤلف ، أيضاً ، إن ابن ثنيان ادعى أنه ينوب في الحكم عن فيصل بن تركي [2] . ومرة أخرى ليس في المصادر المتوفرة ما يشير

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩ .

(٢) انظر ص ٦٣ وانظر أيضاً ص ٦٦ حيث يقول : ومما شجع النجديين على تأييد عبد الله بن ثنيان إعلانه لهم أنه سيحكم البلاد نائباً عن الإمام فيصل .

إلى أن ابن ثنيان ادعى ذلك حينما بدأ صراعه مع خالد بن سعود . والواقع أن ضاري بن فهيد الرشيد،وهو من نسب إليه المؤلف ذلك لم يذكر ادعاء عبد الله في تلك المرحلة من صراعه مع خالد وإنما ذكر أن ابن ثنيان قال لعبيد بن علي حينما كان فيصل محاصراً له في الرياض : « إني أخاف من فيصل أنه يقتلنا . وأنا ما أطلب شيء إنما نجد خليت وكنت أنا أحق بها من غيري. والآن جاء صاحب المكان،أنا حافظ وديعة وأرد الأمانة إلى أصحابها ، على أنك تضمن لي الأمان وأني أنزل في وجهك »[1] . فكلام ابن ثنيان ، هنا ، محاولة منه للإبقاء على حياته قاله في آخر لحظة لعله ينجو من الخطر المحدق به . قاله ليتخلص من فيصل حين أحس بنهايته ، لكنه لم يقله حين رفع لواء الثورة ضد خالد بن سعود .

ويقول المؤلف (ص ٦٧) : إن من نتائج استيلاء ابن ثنيان على ضرماء فرار خالد بن سعود من الرياض إلى الأحساء كدليل قوي على عدم جدوى المقاومة .

والذي يتضح من كلام ابن بشر أن سفر خالد إلى الأحساء كان قبل استيلاء ابن ثنيان على ضرماء،وأن الغرض من سفره ،فيما يبدو ، كان تجميع أنصار من تلك المنطقة بعد أن تثاقل الناس عن نصرته في نجد[2] .

ويقول المؤلف (ص ٦٩) : إنه لم ينج من نهب ابن ثنيان في عرقة إلا جماعة تدعى بالصنع . والعبارة يفهم منها أن الصنع اسم للجماعة . والحقيقة أن الصنع اسم لمحل . فالذين نجوا من النهب هم أهل الصنع كما ينص على ذلك ابن بشر[3] .

---

(١) نبذة تاريخية عن نجد ، دار اليمامة في الرياض،١٣٨٦ هـ ، ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق، ج ٢ ، ص ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

ويقول المؤلف (ص ٧١) : « فأعدم ـ ابن ثنيان ـ سعد بن دغيثر . . وكان وكيلا لخالد بن سعود في مدينة الرياض بعد فراره إلى الأحساء » . والحقيقة أن خالد بن سعود حين ذهابه إلى الأحساء ترك حمد بن عياف أميرا على الرياض . أما سعد فكان أميرا على جملة من خدام خالد [١] .

ويقول الدكتور أبو علية (ص ٧٤) : « وبنو خالد هم أصحاب السلطة القوية في الأحساء قبل قيام الحكم السعودي وأثناء تطوره . وظلوا طويلا من ألد وأقوى خصوم السعوديين في المنطقة الشرقية . وأخيرا خضعوا لآل سعود في عهدهم الأول زمن الإمام الثاني من أئمة الدولة السعودية الأولى ، عبد العزيز بن محمد بن سعود . وبذلك فقد بنو خالد سيادتهم في المنطقة بخاصة بعد مجيء الحكم المصري وسقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا » . وأكثر كلام الدكتور هنا صحيح، غير أن آخره خطأ . فالواقع أن بني خالد فقدوا سيادتهم في المنطقة باستيلاء آل سعود عليها، كما ذكر . لكن مجيء الحكم المصري وسقوط الدرعية لم يزيدا من فقدانهم . وذلك أن ماجد بن عريعر سار من عند إبراهيم بعد استيلائه على الدرعية ومعه أخوه محمد فاستوليا على الأحساء ثم على القطيف [٢] . وظل لبني خالد قوة في تلك المنطقة حتى استولى عليها تركي بن عبد الله سنة ١٢٤٥ هـ [٣] .

ويقول المؤلف (ص ٧٥): «عمر بن عفيصان من زعماء الأحساء. وآل عفيصان من الخرج. وقد لعب بعض أفراد هذه

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ٤٠ ـ ٤١ .

الأسرة أدوارا بارزة في التاريخ السعودي ، خاصة في قيادة الجيوش الموجهة نحو الجهات الشرقية من جزيرة العرب وإمارة تلك المناطق . وعمر واحد من أولئك الأفراد .

ويقول المؤلف (ص ٧٨) : « وتدخل السعوديون مرارا في شؤون البحرين الداخلية . ففي زمن سعود بن عبد العزيز تدخل في النزاع القائم بين البحرين وإمارة مسقط بعد أن استنجد سلمان ابن خليفة ، حاكم البحرين ، بالحاكم السعودي ضد حاكم مسقط الذي احتل البحرين من آل خليفة وأجلاهم عنها وعين أخاه سعيدا حاكما على البحرين عام ١٢١٥هـ » . والواقع أن هذه القضية حدثت زمن عبد العزيز بن محمد لا زمن ابنه سعود [١] .

ويقول المؤلف (ص ٧٩) : « ولم تكن الكويت بمنجى من دفع الزكاة للحكام السعوديين الأقوياء . فقد دفع الشيخ جابر بن عبد الله الصباح الزكاة للإمام السعودي تركي بن عبد الله دليلا على طاعة الكويت لآل سعود » . ويذكر ابن بشر مصدرا لكلامه . وبالرجوع إلى هذا المؤرخ اتضح أنه يقول :

« ثم سار ـ تركي بن عبد الله ـ ونزل الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت . وأقام عليها أكثر من أربعين يوما . وأهدى إليه جابر بن عبد الله بن صباح رئيس الكويت هدايا » [٢] وهكذا يتضح أن ليس في كلام ابن بشر أي ذكر لدفع الزكاة .

ويقول المؤلف (ص ص ٨٨ ـ ٨٩) : « ومهما يكن من أمر فقد خرج فيصل من السجن ، واتجه إلى جبل شمر.وفيه طلب

---

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤١ .

العون من صديقه القديم عبد الله بن رشيد رئيس الجبل، فوعده بتقديم العون المادي والمعنوي حتي يستطيع استرداد حكمه من عبد الله بن ثنيان » .

وأعطى مصدرين لكلامه أحدهما ابن بشر والآخر ضاري بن رشيد . أما نسبته عن ابن بشر فهي هذه المرة صادقة. وأما نسبته إلى ضاري فلا ، حيث أن ضاري بن رشيد يقول عن هذا الموضوع : « فلما قدم فيصل إلى نجد من مصر أرسل إلى آل الرشيد أن يأتي أحدهم . وكان عبد الله عليه أثر سخونة فأرسل أخاه عبيد فتوافقا في القصيم وإذا ابن ثنيان في القصيم لمحاربة إحدى العاصمتين »[1] .

ويقول المؤلف (ص ٩٠) : « وبهذا تكون قوة فيصل قد ازدادت بعد أن ضمت إلى جانب جبل شمر قبائل ـ هكذا ـ عنيزة وقبائل مطير وقبائل عتيبة ». فهو يخلط بين الحضر والبدو، إذ من المعروف أن عنيزة بلدة . فبدلا من أن يقول أهل عنيزة قال قبائل عنيزة . وكثيرا ما وقع في مثل هذا الخلط كما حدث حينما كان يتكلم عن قوتي خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيان حيث قال (ص ٦٦) : « حلفان من القوى الاجتماعية المتنازعة الأول من قبيلة سبيع وقبائل الجنوب كأهالي الحوطة والحلوة والحريق والفرعة . وكان هذا الحلف بزعامة عبد الله بن ثنيان . والثاني من قبائل الرياض والخرج وسدير والمحمل، وكان هذا الحلف بزعامة خالد بن سعود » .

ويقول المؤلف (ص ١٠٥) : « ومنها ـ من عنيزة ـ تسربت الفتنة إلى بريدة فعمت منطقة القصيم . فأصدر فيصل أمره إلى

---

(١) ضاري الرشيد، المصدر السابق ص ٤١ .

قائده عبد الله المداوي . . أن يتوجه لمنطقة القصيم ويتولى حكم بلدة عنيزة ويرسل ناصر السحيمي إلى الرياض لينال جزاء فعلته » .
والواقع أن ناصراً السحيمي كان موجودا عند فيصل قبل أن يرسل المداوي إلى القصيم كما يدل على ذلك كلام ابن بشر ، وكما يدل عليه كلام الدكتور أبي علية نفسه بعد سطور من عبارته السابقة .

وبعد أن تكلم الدكتور أبو علية عن ذهاب عبد العزيز بن محمد، حاكم بريدة، إلى شريف مكة سنة ١٢٦٦ هـ ، وتوسط هذا الأخير له عند فيصل ثم إعادته إلى حكم بسريدة قال (ص ص ١٠٨ - ١١٠) : « ولم تهدأ الاضطرابات في منطقة القصيم . . وكان من بين الأسباب التي كانت تثير الاضطرابات هو الخلاف بين عائلتي آل سليم وآل السحيمي وذلك للنزاع على حكم عنيزة . . ومهما يكن من أمر فقد قتل آل سليم ناصر السحيمي انتقاما منه لقتله بعض - هكذا - رؤساء آل سليم وهو إبراهيم بن عم عبد العزيز (يبدو أنه يقصد عبد العزيز آل عليان حاكم بريدة) واضطر مطلق السحيمي أن يغادر بريدة - هكذا - وأهله إلى أشيقر وظل فيها إلى وفاته سنة ١٢٧٨ هـ . ونتيجة لهذا الحادث استدعى فيصل عبد العزيز آل محمد (آل عليان) إلى الرياض للتباحث معه بشأن أعمال عائلته الانتقامية ضد آل السحيمي والتي تثير القلاقل في المنطقة » .
ويستمر الدكتور في كلامه فيقول : « ثار آل سليم من جديد عام ١٢٧٠هـفزحفت قوات نجد بقيادة عبد الله بن فيصل وعسكرت عند روضة الربيعية كمقدمة للزحف على بريدة مركز الثورة. فما كان من عبد العزيز آل محمد إلا أن ارتحل منها إلى عنيزة . لكن الأهالي وحاكمها لم يوافقوا على منحه حق الحماية . . إلا أن قوات نجد لاحقته من مكان لآخر حتى أمسكت به في موضع يدعى آبار الشقيقة فذبح مع ثلاثة من أولاده كانوا معه ». ويمضي في حديثه

فيقول : « وبهذا العمل الإيجابي تم القضاء على زعيم آل محمد. وبذلك خمدت نار الفتنة وتقلصت زعامة عائلة قديمة في المنطقة الشمالية لم تكن في يوم مخلصة للحكم السعودي إلا بما يتناسب مع ظروف القهر والقوة » . ويستمر في الكلام فيقول : « وقد أجرى عبدالله بن فيصل بعض الإجراءات الإدارية في المنطقة فعيّن عبد الرحمن بن إبراهيم من رؤساء بلدة منفوحة حاكما علي بريدة ، لكن أهل القصيم لم يرضوا عنه فثارت ضده بلدة عنيزة ، مما اضطر فيصل أن يأمر البدو بنهب المدينة وبعض القرى في المنطقة ، وجهز جيشا بقيادة صالح بن شلهوب فتوجه إلى بريدة لمساعدة عبد الرحمن ابن إبراهيم ضد الثورة . وقد تكبد الطرفان الخسائر الفادحة . ومع هذا فقد كال الأهالي الصاع صاعين لقوات فيصل مما اضطر عبد الرحمن بوقف الهجوم . وقد برز في التمرد الجديد شخصية جديدة كذلك هو محمد بن غانم الذي كان له يد في قتل الحاكم السابق عبد الرحمن بن عدوان وتسلم حكم بريدة بالقوة بعده . وكان قد فر إلى المدينة المنورة من وجه قوات فيصل . وكان من نتيجة ذلك فشل عبد الرحمن بن إبراهيم وانهزام جيوشه في رواق . وعلى إثر ذلك استدعاه فيصل إلى الرياض وعذبه فيها ، وأذله وصادر أمواله وعين على المنطقة وعلى الجيوش في القصيم القائد صالح بن شلهوب حاكما عسكريا عاما » .

ومن له إلمام بتاريخ هذه البلاد سوف تناله الدهشة حين يقرأ مثل هذا الخلط الغريب ؛ خاصة أن كاتبه ممن يتوخى فيهم المعرفة والدقة . ولعله من المستحسن ذكر الوقائع التاريخية كما ذكرتها المصادر الموثوقة ليتبين مقدار ذلك الخلط الغريب الذي وقع فيه الدكتور أبو علية .

في سنة ١٢٦٣ هـ عزل الإمام فيصل إبراهيم بن سليم عن

إمارة عنيزة وعين بدله ناصراً السحيمي [1] وكلتا الأسرتين من سبيع . لكن عبد الله اليحيى السليم وأعوانا له حاولوا القضاء على ناصر والاستيلاء على حكم البلد ، ففشلت محاولتهم وانهزم عبد الله إلى بُريدة عند أميرها عبد العزيز آل محمد ـ وهو من تميم ـ . وضرب مطلق السحيمي ، أخو ناصر ، أحد أعوان عبد الله حتى مات ، كما قام ناصر نفسه بعد برئه من جراحه بقتل إبراهيم بن سليم أمير البلد سابقا . وكتب ناصر إلى فيصل يخبره بما عمله آل سليم ضده كما كتب عبد العزيز آل محمد أمير بريدة إلى فيصل يخبره أن آل سليم لم يعتدوا على ناصر إلا لأمور حدثت منه . فرد فيصل على عبد العزيز أن يرسل إليه عبد الله اليحيى ومن لجأ معه إلى بريدة . وحين وصلوا إلى الرياض أكرمهم الإمام وكتب إلى السحيمي يأمره أن يحضر إلى الرياض ليجلس مع خصومه عند حاكم الشرع.فحكم القاضي بديات الرجال والجراحات [2] . وبعث فيصل عبد الله المداوي إلى عنيزة ، غير أن أهل البلد لم ينصاعوا إليه فاقترح ناصر السحيمي على الإمام فيصل أن يعيده إلى عنيزة ليقضي على ظاهرة الفتنة فيها ، فأرسله الإمام إلى هناك . غير أن ناصراً لم يفِ بما تعهد به . بل انضم إلى أهل بلده في ثورتهم . وقد أدرك هؤلاء أن بلدتهم بمفردها ضعيفة ، فاتجهت أنظارهم إلى بريدة ، وأغروا أميرها عبد العزيز آل محمد حتى قبل تزعّم الثورة . وهكذا استفحلت الأمور في تلك المنطقة ، فاتجه الإمام فيصل بقواته إلى هناك لمعالجة الوضع ، وتمكن بقوته وسياسته من الوصول إلى صلح مع الثائرين . غير أن حادثة وقعت والإمام لا يزال في منطقة القصيم فعكرت الصفو بين الطرفين من جديد . ذلك أن الإمام بعث ابنه عبد الله بجيش لمهاجمة فريق من عنزة . وكانت هذه القبيلة في تلك الفترة

(1) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

(2) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

حليفة لأهل القصيم   وحين أصاب عبد الله من ذلك الفريق ما أصاب هرب بعض رجاله إلى عنيزة واستصرخوا عبد العزيز آل محمد الذي كان موجودا آنذاك مع رجاله في تلك البلدة . وسار أهل القصيم بزعامة عبد العزيز للانتقام لعنزة . وبعد أن تجاوزوا بريدة عارضهم بدو من أصحاب عبد الله بن فيصل فأخذوا ما معهم . وأشار بعض اهل القصيم على عبد العزيز أن يكتفي بما أخذ من أصحاب عبد الله ويعود . لكن آخرين أشاروا عليه أن يقاتل عبد الله نفسه . وانتصر الرأي الأخير . وتقابل أهل القصيم مع عبد الله في اليتيمة سنة ١٢٦٥ هـ . غير أنه هزمهم هزيمة منكرة ، وأتت فلولهم إلى عنيزة . ثم تركها عبد العزيز عائدا إلى بريدة . أما أهل عنيزة فقد عفا عنهم الإمام فيصل بمساعي قاضي بلدتهم الشيخ عبد الله أبي بطين . ثم قدم الإمام إلى عنيزة ، وأرسل إلى عبد العزيز آل محمد يدعوه إلى السلم أو الحرب . غير أن جهود أقاربه نجحت في الحصول على عفو الإمام عنه وجعله أميراً في بريدة [١] .

وكضمان لضبط الأمور في المنطقة عيّن فيصل أخاه جلوي بن تركي أميرا على القصيم ومقره في عنيزة. [٢]

وفي سنة ١٢٦٦ هـ غزا الإمام فيصل بجنوده جهة الشمال . ويبدو أن عبد العزيز آل محمد رأى في مجيء الإمام إلى تلك الجهات خطرا يهدده نتيجة لأعماله السابقة رغم عفو الإمام عنه . ولذا هرب إلى الحجاز . وحين علم فيصل بهروبه قدم إلى بريدة ، وعين أخا عبد العزيز ، وهو عبد المحسن بن محمد ، أميراً عليها . أما عبد العزيز فإنه حاول إقناع شريف مكة بمساعدته عسكريا ، ففشل .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ١٢٨ - ١٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .

غير أن ذلك الشريف توسط له عند فيصل فعفا عنه مرة أخرى وأعيد إلى إمارة بريدة [1] .

وفي سنة ١٢٧٠ هـ قام أهل عنيزة على جلوي بن تركي وأخرجوه من بلدتهم . فاتجه إلى بريدة وأقام فيها . وكتب إلى أخيه يخبره بما وقع ، وتأمر في عنيزة عبد الله اليحيى بن سليم. فجهز الإمام فيصل عبد الرحمن بن إبراهيم إلى القصيم . وأخذت قواته تغير على أطراف عنيزة . ثم ذهب إلى المنطقة عبد الله بن فيصل ومعه جيش آخر ودارت بينه وبين أهل عنيزة معركة في الوادي ثم وصلت إلى عبد الله إمدادات أخرى في بداية السنة التالية . وحين اشتد الحصار على عنيزة طلب أهلها الصلح . وقد ركب عبد الله اليحيى إلى الامام فيصل وسويت الأمور بين الطرفين ، فعاد عبد الله بن فيصل من القصيم ومعه عمه جلوي [2] .

وفي سنة ١٢٧٥هـ ركب ناصر السحيمي من عنيزة إلى الهلالية ليرى خيلا له هناك . فلحق به عبد الله اليحيي وزامل بن عبد الله وحمد بن إبراهيم آل سليم وقتلوه ثم عادوا إلى عنيزة ، وذلك لقتله إبراهيم بن سليم - كما ذكر - وانتقل مطلق السحيمي، أخو ناصر، بعد ذلك إلى أشيقر إلى أن توفي سنة ١٢٨٢هـ [3] .

وفي نفس سنة ١٢٧٥هـ استقدم الإمام فيصل عبد العزيز بن محمد من بريدة ، وأجلسه مع ولديه عنده في الرياض ، وأمّر في بريدة عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان - وهو من آل عليان - . غير أن هذا الأمير قتل في السنة التالية على أيدي بعض أقاربه ومنهم عبد

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ١٣٧ - ١٤٠ .
(٢) ابن عيسى ، عقد الدرر، ص ص ١٠ - ١٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨ .

الله الغانم وأخوه محمد [1] . ويبـــدو أن الإمام فيصلا اعتقد أن لعبد العزيز ضلعا في قتل أمير بريدة ، فسجنه . ثم أخرجـه من السجن ، وأذن له بالعودة إلى بلاده بعد أن أخذ عليه مواثيق . غير أنه استبقى لديه عبد الله بن عبد العزيز بن محمد [2] .

وبعد انتصار عبد الله بن فيصل على العجمان ومن معهم سنة ١٢٧٧هـ اتجه إلى القصيم . ولما علم بذلك عبد العزيز بن محمد أمير بريدة تركها مع أولاده والمقربين إليه إلى عنيزة . ثم خرجوا منها متجهين إلى مكة . ولما بلغ عبد الله بن فيصل خبرهم أرسل في طلبهم سرية مع أخيه محمد . فلحقهم في الشقيقة وقتل منهم سبعة رجـال . وعين فيصـل عبد الـرحمن بن إبراهيم أميـرا على بـريدة [3] .

وفي سنة ١٢٧٨هـ ساءت العلاقة بين أهل عنيزة وبين الإمام فيصل . فأرسل سرية مع صالح بن شلهوب إلى بريدة ، وكتب إلى أمير هذه البلدة حينـذاك ، عبد الـرحمن بن إبراهيم،أن يغـير على أطراف عنيزة . ففعل ذلك غير أنه لم ينجح في جهوده .

وكان محمد الغانم ، أحد الذين قتلوا عبد الله بن عدوان أمير بريدة ، موجوداً في المدينة المنورة فقدم إلى عنيزة وشجع أهلها على مهاجمة بريدة ، ففعلوا غير أنهم أخرجوا منها منهزمين . وهنـا أمر الإمام فيصل على محاربي بعض المناطق بالتوجه إلى بـريدة لنجـدة أميرها ابن إبراهيم ، الذي أخذ بعد ذلك يغير على المناطق التابعة لعنيزة . ثم دارت بينه وبين أهل عنيزة معركة في رواق فانتصروا

---

(١) المصدر نفسه ، ص ص ١٨ - ١٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ص ١٩ - ٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

عليه . وأمر الإمام فيصل ابنه محمدا بالسير لقتال أهل عنيزة . ودارت بينهم وبينه معركة في الوادي انتصروا عليه في بدايتها لكنه انتصر عليهم في النهاية . ثم ذهب عبد الله بن فيصل بقوات كبيرة إلى القصيم وتم حصار عنيزة . وفي آخر الأمر توصل الطرفان إلى صلح ، وظل عبد الله اليحيى أميراً على عنيزة . أما بريدة فإن أميرها ابن إبراهيم عزل وعين محله محمد ابن أحمد السديري [1] .

هذا هو ملخص الأحداث التي وقعت في القصيم خلال الفترة التي تحدث عنها الدكتور أبو علية . وهذا الملخص مستقى من المصدرين الرئيسيين ابن بشر وابن عيسى . وبمقارنة ما ورد فيه بما أورده الدكتور يتضح الفرق العظيم . وأعتقد أن القاريء الكريم ليس في حاجة إلى الاشارة إلى الأخطاء التي وقع فيها الدكتور واحدا بعد آخر فإن وضوحها كافٍ عن إعادتها مفصلة .

ويقول المؤلف (ص ١١١) : « في عام ١٢٦١ هـ حدثت خلافات قبلية بين محمد بن مقرن رئيس منطقة الأفلاج وبين عبد العزيز آل محمد رئيس منطقة القصيم ، وكادت الفتنة أن تأخذ مجراها لولا تدخل فيصل وقواته التي اتجهت إلى الجنوب فأخضعت الفتنة ، وكبلت زعيم الأفلاج بالحديد ، وأرسل إلى الرياض ليقيم في السجن عدة شهور لانه المعتدي وعليه تقع المسؤولية ». وأعطى ابن بشر مصدرا لما ذكره . فما الذي ذكره ابن بشر ؟ .

يقول هذا المؤرخ : « وفيها (١٢٦١ هـ) سار الإمام فيصل بجنود المسلمين وقصد الأفلاج لاختلاف وقع بينهم ، ومعه الشيخ محمد بن مقرن وأمير بريدة عبد العزيز بن محمد . وكان قد غضب عليه الإمام فأرسل إليه وقيده بالحديد وسجنه في بيت عنده عدة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ص ٣٣ - ٣٥ .

أشهر . ثم شفع فيه رجال من رؤساء المسلمين ، فأطلقه وسار معه في هذه الغزوة . ثم إن الإمام نزل بلد ليلى وأرسل إلى رؤساء البلدان فأتوا إليه فحبس أهل الخلاف وأخذ منهم نكالا . ثم رحل قافلاً إلى وطنه »[1] .

ويقول الدكتور أبو عليه (ص ١١٧) : « زار بوجريف معظم أقاليم نجد كجبل شمّر والقصيم ونجد والأحساء وبعض مناطق الخليج » . ولا شك أن القارىء الكريم ليس في حاجة إلى توضيح ما في هذه العبارة من خطأ .

ويقول المؤلف (ص ١٤٠) : « إن انكسار سعد بن مطلق في معركة العاتكة لم ينسه فيصل بل اتهمه بالتقصير ، وكذلك وجه إليه اللوم عما وقع في المنطقة من حالات الاضطراب والفوضى . فكان هذا كافياً لعزله عن البريمي عام ١٢٦٤ » . وأعطى ابن بشر مصدراً لما قال . والحقيقة أن ابن بشر ذكر أن المعركة المذكورة وقعت سنة ١٢٦٤ هـ . لكن عزل سعد عن البريمي كان سنة ١٢٦٦ هـ[2] .

وحينما بدأ الدكتور أبو علية كلامه عن الحرب الأهلية بين أبناء الإمام فيصل قال (ص ١٥٦) :

« لم تكن الفتنة وليدة موت فيصل بل هي ممتدة بجذورها إلى فترة حكمه . ومما يدل على هذا ما نفس به سعود عن حسده لأخيه زمن حكم أبيه . وما هذا الحسد إلا نتيجة لصعود عبد الله سلم الشهرة بين رجال الحكم في البلاد وبين الرؤساء المحليين لكثرة عوامل الاحتكاك بهم . فكانت له قاعدة شعبية تكفل له التأييد والدعم ضد الهزات . عرف فيصل ما يجول بخاطر ابنه سعود فولاه الخرج والأفلاج من مناطق جنوب العارض » .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ١٢٥ و ١٣٨ .

والواضح من الكلام السابق أن تولية فيصل سعودا على الخرج كانت نتيجة إدراكه لما يجول بخاطر ابنه سعـود ، وأن ما وقـع في خاطر سعود كان نتيجة هو الآخر للشهرة التي تمكن عبد الله من تحقيقها . والذي ذكـرته المصادر أن سعودا ولي عـلى الخرج سنة ١٢٦٣ هـ[1] . ولو حاولنـا أن نتتبع تلك الأعمـال التي قام بهـا عبد الله فكونت له شعبية جعلت سعودا يحسده عليها لما وجدنا أنه قام بأي عمل قبل هذه السنة التي تولى فيها سعود إمارة الخرج . وقد كان ذلك العمل الذي قام به عبد الله في تلك السنة قيادة بعض الجيش الذي جهز للقاء حملة الشريف . ومعروف أن الشريف عاد إلى بلاده دون حرب .

ويعدد الدكتور أبو علية أسباب الفتنة بين أبناء الإمام فيصل فيقول (ص ص ١٥٧ ـ ١٥٨) :

١ ـ طمع سعود في تسلم الإمامة إذ رفض منذ اللحظة الأولى التي تعين فيها أخوه على السلطة أن يبايعه .

٢ ـ مؤازرة بعض القبائل لسعود .

٣ ـ تشجيع آل رشيد في حائل وشيوخ البحرين وإمام عمان وبالتالي الدولة العثمانية للفتنة .

٤ ـ طمـع بعض الزعـماء المحليين في استغـلال الانقسـام كـأداة للانفصال عن الرياض .

٥ ـ يبدو أن عبد الله كان متعصباً في شؤون الـدين بعكس أخيه سعود الذي كان يميل إلى الاعتدال والتسامـح ، ولكن المدقق يمكنه اعتبار هذا سبباً ثانوياً .

٦ ـ تمركز قوة سعود وأبنائه في الخرج .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

٧ ـ طمع أمراء القصيم في الاستقلال وبخاصة أن عبد الله بدأ يناصر آل عليان ضد آل مهنا حكام القصيم وقتذاك .

٨ ـ وجود خلاف بين سلالة تركي بن عبد الله وسلالة أولاد عمومتهم سعود بن عبد العزيز .

٩ ـ تشجيع بعض القبائل البدوية للفتنة من أجل مكاسب فردية .

والواقع أن هذه النقاط التي ذكرها الدكتور كأسباب للفتنة فيها ما يحتاج إلى نقاش . فقد ذكر أن السبب الأول في الفتنة طمع سعود في الإمامة. وهذا محتمل جداً ، وإن كان أحد المؤرخين يقول : إن سعودا لم يثر على أخيه إلا بسبب اضطهاده له حتى انه منع الناس من الاتصال به [1] . ويقول آخر إنه حدثت منافرة بين عبد الله وبين سعود أثناء غزوتها ضد الظفير سنة ١٢٨٣ هـ . فهرب سعود من الرياض بعد العودة من تلك الغزوة بعشرة أيام [2] . غير أن الدكتور أبا علية قال : إن سعودا رفض منذ اللحظة الأولى أن يبايع عبد الله . والحقيقة أن عبد الله تولى الحكم سنة ١٢٨٢ هـ ،وأن سعودا خرج عليه سنة ١٢٨٣ هـ [3] .

والمعتقد أن سبب الفتنة خروج سعود على أخيه عبد الله سؤاء كان خروجه طمعاً في السلطة أو نتيجة للمعاملة التي عومل بها من قِبَل أخيه . أما أكثر الأسباب التي أوردها الدكتور أبو علية فليست أسباباً للفتنة ابتداء . وبعضها مواقف لأناس أو جهات استغلت

---

(١) مقبل الذكر ، تاريخ لم يقرر له مؤلفه عنواناً ، مكتبة كلية الآداب ، جامعة بغداد رقم ٥٦٩ ، ص ٨٦ .

(٢) عبد الله بن بسام ، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، صورة لنسخة نقلها عن الأصل نور الدين شريبة سنة ١٣٣٥ هـ ، ورقة ١٤٩ أ .

(٣) ابن عيسى ، عقد الدرر ، ص ٤٣ .

اندلاع الخلاف بين الأخوين لتحقيق مآربها . وبعضها الآخر مواقف لفئات لم يكن لها مطامع ـ فيما يظهر ـ قبل اندلاع ذلك الخلاف وظهور بعض نتائجه . فمثلا ظل آل رشيد في علاقة طيبة مع عبد الله بن فيصل ولم تبد منهم أية إشارة إلى الطمع في بعض أملاك آل سعود قبل استنجاد آل مهنا بمحمد بن عبد الله بن رشيد ضد آل عليان في بريدة سنة ١٢٩٣ هـ . وقد أتى ذلك الاستنجاد بعد الحروب بين الأخوين، بل بعد موت سعود نفسه . وكذلك الدولة العثمانية لم تتدخل في شؤون دولة الرياض في تلك الفترة إلا بعد استنجاد عبد الله بن فيصل بها ضد أخيه سنة ١٢٨٨ هـ .

ومن الأسباب التي ذكرها الدكتور أبو علية وجود خلاف بين سلالتي تركي بن عبد الله وسعود بن عبد العزيز . وأعطى أمين سعيد مصدراً لهذا السبب . والواقع أن أمين سعيد ذكر ذلك في المجلد الأول لا الثاني ، كما ذكر الدكتور . والأهم من هذا أن أمين سعيد لم يعز ادعاءه إلى أي مصدر . ومصدر تاريخ هذه الفترة المحلي الشيخ إبراهيم بن عيسى لم يشر إلى أي دور لسلالة سعود بن عبد العزيز في أسباب تلك الفتنة .

ثم يمضي الدكتور أبو علية في شرحه لتطور الفتنة ، ويتساءل هل هي حرب فردية بطلاها عبد الله وسعود وأخويهما ـ هكذا ـ محمد وعبد الرحمن أم هي حرب قبلية ؟ ويجيب (ص ١٥٩) عن تساؤله بأنها « كانت حرب قبائل تجمعت لديها أسباب الحرب . . . ولم تدخل الكتل البدوية في الحرب إلا لغاية في نفسها . فبنو خالد يريدون عودة سلطتهم القديمة في مناطق الشرق . والدواسر والعجمان وبنو مرة يحاولون الاستقلال والتمتع به وبأعمال الغزو . والعائلات النجدية القديمة تريد استعادة مكانتها الأولى . والأشراف يريدون السيطرة على القصيم ونجد . وآل رشيد يحلمون في توسيع

رقعة إمارتهم خارج نطاق الجبل . والأتراك يريدون قمع الحركات الانفصالية في الجزيرة . وبعض الجماعات تريد الحرب للإفادة من السلب والنهب » .

وتوحي عبارة الدكتور أن الفئات التي ذكرها كلها فروع للكتل البدوية التي دخلت الحرب . ولعلّه لا يريد أن يقول ما هو ظاهر عبارته لأن هذا غير معقول . ذلك أن من بين تفريعاته الأتراك . لكن على فرص أنه كان ينوي أن يقول إن الفئات النجدية التي انضمت إلى المتنازعين على السلطة كانت قبائل أو كتلاً بدوية فإن كلامه لا يقبل على إطلاقه . صحيح أنه كانت هناك قبائل بدوية مع هذا وذاك . ولكن لم تكن قوتا الطرفين محصورتين على تلك القبائل فقط ، وإنما كان معها الكثير من الحضر . غير أن المؤلف كثيراً ما خلط في هذا الموضوع ؛ مثل قوله (ص ١١٩) : إن هـذه الحرب تعيد للأذهان الحروب الطويلة التي قادها آل سعود ضـد القبائـل المعارضة لدعوة التوحيد . وكلامه هذا يوحي بأن المعارضين لتلك الدعوة كانوا من القبائل فقط .

وفي معـرض كلام الـدكتـور أبي عليـه عن نتـائـج استيـلاء العثمانيين على المنطقة الشرقية من هذه البلاد بعد استنجاد عبد الله بن فيصل بهم ضد أخيه قال (ص ١٥٩) : «وبدأ مدحت باشا يوسع شقة الخلاف بين أبناء هذه الأسرة (السعودية) فأطلق سراح محمد بن فيصل من سجنه في القطيف » . ولا شك أن إطلاق سراح محمد من سجنه ليس فيه دليل عملي على بدء مدحت باشا توسيع شقة الخلاف بين أبناء الأسرة السعودية ، وإنما كان نتيجة منطقية حيث أن الجيش العثماني أتى إلى البلاد بحجة مساعدة عبد الله بن فيصل . وكان محمد ، المسجون من قِبَل سعود ، الساعد الأيمن لعبد الله . لذا فان إطلاق سراحه كان من الأمور المطلوبة والمتوقعة .

وبعـد أن تكلم المؤلف عن هروب عبـد الله بن فيصل من

الشيرقية واستلامه حكم الرياض من عمه عبد الله بن تركي ، ثم عن انتصار سعود للمرة الثانية ودخوله الرياض سنة ١٢٩٠ هـ عاد ليتحدث عن المحاولات التي قام بها أبناء فيصل لإخراج العثمانيين من البلاد فقال (ص ١٧٢): « إنه في أبريل سنة ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) وصل سعود إلى القطيف وبرفقته أخواه عبد الله ومحمد وذلك من أجل إعداد موالين لهم في المنطقة من بدوها وحضرها علهم يتمكنون بهذا الضغط من انسحاب قوات الأتراك من المنطقة وتعود الأمور إلى سابق عهدها . . واتفق سعود وعبد الله أن يهاجما الأتراك كل من جهة علهما يوزعان جهد عدوهم الأقوى فكان على عبد الله أن يتوجه لمهاجمة الأحساء وأما سعود فيهاجم القطيف » .

أما ابن عيسى المؤرخ النجدي لتلك الفترة فقد ذكر أن سعود ابن فيصل سار إلى الدلم بعد قيام عمه ضده في الرياض . ثم اتجه من الدلم إلى الأحساء في آخر جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ هـ . وقام بنشاط هناك بدعم من العجمان وآل مرة . فخرجت عليه عساكر الترك ومعهم عبد الله بن فيصل فالتقى الفريقان في الخويرة وصارت الهزيمة على سعود وأتباعه . وقد كانت هذه المعركة قبل وصول مدحت باشا بتعزيزات عراقية إلى المنطقة بأيام . ثم إن عبد الله حذر من مدحت فعمل حيلة هرب بها إلى الرياض [1] . ولم يذكر هذا المؤرخ أي نشاط عسكري قام به عبد الله ضد العثمانيين في المنطقة الشرقية . على أن بيلي وايندر ذكر أن الفترة التي أعقبت انهزام سعود أمام الأتراك شهدت نوعاً من المراسلات بين عبد الله وسعود لإنهاء النزاع بينهما وتكوين جبهة ضد العثمانيين لكن شيئاً لم ينتج عن ذلك [2]

(١) عقد الدرر، ص ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٦.

وكلام بيلي وايندر محتمل ؛ خاصة أن سعودا كان قد هزم وعبد الله أصبح مدركاً بعد مجيء التعزيزات مع مدحت أن العثمانيين أتوا ليبقوا في المنطقة . أما أن سعودا وصل إلى القطيف وبرفقته عبد الله ومحمد فأمر يحتاج إلى دليل قوي . والقرائن تؤيد كلام ابن عيسى ولا تستبعد قول بيلي وايندر .

ويقول الدكتور أبو علية (ص ١٧٥) : «إن قبائل عتيبة المؤيدة لعبد الله بن فيصل أخذت تغير على الرياض نفسها برئاسة مسلط بن ربيعان ـ وكان حاكم الرياض آنذاك سعود بن فيصل ـ وذلك نتيجة لضعف السلطة في الرياض وتعرض الطرف الغربي منها لعدة غارات من البدو مما أربك الأهالي وضايقهم من حكم سعود».

وأعطى ابن عيسى مصدراً لكلامه .

والحقيقة أن ابن عيسى لم يذكر أي شيء عن ابن ربيعان ولا تعرض غربي الرياض لغارات البدو وتضايق الأهالي من حكم سعود في الموضع الذي أشار إليه الدكتور . إن ابن عيسى ذكر في موضع آخر أن سعوداً دخل الرياض بعد انتصاره على أخيه عبد الله في الجزعة ، فبايعه أهلها . وكتب إلى رؤساء البلدان ليقدموا إلى الرياض لمبايعته ففعلوا وأمرهم بالتجهز للجهاد . ولما كان في ربيع الثاني من سنة ١٢٩٠هـ خرج بمن معه واستدعى غزو البلدان . ثم قصد مسلط بن ربيعان ومن معه من عتيبة ، وهم على طلال ، فدارت معركة بين الطرفين وهزم سعود [1] . ولم يشر ابن عيسى أية إشارة إلى هجوم مسلط على الرياض نفسها ، كما أدّعى الدكتور .

ويقول الدكتور أبو علية (ص ١٧٧) : « وظهرت أهمية جبل

(١) عقد الدرر، ص ٦٣.

شمّر في عهد الإمام تركي بن عبد الله . وكان يتولى إمارتها آنذاك عيسى بن علي الذي اختلف مع عبد الله بن رشيد مما اضطر الأخير إلى الفرار إلى الحلة في العراق ثم إلى الرياض » .

والصحيح أن أمير الجبل حينذاك صالح بن عبد المحسن ، استمر كذلك حتى عزله فيصل وعين عبد الله بن رشيد بدلاً منه . أما عيسى بن علي فانه أتى إلى إمارة الجبل بعد مجيء حملة إسماعيل آغا وخالد بن سعود .

ويقول الدكتور (ص ١٧٨) عن محمد بن رشيد : «توسعت في زمنه إمارة حائل فشملت الجوف ووادي السرحان في الشمال». والحقيقة أن هاتين المنطقتين كانتا قد دخلتا ضمن إمارة حائل قبل تولّي محمد حكمها . ثم يقول : «وتدخل محمد في شؤون القصيم والمجمعة وسدير سنة ١٢٩٩ هـ». والصحيح أنه تدخل في شؤون القصيم بالذات سنة ١٢٩٣ هـ حين أتى بقواته إلى بريدة لنجدة آل مهنا ضد آل عليان .

وبعد ذلك يقول الدكتور : في سنة ١٢٩١ تولى عبد الرحمن بن فيصل حكم الرياض ومضى في حكمه على أتم وجه حوالي السنة . وبعدها انعكست الأوضاع بالنسبة له إذ جاء أخوه عبد الله ومعه محمد من بادية العجمان ـ حيث كانا لاجئين سياسيين هناك ـ إلى الرياض ومعهما قوات من بدو عتيبة وحضر الوشم والتقت قواتهما مع قوات عبد الرحمن في ثرمداء . أما ابن عيسى فيقول : إن عبد الرحمن قام بالأمر بعد وفاة أخيه سعود في ١٢٩١/١٢/١٨ هـ . وكان عبد الله بن فيصل وأخوه محمد حينذاك مع بادية عتيبة [1] . ولا شك أن رواية ابن عيسى أصح ؛ إذ أنه من المستبعد أن يكون

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

عبد الله مع قبيلة العجمان وهي القبيلة التي كانت معارضة له حينذاك .

ويتحدث الدكتور أبو علية (ص ١٨٢) عن محاولة عبد الله بن فيصل إخضاع المجمعة وقدوم محمد بن رشيد لنجدتها ويجعل ذلك سنة ١٢٩٥هـ معطياً ابن عيسى مصدراً لما ذكر . والواقع أن هذا المؤرخ ذكر أن تلك الحادثة كانت سنة ١٢٩٩ هـ [١] .

ويقول المؤلف إن أولاد سعود بن فيصل هجموا على عمهم عبد الله في الرياض وقبضوا عليه فهرع ابن رشيد لنجدته سنة ١٣٠٢هـ . والمرجح أن هذا الأمر وقع سنة ١٣٠٥هـ كما ذكر المؤرخ المعاصر لهذه الفترة الشيخ ابن عيسى [٢] .

ويورد الدكتور أبوعلية أقوال فيلبي والريحاني وارم سترونج عن مصير كل من عبد الرحمن بن فيصل وأخيه محمد بعد ذهاب عبد الله إلى حائل . أما بالنسبة لعبد الرحمن فإن ابن عيسى أشار إلى مجيئه من حائل مع أخيه عبد الله . غير أنه لم يذكر ذهابه معه إلى هناك . والمرجح أن عبد الرحمن لحق بأخيه عبد الله في حائل بعد فترة من وصول عبد الله إليها . وأما محمد بن فيصل فالمرجح أنه بقي في الرياض للاطمئنان إليه وهو الاطمئنان الذي قد يفسره بقاؤه في هذه المدينة بعد أن هرب منها أخوه عبد الرحمن حتى وفاته فيها سنة ١٣١١ هـ [٣] .

ويقول المؤلف (ص ١٨٥) : « في عام ١٣٠٣ هـ حدث خلاف بين أهالي الخرج وأولاد سعود الثلاثة وهم محمد وسعد

---

(١) المصدر نفسه ، ص ص ٧٤ ـ ٧٥ .
(٢) تاريخ بعض الحوادث ، ص ١٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

وعبد الله . أما عبد العزيز فكان أسيراً في حائل فضج النـاس في وادي حنيفة مما أغضب ابن رشيد فأمر بعزل ابن سبهان وتعيين فهاد ابن رخيص » .

أما من حيث التاريخ فالمرجح ـ كما ذكر آنفاً ـ أن مجيء ابن رشيد إلى الرياض ومن ثَمَّ تعيينه ابن سبهان أميراً عليها كان سنة ١٣٠٥ هـ وعلى هذا الأساس فعزله عن إمارتها أتى بعد التاريخ المذكور . وأما عزل ابن سبهان فإنه لم يكن بسبب ضجيج الناس في وادي حنيفة الناتج عن حدوث الخلاف بين أهـالي الخرج وأولاد سعود . وإنما ضج الناس في المنطقة لما قام به ابن سبهان من قتل لأولاد سعود الثلاثة والطريقة التي تم بها ذلك القتل . فغضب ابن رشيد ـ أو تظاهر بالغضب ـ من عمل ابن سبهان . وأكد لعبد الله ابن فيصل أنه ليس لديه خبر سابق بما قام به ذلك الأمير . وكدليل على عدم رضاه عن عمله عزله وعين ابن رخيص بدلاً منه [1] .

وحينما تحدث المؤلف عن حصار ابن رشيد للرياض بعد قبض عبد الرحمن بن فيصل على ابن سبهان ذكر من بين شروط الصلح بين الطرفين إطلاق سراح سالم ، وقال (ص ١٨٧) : «إن هذا الشرط ذكره حافظ وهبه وأخذ عنه كل من أمين سعيد وعبد الغفور عطار». والواقع أن ابن عيسى مؤرخ هذه الفترة المعاصر ذكر أن الطرفين تصالحا وان ابن سبهان أطلق وأصحابه [2] . وابن عيسى ، كما هو معروف ، قبل حافظ وهبه .

وفي معرض كلام الدكتور أبي علية عن علاقة آل سعود أثناء

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ . وانظر ضاري الرشيد ، المصدر السابق ، ص ص ٥٢ـ ٥٤ .

(٢) تاريخ بعض الحوادث ، ص ١٩٥ .

فترة الانقسام بالكويت قال (ص ٢٢٥) : « إن مبارك بن صباح استخدم آل سعود لضرب خصمه ابن رشيد . فقاد عبد الرحمن آل سعود عدة هجمات بقوات نجدية كويتية ضد بدو آل رشيد . وحاول عبد الرحمن وابنه عبد العزيز استرداد الرياض . وبالفعل وصلت قواتهم وحاصرتها ما عدا الحصن فقد ظل في يد قوات ابن رشيد » ، ثم مضى يقول « ولم يقف ابن رشيد من هذه الهجمات موقفاً ضعيفاً ، بل استدرج أعداءه مبارك وآل سعود إلى منطقة القصيم حيث جرت معركة الصريف التي انتصر فيها ابن رشيد . ثم يعطي الدكتور أسباباً لانتصار ابن رشيد من بينها أن قوات مبارك كانت من البدو غير المدربين بخلاف جند ابن رشيد المدرب.

والواقع أنه أثناء سير حملة مبارك وآل سعود لمواجهة ابن رشيد في معركة الصريف اقترح أن يذهب عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود على رأس فرقة من الجيش للاستيلاء على الرياض . أما أبوه عبد الرحمن فقد ظل مع مبارك وأكثرية الجيش لمقابلة ابن رشيد . ومن الواضح أن هناك مبالغة في التفريق بين جيش مبارك وجيش ابن رشيد ووصف أحدهما بأنه غير مدرّب ، والآخر بأنه مدرّب .

ويقول الدكتور أبو علية (ص ٢٢٦) : « ونعترف أن فشل مبارك في هذه المعركة ـ معركة الصريف ـ جعله يتصل بالانجليز ويعمل على طلب الحماية منهم بخاصة أن بريطانيا بدأت تستغل العداء الكويتي الرشيدي لصالحها . ونتج عن ذلك أن عقدت مع الكويت معاهدة سنة ١٣١٦ هـ». وواضح أن اتصالات مبارك بالانجليز سبقت اتفاقيته معهم سنة ١٣١٦ هـ[1] . فكيف تكون اتصالات مبارك بالانجليز ناتجة عن فشله في معركة الصريف التي حدثت سنة ١٣١٨ ؟

---

(١) المصدر نفسه، ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

وفي تمهيد الدكتور للكلام عن أنظمة الحكم والإدارة في الدولة قال (ص ٢٢٩) : « لذا فإن الدولة تسير بالنسبة لأنظمة حكمها حسب الشرع . وهي بذلك اهتمت بالمسائل الروحية دون النظر إلى الحياة المدنية » . وما من شك أن المؤلف مخطيء في حكمه هذا . فالشرع مع اهتمامه بالمسائل الروحية لم يغفل الحياة المدنية . والدولة السعودية التي يتحدث عنها المؤلف لم تهمل النظر إلى الأمور غير الروحية في المجتمع . وكانت سياستها المعلنة الاهتمام بمصالح الناس في دينهم ودنياهم . يتضح ذلك من رسائل حكامها إلى الناس ، ومما قام به سعود بن فيصل ـ مثلا ـ بعد أن ولاه أبوه ناحية الخرج من إصلاح لتلك الناحية وعمران ما خرب منها [1] . ويدل عليه أيضاً ما ذكره الدكتور أبو عليه نفسه (ص ١٨٢) من أن الحكام السعوديين كانوا يعينون أمراء الأقاليم في الغالب من زعماء محليين لأسباب منها أنهم أدرى بمشكلات سكانها في كل الأمور .

وحين تحدث المؤلف عن ولاية العهد قال (ص ١٣١): إن الدولة سارت حسب النظام الوراثي الأسري للابن الأكبر من أولاد الإمام . . إلا أنها كانت تخرج عن هذه القاعدة في بعض الحالات ؛ فيختار أكبر أفراد الأسرة الحاكمة للإمامة ، ومثال على هذا تعيين عبد الله بن تركي إماماً للدولة عندما خلع أهل الرياض سعودا عن الحكم .

وهذا المثال الذي أورده المؤلف غير مسلم بصحته ؛ لأن سعود بن فيصل كان مسيطراً على الرياض ، وكان أخوه عبد الله المنازع له بعيداً عنها . وكذلك كان أخوه محمد في المنطقة الشرقية .

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٦٤ ، ١١٢ و ١٢٤ .

وحين أمر سعود أتباعه بالرجوع إلى بلدانهم من الرياض غادروها ، وأصبح موقفه ضعيفاً ، فثار عليه أهل الرياض ومعهم عمه عبد الله ابن تركي ، وأرغموه على مغادره المدينة . وتولى عبد الله بن تركي السلطة فيها إلى أن قدم إليها عبد الله بن فيصل من المنطقة الشرقية [1] . وإذاً فلم يكن هناك اختيار للأكبر من الأسرة ، وإنما كانت هنالك ثورة ضد سعود تزعمها عمه عبد الله الذي كانت بينه وبينه وحشة على حد تعبير ابن عيسى قبل هذه الحادثة [2] .

ويقول الدكتور أبو علية (ص ص ٢٣١ - ٢٣٢) : « وكثيراً ما يعين ولي العهد أميراً على إقليم من أقاليم الدولة . . وخير ما يدل على صحة هذا القول تعيين الأمير عبد الله بن فيصل زمن إمامة أبيه حاكماً على الرياض . وأعطى ابن بشر مصدراً لما ادعاه .

والحقيقة أن ابن بشر لم يذكر في الموضع الذي أشار إليه الدكتور أن عبد الله عين حاكماً على الرياض ، وإنما ذكر أن سعود ابن فيصل عين أميراً على منطقة الخرج .

وفي كلام الدكتور عن أمراء المناطق ذكر (ص ٢٤٤) أن عيسى بن علي كان أميراً لحائل زمن خالد بن سعود ، وأنه عزل أثناء ولاية عبد الله بن ثنيان وعين بدلاً منه عبد الله بن رشيد .

والحقيقة أن عيسى بن علي لم يستقم في إمارة حائل إلا مدة قليلة . وقبل أن يستسلم فيصل بن تركي لخورشيد سنة ١٢٥٤ هـ استعاد عبد الله بن رشيد إمارة تلك المنطقة . وقد جرت وقعة بقعاء المشهورة بينه كأمير للمنطقة وبين أهل القصيم زمن خالد بن

(١) ابن عيسى ، عقد الدرر ، ص ٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

سعود ، وذلك سنة ١٢٥٧ هـ . أما عيسى بن علي فقد توفي في الأحساء سنة ١٢٥٦ هـ [1] .

ومهما كانت الملاحظات على كتاب الدكتور أبي علية كثيرة فإنه بذل جهداً يستحق عليه الشكر . والله الموفق .

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٨٤ و ٩٧ - ٩٨ .

ملاحظات على كتاب الدكتور محسن غياض

عن الصحفي السياسي المؤرخ النجدي سليمان بن صالح الدخيل

ملاحظات على كتاب الدكتور محسن عياض *

عن الصحفي السياسي المؤرخ النجدي سليمان بن صالح الدخيل

لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة جهود طيبة في نشر الوثائق والدراسات المفيدة . ولعل حرصه الشديد على نشر ما له علاقة بتاريخ الخليج هو الذي دفعه إلى نشر هذا الكتاب للدكتور عجيل . وقد كتب على غلافه الخارجي ما يوحي بأنه صدر سنة ١٩٨٢ م ، لكنه نص في الصفحة الداخلية منه على أنه صدر سنة ١٩٨١ م .

ويتكون الكتاب من ١٧٤ صفحة ، منها ٢٩ صفحة تكلم فيها المؤلف عن سيرة سليمان الدخيل وآثاره ومنهجه العلمي وجهاده السياسي . ومنها ١٢٥ صفحة أعاد فيها نشر مقالات سبق أن نشرها الدخيل في مجلة لغة العرب بين سنتي ١٩١١ و ١٩١٤ م ، مع تعليقات قليلة .

ويبدو أن شعبة الدراسات اللغوية والأدبية في المركز قد تأثرت بما كتبه الدكتور عجيل عن الدخيل حتى قالت عنه :

« إنه يعتبر واحداً من الروّاد العرب الذين أسهموا في مجالات متعددة توزعتها الصحافة والسياسة والتاريخ واللغة والأدب ، فكان متمكناً بكل ما طرحه وواثقاً ثقة العالم الجاد[1] ».

وإذا كان في هذه العبارة ما فيها من مبالغة سوف تتضح من خلال المناقشة فإن الشعبة كانت أكثر اعتدالاً حين أمّلت في نهاية

---

* نشر هذا التعليق في مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة، ١٤٠٤ هـ، ص ص ٨١ ـ ١٠٠

(١) ص ٩ من الكتاب وسيكتفى ، مستقبلا ، بذكر الصفحة دون الإشارة إلى الكتاب .

تقديمها للكتاب أن يكون نافعاً ـ ولو بعض الشيء ـ لأولئك المهتمين بدراسة التاريخ والأدب والصحافة العربية [1] .

والملاحظات على الكتاب بعضها يتعلق بدراسة المؤلف ، وبعضها يتعلق ببعض ما كتبه الدخيل . وإذا كان تناول الدراسة مهماً في حد ذاته فإن الهدف الرئيسي من تناول بعض ما كتبه الدخيل إبداء ما قد يساعد في تقويم ما ذكره المؤلف عنه .

ملاحظات على الدراسة :

ذكر الدكتور عجيل ، عند كلامه عن مناصب الدخيل ، أنه لم يتح له الاطلاع على ملف خدمته المحفوظ في وزارة الداخلية العراقية ، وقال : « ولا شك أن فيه سجلا كاملاً لمناصبه ووظائفه الحكومية وأسباب نزوله في التدرج الوظيفي بعد ذلك . » [2] وكلامه يفيد أن ملف خدمة الدخيل محفوظ في وزارة الداخلية العراقية ، وأن فيه سجلاً كاملاً لما ذكره . فإذا كان الملف محفوظاً في الوزارة وهو من الأهمية بالدرجة التي أشار إليها فهل يقتنع القاريء من مؤلف عراقي بالذات بعبارة « لم يتح لنا الاطلاع » دون ابداء ما يثبت محاولته الاطلاع وفشله في تلك المحاولة ؟ وما دام المؤلف لم يطلع على الملف فكيف يجزم بأنه يشتمل على ما ذكره ؟ أليس من الأفضل في مثل هذه المسألة أن يقال: « ومن المحتمل » أو « ومن المرجح » بدلاً من « ولا شك » ؟ إن ملفات الموظفين ـ وبخاصة في بلداننا ـ قد لا تشتمل على كل ما له علاقة بالموظف . فقد لا يذكر فيها ـ مثلاً ـ أسباب نزوله في التدرج الوظيفي ، وإنما يكتفى بذكر نقله من وظيفة إلى أخرى دون إشارة إلى سبب ذلك النقل .

(١) ص ٩ .
(٢) ص ١٧ .

وحين تكلّم الدكتور عجيل عن جريدة الرياض قال : إنها « استمرت في الصدور أربع سنوات طويلة ». ولا أدري لماذا وصف السنوات بالطول ما دام عددها معلوماً ؟ « وإنه من المؤسف حقاً ألاّ يبقى من أعدادها التي قد تبلغ المائتين غير عدد واحد فقط ، محفوظ في المكتبة الوطنية ببغداد »[1] . وعبارته تفيد الجزم بأنه لم يبق من أعداد الجريدة إلا عدد واحد . وهذا أمر محتمل . لكن من المحتمل ، أيضاً ، أن توجد أعداد منها في أمكنة أخرى مثل مكتبات تركيا أو مكتبة المتحف البريطاني . ومع افتراض بحث المؤلف في جميع المكتبات وفشله في العثور على شيء منها فإنه ينبغي ألاّ يعبّر بما يفيد الجزم بعدم الوجود ؛ وإنما يعبّر بما يفيد أنه لم يعثر حتى الآن إلا على عدد واحد منها .

ومن الواضح أن الدكتور عجيلا معجب جداً بالدخيل . ومن الواضح ، أيضاً ، أنه أراد أن يشاركه القارىء هذا الإعجاب . ومن وسائله في ذلك تفخيم مكانة من كتب عن الدخيل إذا كان في كلامه عنه ما يوحي بفضله ، وترك ذلك التفخيم إذا لم يكن فيه ما يوحي بفضل . فحمد الجاسر « علامة نجد ومؤرخها الأستاذ حمد الجاسر » حين قال : إن الدخيل « أول نجدي مارس الصحافة »[2] . لكنه وصف قبل ذلك « بالأستاذ حمد الجاسر » حين لم يكن في كلامه ما يدل على أسبقية[3] . ورفائيل بطي « الصحفي الكبير الأستاذ رفائيل بطي » حين قال عن جريدة الرياض : إنها « جريدة ذات لون خاص في الصحف العراقية بل في الصحف

---

(١) ص ١٩ .
(٢) ص ١٨ .
(٣) ص ١٤ وص ١٧ .

العربية قاطبة في ذلك الجيل » [1] لكنه وصف قبل ذلك بالأستاذ رفائيل بطي حين لم يكن كلامه عن الدخيل يوحي بعظمة [2] .

ولقد عمد الدكتور عجيل إلى تغيير كلام من تحدثوا عن الدخيل إما بذكر جوانب المدح في كلامهم عنه غير مقرونة بجوانب الذم من ذلك الكلام ، وإما بتغيير منطوق الكلام ليدل على عظمة من قيل فيه . ومن ذلك :

١ ـ ذكر أن الأستاذ رفائيل بطي أشاد بجريدة الرياض وقال : « إنها خدمت القضية العربية وساعدت على نشر الوعي القومي » وإنها كانت مصدراً لكل ما ينشر أو يذاع في العالم آنذاك من أخبار الجزيرة العربية وحوادثها ، « وإن مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر . وقد تشغل بعض مروياتها ، عن جزيرة العرب ، أسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية أياماً بل أشهراً » [3] .

فماذا قال الأستاذ رفائيل بطي عن الرياض ؟ قال : « إنها خدمت القضية العربية بما أحدثت من كثرة الضجيج والكتابة عن قلب الجزيرة العربية وينبوع العروبة ؛ فقد أذاعت الأحاديث عن العرب المعاصرين وقبائلهم ومنازلهم ومنازعاتهم وغزواتهم وحروبهم وسلمهم بنطاق واسع أثرّ على العقول ولفتها إلى هذه الرقعة من العالم العربي .

وليس عليكم بعد ذلك أن تدققوا أو تلحفوا في تمحيص صحة ما ترويه صحيفة الرياض من أخبار الإمارات العربية وسلطات

---

(١) ص ١٨ .
(٢) ص ١٥ و ١٧ .
(٣) ص ١٩ .

الخليج وزعامات البوادي . فالمبالغة بادية عليها . ولكن هذا لا يهم الكاتب أو الناشر ، إنما المهم أن أكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر . وقد تشغل بعض مروياتها من هذا اللون أسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية أياماً بل أشهراً ، بينما يكون الحادث من أساسه من مبتدعات خيال مدير الرياض أو محررها [1] ».

ولعل القاريء يرى الفرق بين ما نقله الدكتور عجيل من كلام الأستاذ رفائيل بطي وبين كلام ذلك الأستاذ .

٢ ـ ذكر الدكتور عجيل أن الشيخ حمد الجاسر قال عن الدخيل : « أديب نجد ، اشتغل بالأدب والتاريخ والصحافة ، وله فيها آثار لا يسع الباحث في تاريخ نجد إهمالها » [2]

والواقع أن الجاسر لم يقل عن الدخيل : « أديب نجد » وإنما قال : « أديب نجدي » [3] . والفرق واضح بين مدلولي التعبيرين .

٣ ـ وذكر الدكتور عجيل أن الجاسر قال عن **القول السديد في أخبار الرشيد** : « إنه أقدم ما كتب عن تاريخ هذه الإمارة في العصر الحاضر ، وإنه يشتمل على فوائد تاريخية لا توجد في غيره » [4]

وعنوان الكتاب : **القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد** ولعل كلمة « إمارة » سقطت سهواً في الطباعة. وما ذكره الشيخ الجاسر هو :

---

(١) رفائيل بطي ، الصحافة في العراق ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ص ٢٨ ، و ٢٩ .

(٢) ص ٢٠ .

(٣) حمد الجاسر ، « مؤرخو نجد من أهلها » العرب ، ١٩٧١ م ، ج ١ ، ص ٨٩٣ .

(٤) ص ٢٠ ، ٢١ .

« والمؤلف وإن ظهر في كتابه كثير من الضعف إلا أنه بحكم صلته بتلك الإمارة يصح القول بأن ما كتبه من أقدم ما كتب عن تاريخ تلك الإمارة في العصر الحاضر ، ومع كونه لا يخلو من تحيّز إلا أن فيه فوائد تاريخية لا توجد في غيره » [1] .

ومن الواضح أن الدكتور حذف من الكلام إشارة الجاسر إلى ما يوجد في الكتاب من ضعف كثير وعدم خلوه من التحيز ، كما أنه ادعى أن الجاسر قال عن الكتاب : إنه أقدم ما كتب عن تاريخ الإمارة مع أن الجاسر قال في الحقيقة : « من أقدم » ، والفرق واضح بين مدلولي التعبيرين .

وذكر الدكتور عجيل أن الجاسر نشر الكتاب المذكور [2] . والواقع أنه لم ينشر الكتاب كله . يقول الجاسر :

« ويمكن تقسيم الكتاب إلى قسمين : القسم الأول يتعلّق بتاريخ نشوء الإمارة قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجري عندما نشأت إمارة آل فضل وعنها تفرعت إمارة آل علي . التي خلفتها إمارة آل رشيد .

وهذا القسم معلومات المؤلف فيه على درجة من التفاهة والضعف بحيث لا يصح التعويل عليها . وهذا ما دفعنا إلى الاكتفاء من الكتاب بالقسم الثاني المتضمن لذكر إمارة آل رشيد » [3] .

كما أن الجاسر أضاف إلى ما نشره من الكتاب تتمة من كتاب

(١) حمد الجاسر القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد،دار اليمامة،١٩٦٦ م ، ص ١٤٦.
(٢) ص ٢٠ .
(٣) حمد الجاسر القول السديد . . .،ص ١٤٣.

فؤاد حمزة قلب جزيرة العرب لأن ما كتبه الدخيل يقف عند الحديث عن إمارة سعود بن عبد العزيز بن متعب [1] .

وذكر الدكتور عجيل أن الكرملي قال عن كتاب **العقد المتلالئ في حساب اللالئ** :

« وهو كتاب جليل لا يستغني عنه من يريد التعاطي بتجارة اللالئ ؛ لا سيما في الخليج . وفيه من اصطلاحات أهل الفن في هذا العصر ، وما يحرص عليه التاجر واللغوي والغريب الوطن لفهم رطانة الغواصين ، وذكر فيه عدد السفن وبلادهم وعدد غواصيها والرسوم المستوفاة عن كل سفينة ، ومقدار عمق الماء في محل الغوص ، وما يصيب الغواصين من آفات وأمراض » [2] .

وقد وضع الدكتور الكلام السابق بين قوسين . وهذا يفهم منه أنه نص كلام الكرملي . والواقع أن الكلام يشتمل على ما هو من كلام الكرملي نصًا وما هو من تلخيص الدكتور [3] .

وذكر الدكتور عجيل أن الكرملي قال عن كتاب **عنوان المجد في تاريخ نجد** : « ومع ذلك فإنك تجد أناسا لا يعرفون أتم المعرفة ما يتعلق بأصل صاحب هذا المذهب » يعني المذهب الوهابي [4] .

والواقع أن عبارة الكرملي : « ومع ذلك فإنك لا تجد أناسا يعرفون أتم المعرفة . . الخ » [5] . وإخال القارىء يدرك الفرق بين

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤٦.
(٢) ص ٢١.
(٣) لغة العرب ، ١٩١٢ م ج ٧ ، ص ٢٦٤.
(٤) ص ٢٣ .
(٥) لغة العرب ، ١٩١١ م ج ١٢ ، ص ٤٨٨ .

مدلول « تجد أناسا لا يعرفون » ومدلول « لا تجد أناسا يعرفون » . وعلى أية حال ، فالمهم ألاّ يغيّر الكلام ما دام قد أورد نصا .

وذكر الدكتور عجيل أن الدخيل طالب بدراسة العربية والقيام على نشرها وخدمتها وتنقيتها من شوائب الكلمة الدخيلة والأعجمية . ودلّل على ذلك بأن الدخيل قال :

« أما اللغة العربية فقد كادت تفسد بالتمام في هذه العصور الأخيرة لكثرة ما أصاب أبناءها من النوائب لولا أن القرآن الذي هو أساس الدين ، ولغته لغة الدين ، حفظها من الدمار والبوار . ثم قيّض الله لها باحثين ، أصحاب نظر وفكر ، بينوا محاسنها ، وصححوا ما فسد من ألفاظها ، وميزوا ما فيها من حسن وسيىء ، فأخذت تعود إلى نضارة عزها وغضارة مجدها . وأصبحت اليوم واسطة الوحدة العربية ، والرابطة القومية بين بلاد وبلاد »[1] .

فهل كلام الدخيل الذي استشهد به الدكتور مطالبة أو إخبار بما تّم يوحي باقتناع كاتبه إلى ما توصل إليه ؟

ومن الواضح أن إعجاب الدكتور عجيل بالدخيل جعله يصف كتاباته وصفا غير مطابق للواقع في بعض الاحيان . فقد ذكر ـ مثلا ـ بأن معظم كتاباته جاءت بكراً لم يسبقه أحد إلى الكتابة فيها ، وتوفرت فيها الجدة والطرافة . وعدّ من ذلك ما كتبه الدخيل عن نجد وإمارة آل رشيد[2] .

ومن المعلوم أن كتابات كثيرة كانت قد نشرت عن نجد وإمارة آل رشيد بلغات مختلفة قبل كتابة الدخيل عنها : بل إن تاريخ ابن

---

(١) ص ٢٩.
(٢) ص ٣٣.

غنام ، وهو مصدر مهم عن نجد ودعوة ابن عبد الوهاب وتاريخ آل سعود ، كان قد طبع سنة ١٩٠٢ م [١] .

وذكر الدكتور عجيل أن الدخيل كان « حريصا كل الحرص علي ترقيم متون بحوثه واستخدام حواشي الصفحات فيما تستخدم به عادة من الإشارة إلى المصادر وضبط وتفسير ما يحتاج إلى ذلك من المتن » . وقال في الهامش : « انظر علي سبيل المثال حواشي بحوثه عن أخلاق أهل نجد والأعراب غير المنسوبة وحواشي **تحفة الألباء** » [٢] .

وبما أن **تحفة الألباء** ليست مما أعيد نشره في الكتاب المتكلم عنه ، هنا ، فلعله من المستحسن أن ننظر إلى مقالي الدخيل عن « أخلاق أهل نجد » و « بعض الأعراب غير المنسوبة » لنرى مدي صحة كلام الدكتور . مقال الدخيل عن « أخلاق أهل نجد » لا توجد فيه حاشية واحدة من عمله . أما مقاله عن «بعض الأعراب غير المنسوبة» فلا توجد فيه إلا حاشية واحدة من عمله مكونة من سطر ونصف السطر ، وهي ضبط لكلمة « شذاذ » دون أن يعزو ذلك إلى مصدر [٣] .

وبقية مقالات الدخيل التي أعاد الدكتور عجيل نشرها في كتابه يوجد في بعضها هوامش . وقد تكون بعض هذه الهوامش كثيرة العدد . لكن أكثر هذه الهوامش غير معزوة إلى مصادر ، وهي مجرد ضبط لكلمات وردت في متون تلك المقالات .

---

(١) طبع تلك السنة في بومبي في الهند .
(٢) ص ٣٥ وهامش ١ من هذه الصفحة .
(٣) ص ٥١ ص ٥٥ ص ٥٧ ص ٦٥ .

ملاحظات على بعض ما كتبه الدخيل :

قال الأستاذ الدخيل : إن أهل نجد قبل الإسلام كانوا « كأغلب سكان بلاد العرب أخلاطا من أمم شتى : من عرب وفرس وآراميين وعبران وآشوريين وكلدان وبابليين ».[1] وكلامه هذا غير معزو إلى مصدر . أما مدى صحته فأمر متروك لمن له أدنى معرفة بتاريخ المنطقة في تلك الفترة .

وقال الأستاذ الدخيل : ولما ظهرت الوهابية بان سكان نجد « كل البينونة عن سائر سكان الجزيرة حتى أضحوا أمة مستقلة بنفسها ، ولها أوصاف خاصة بها كالشجاعة والبساطه والتدين المفرط الضارب إلى التعصب والإباء وعدم تحمل الضيم وتوقد الذكاء وحب التجارة الواقفة على أصول الشرع »[2] .

صحيح أن الوهابية أثرت في النجديين ، وبخاصة من الناحية الدينية . لكن هل جعلتهم يختلفون عن سكان الجزيرة العربية الآخرين حتى في الذكاء وحب التجارة ؟

وقال الأستاذ الدخيل : إنه كان في نجد ثلاث إمارات : إمارة ابن سعود وقاعدتها الرياض ، وإمارة ابن رشيد وقاعدتها حائل ، وإمارة القصيم وهي بلدتا عنيزة وبريدة . ثم قال : إن كلتا البلدتين دخلتا في قبضة ابن سعود[3] .

والواقع أن منطقة القصيم ، ببلدانها المتعددة ، كانت تحت حكم آل سعود . ثم دخلت تحت حكم آل رشيد منذ سنة **١٨٩١م** وظلت تحت حكم هؤلاء حتى استولى عليها ابن سعود سنة

---

(١) ص ٤٥ .
(٢) ص ص ٤٥ - ٤٦ .
(٣) ص ٤٦ .

١٩٠٤م . وقد سبّب آل مهنّا ، أمراء بريدة ، بعض المشكلات لابن سعود . لكنه تمكن من حلها وإبعاد مسببيها عن الإمارة بسرعة . أما عنيزة وبقية بلدان القصيم فقد ظل أمراؤها مخلصين له»[١] .

وقال الأستاذ الدخيل : «أما اليوم ـ وذلك سنة ١٩١١م ـ فلم يبق من تلك العلوم[٢] شيء في الرياض . وانتقل أغلبه إلى بلاد القصيم وحائل السالفتي الذكر . ولا يوجد من يتعاطى العلوم فيها إلا أناس قلائل . ووجودهم كعدمهم[٣] » .

والصحيح أن الرياض كانت مركز التعليم المتداول في نجد منذ أن أصبحت قاعدة حكم آل سعود في القرن الثالث عشر الهجري . وظل فيها علماء أجلاء إن لم يفوقوا غيرهم من علماء نجد عددا ومعرفة فإنهم لم يقلوا عنهم . وكان العلماء من آل الشيخ ، ومقر أكثرهم في الرياض ، دائما في طليعة علماء نجد .

وقال الأستاذ الدخيل : « وأما العلوم والآداب في الحائل (ويقال لهذه الإمارة ، أيضا ، « الجبل » و « جبل شمر » وهو جبل طيء في السابق) فهي على غير ما رأيته في الإمارة الأولى »[٤] ـ يقصد إمارة ابن سعود .

وحائل بدون ألف ولام . والمنطقة في السابق كانت تسمّى جبلي طيء لا جبل طيء . ثم قال الأستاذ الدخيل :

---

(١) ابراهيم بن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، دار اليمامة ، ١٩٦٦م ، ص ص ١٩٥ ـ ١٩٦ خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ١٤٨

(٢) هذه العلوم كما ذكر الدخيل ـ هي علم التوحيد والكلام والأصول والتفسير والفقه واللغة وجميع العلوم الدينية وقليل من النحو والصرف وسائر علوم الآلة . انظرص٤٧ .

(٣) ص ٤٧ .

(٤) ص ٤٨ .

« وإمارتها ـ أي إمارة حائل ـ لشمّر منذ أن وجدوا إلى يومنا هذا . وقد استولى عليها آل سعود حين قويت شوكتهم وعظمت صولتهم . وما كادت شمسهم تميل إلى الغروب إلا وعادت تلك الديار إلى أهلها الأقدمين . وكان أول أهلها ورؤسائهم آل علي . ثم انتقلت إلى طلال فبندر فمحمد الرشيد فعبد العزيز ثم إلى ابنه متعب ثم إلى خال متعب سلطان ثم إلى سعود أخ سلطان ثم إلى سعود بن عبد العزيز أخ متعب »[1] .

والواقع أن آل علي كانوا رؤساء حائل . وفي مستهل القرن الثالث عشر الهجري دخلوا تحت حكم آل سعود . وحين قضي على الدولة السعودية الأولى تفككت وحدة البلدان النجدية ، ومنها حائل . ثم نجح تركي بن عبد الله آل سعود في إقامة الدولة من جديد . ودخلت حائل تحت حكمه ، شأنها في ذلك شأن بقية بلدان نجد . ولما استولى ابنه فيصل على الحكم عزل آل علي عن إمارة حائل ، وعين فيها عبد الله بن علي بن رشيد ، مؤسس إمارة آل رشيد . وحين توفي عبد الله خلفه في الإمارة ابنه طلال . وحين انتحر طلال تولّى الإمارة أخوه متعب بن عبد الله . لكن علاقته بأبناء أخيه طلال ساءت فقتلوه ، وتولّى الإمارة بندر بن طلال . ثم قتل محمد بن عبد الله أبناء أخيه طلال وتولّى الإمارة إلخ . .[2]

وقال الأستاذ الدخيل : إن أهل القصيم دخلوا بتجارتهم بلدانا منها لندن ومدن أمريكية ، وذكر أنك إذا دخلت بلادهم

---

(١) ص ص ٤٨- ٤٩ .

(٢) عثمان ابن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد، طبعة وزارة المعارف السعودية الثانية ١٣٩١ هـ، ج ١، ص ص ٩٩ ـ ١٠٠ . وج ٢ ص ص ٤١، ٨٤، ١٤٩؛ ابن عيسى، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، طبع ذيلا لعنوان المجد. . ، ص ص ٥٢، ٦٢، ٧٤ و١٠٢.

« ترى فيهم هذا يكلمك بالتركية وذلك يطارحك الكلام بالفارسية ، وتسمع واحدا يذاكرك بالهندية ويقبل إليك آخر يفتحك بالإيطالية ، ويقترب منك صديق كتب يخاطبك بالفرنسوية إلى غير هذه اللغات من أردية وتامولية وانكليزية » [1] .

ولم تقف المبالغة الواضحة بالأستاذ الدخيل عند هذا الحدّ ، بل قال :

« وبيوت أكثرهم ـ أي أكثر أهل القصيم ـ ليست إلا مدارس ونوادي علم » [2] . والواقع أن أهل القصيم ـ رغم النهضة التعليمية الحديثة ـ لم يصلوا حتى الآن إلى المستوى الذي ادّعى الأستاذ الدخيل أنهم وصلوا إليه منذ أكثر من سبعين عاما .

وقال الأستاذ الدخيل :

« وقع بين سعود الفيصل وقائع جمة توفي في أثنائها سعود . فقام أحفاده محمد وعبد العزيز وسعد ، وخرجوا على عمهم عبد الله الفيصل ، وأذاقوه الأمرّين . فاستنجد بالأمير محمد الرشيد فسار بجيش لهام ، وزحف به عليهم ، وأخرجهم من الرياض . وبعد أن مات البعض ألقي القبض على الباقين وعلى أولادهم ، وسجنهم في حائل مقر إمارته إلى أن توفي سنة ١٣١٥ ، فخلفه الأمير ابن اخيه وهو عبد العزيز بن متعب الرشيد . وفي أيامه وقعت تلك الفتن فأطلق سراح الباقين مع أولادهم . ومن ذلك العهد لقبوا بالعرائف لأن قضيتهم والفصل فيها يشبهان قضية العرافة التي مر بنا ذكرها . ولما أطلق سراحهم استقبلهم عبد العزيز باشا السعود بالسرور والإكرام » [3] .

---

(١) ص ٥٠ .
(٢) ص ٥١ .
(٣) ص ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

ومن الملاحظ أن الدخيل قال : « أحفاده » ـ يعني أحفاد سعود بن فيصل ـ بينما قال خرجوا على « عمهم عبد الله ».ومعروف أن من ذكرهم الدخيل كانوا أبناء سعود لا أحفاده . ومن الملاحظ ، أيضا ، أنه ذكر هنا أن وفاة محمد بن رشيد كانت سنة ١٣١٥هـ. وهذا هو الصحيح. لكنه ذكر في موضع آخر أن وفاته كانت سنة ١٣١٤هـ[1] .

وقد يفهم من كلام الدخيل أن سعود بن فيصل قد توفي في إحدى الوقائع التي دارت بينه وبين خصومه . والحقيقة أنه توفي وفاة طبيعية سنة ١٢٩١هـ . وقد تولى أخوه عبد الرحمن الحكم بعده حوالى سنتين . ثم تنازل عن الحكم لأخيه عبد الله بن فيصل . وظل عبد الله حاكما ـ وإن كان نفوذه في نجد يضعف تدريجيا ـ حتى سنة ١٣٠٥ هـ . وفي هذه السنة استولى أبناء أخيه سعود على الرياض وقبضوا عليه فسار إليهم محمد بن رشيد وأجبرهم على مغادرة الرياض . وقد أخذ محمد بن رشيد عبد الله بن فيصل معه إلى حائل ، وعين سالم بن سبهان أميراً على الرياض . وقد احتال ابن سبهان بأبناء سعود بن فيصل في الخرج فقتل ثلاثة منهم . أما الرابع ، وهو عبد العزيز ، فقد سلم من القتل لكنه أبقي هو وأولاده وأولاد إخوته في حائل . وفي سنة ١٣٢٢هـ دارت معركة بين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل (الملك عبد العزيز) وبين ماجد بن حمود آل رشيد عند أسوار عنيزة . وكان النصر فيها حليف عبد العزيز . وكان بعض أحفاد سعود بن فيصل مع ماجد فأسروا . ولكن عبد العزيز أطلق سراحهم على أساس أنهم عرائف له . فأصبحوا يسمّون العرائف[2] .

---

(١) ص ١١٦ .

(٢) ابن عيسى ، عقد الدرر ، ص‌ص ٨٠ ، ٨٤ و٩٨ ـ ٩٩ ؛ الزركلي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٦

وقال الأستاذ الدخيل :

إن نجدا ثلاثة أقسام : « الأول العروض أو العارض أو الرياض أو الدرعية ، وهي إمارة ابن السعود » [1] .

والعارض - كما هو معلوم - منطقة تضم بلدانا عديدة منها الرياض والدرعية ومنفوحة والعيينة . أما الدرعية فهي بلدة كانت مقر حكم آل سعود أيام الدولة السعودية الأولى ، لكن لما انتهت تلك الدولة خرّب إبراهيم باشا هذه البلدة . وحين نجح تركي بن عبد الله آل سعود في إعادة حكم أسرته اتخذ من الرياض عاصمة له ، وظلت قاعدة آل سعود حتى الآن .

وقال الأستاذ الدخيل هنا - كما قال من قبل - : إن القصيم إمارة مستقلة . وقد سبقت الملاحظة على ذلك .

وقال الأستاذ الدخيل : إن الأمير سعوداً هو الذي رفع ذكر إمارة آل سعود ، وإنه « ابن الأمير محمد بن الأمير مقرن بن الأمير مرخان بن الأمير إبراهيم ، الذي كان في عهد العباسيين أميرا قائما بنفسه صاحب الأمر والنهي في جزيرة العرب . وهو ابن الأمير ربيعة وقد كانت تخضع له الأحساء والقطيف وقطر . وهو ابن الأمير مانع الذي وضع أساس الدرعية وبناها وجدّد بناء الأحساء والقطيف وقطر وعمان ، وأول من بنى القلاع المنيعة والحصون المكينة والأسوار الشامخة وكان مستقلا بالإمارة سنة ٨٥٠ » [2].

وفي تعليق له حول هذا الموضوع بعنوان « رجوع إلى الحق » ذكر أن إمارة مانع كانت سنة ٨٥٠ هـ ، وإمارة ربيعة سنة ٦٢٧ هـ ، وإمارة موسى سنة ٦٤٥ هـ » [3] .

---

(١) ص ١٠٧ .

(٢) ص ١٠٨ .

(٣) الصفحة نفسها هامش ١ .

وليته لم يرجع عمّا قاله سابقا ؛ لأنه برجوعه زاد الطين بلّة ، وضاعف الخطأ . فما حقيقة أولئك الأفراد ؟

في سنة ٨٥٠هـ قدم مانع المريدي - جد آل سعود - من منطقة قرب بلدة القطيف إلى قريب له يسمّى ابن درع كان يسكن منطقة الرياض الحالية . وقد منح ابن درع مانعا المكان الذي أصبح يسمّى فيما بعد الدرعية . وحين توفي مانع أصبح ابنه ربيعة صاحب ذلك المكان . وقد ثار موسى بن ربيعة على أبيه وتولى إمارة البلدة . ثم خلفه ابنه إبراهيم . وبعد وفاة إبراهيم تولّى الإمارة ابنه مرخان . وبعد وفاة مرخان تعاقب على الإمارة أفراد من ذريته حتى تولاها سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان سنة ١١٣٢ هـ . وظل أميرا للدرعية حتى سنة ١١٣٧ هـ [1] . ولم يكن سعود بن محمد بن مقرن ولا من قبله على شيء يختلف عن غيرهم من أمراء نجد من حيث القوة ، بل كان هناك من الأمراء النجديين من كانوا أقوى منهم بكثير . ذلك أن نفوذ سعود بن محمد وآبائه وأجداده لم يتعدّ حدود بلدة الدرعية الصغيرة حينذاك ولم تبدأ قوة آل سعود ، حقيقة ، إلا في عهد محمد بن سعود ، وذلك نتيجة لتحالفه مع المصلح محمد بن عبد الوهاب .

وقال الأستاذ الدخيل : إن محمد بن سعود توفي سنة ١١٧٠ هـ [2] . والصحيح أنه توفي سنة ١١٧٩ هـ [3] . وقال : إن عبد الله بن سعود توفي في القسطنطينية سنة ١٢٣٣ هـ [4] . وقد

(١) ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث ، ص ص٣٦ و ٤١ .
(٢) ص ١٠٩ .
(٣) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٣ .
(٤) ص ١١٠ .

توحي عبارته بأن وفاة عبد الله كانت طبيعية . والواقع أنه أعدم في العاصمة العثمانية سنة ١٢٣٤ هـ [١] . وقال : إن نجداً ما زالت عاصية لمشاري بن سعود حتى توفي سنة ١٢٣٥ هـ [٢] . والواقع أن محمد بن معمر ، المتعاون مع قادة محمد علي ، حاكم مصر ، قبض على مشاري وأرسله إلى القائد التركي في عنيزة حيث توفي مسجونا في تلك البلدة [٣] . وقال : إن ابن عمه-أي ابن عم مشاري بن سعود - تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود خلفه في الحكم [٤] . وواضح أن تركي بن عبد الله لم يكن ابن عم مشاري ، وإنما كان ابن عم أبيه سعود .

وقال الأستاذ الدخيل - وهو يتكلم عن القضاء على مشاري ابن عبد الرحمن سنة ١٢٤٩ - ١٢٥٠ هـ - : « ثم هجرت الدرعية واتخذت الرياض مقراً للإمارة فأصبحت هي العاصمة » [٥] .

والواقع أن الدرعية خرّبت سنة ١٢٣٤ هـ ، وأن الرياض اتخذت عاصمة من قِبَل تركي بن عبد الله منذ سنة ١٢٤٠ هـ .

وقال الدخيل : إن عبد الله بن ثنيان توفي مسموماً أو قتيلاً سنة ١٢٥٩ هـ ، وإن مجيء فيصل بن تركي من مصر إلى نجد صادف وفاة عبد الله بن ثنيان فتولّى الإمارة بعده [٦]

والواقع أن عبد الله بن ثنيان لم يمت قبل عودة فيصل من مصر

(١) منير العجلاني عهد عبد الله بن سعود ، بيروت،١٣٩٢ هـ ، ص ١٤٢
(٢) ص ١١٠ .
(٣) ابن بشر ، المصدر السابق ج ١ ، ص ص ٢٩٧ - ٢٩٨
(٤) ص ١١٠.
(٥) ص ١١١.
(٦) ص ١١٢.

إلى نجد ، بل قاوم فيصلاً حتى حوصر في الرياض . ثم استسلم لفيصل ، وتوفي بعد أيام من استسلامه له [1] .

وقال الدخيل : إن آل سعود خلعوا عبد الله بن فيصل عن الحكم سنة ١٢٨١ هـ ، مع أنه ذكر قبل ذلك مباشرة أن فيصل بن تركي توفي سنة ١٢٨٢ هـ [2] . ومعلوم أن عبد الله لم يتولَّ الحكم إلا بعد وفاة أبيه .

وقال الدخيل : إن البلاد تجزأت بين آل سعود وأصبح كل صقع منها لأمير ، فأمير الخرج ثنيان بن عبد الله بن ثنيان ، وأمير الأحساء وما حولها عبد الله بن عبد الله بن ثنيان ، وأمير العارض وما والاه سعود بن جلوي بن تركي ، وأمير الفرع فهد بن صنيتان ، وأمير الرياض وملحقاتها عبد الرحمن بن فيصل ، وأمراء نجد (القصيم وما يضم إليها من الملحقات) الأمير محمد بن سعود والأمير عبد الله بن سعود والأمير سعد بن سعود والأمير عبد الرحمن بن سعود والأمير عبد العزيز بن سعود آل فيصل والأمير ناصر بن فيصل [3] .

ولعل من الواضح ما في هذا الكلام من خلط جغرافي . فمعروف أن نجداً تضم مناطق متعددة منها المناطق التي ذكرها ، وهي القصيم والعارض والخرج والفرع . ومعروف ، أيضاً ، أن العارض منطقة تضم بلداناً عدة منها الرياض . فكيف يذكر أنه كان للخرج أمير وللعارض أمير وللفرع أمير وللرياض أمير ، ثم يذكر أن

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ج ٢ ، ص ص ٢٣٠ - ١٣٤ .
(٢) ص ١١٢.
(٣) ص ١١٢ ص ١١٣.

أمراء نجد غير هؤلاء ؟ أليست الأمكنة التي ذكرها من نجد ؟ ثم ما هي الرياض وملحقاتها إذا لم تكن العارض ؟ .

أما من الناحية التاريخية فإن عبد الله بن فيصل تولّى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ١٢٨٢ هـ . وفي السنة التي تلت ثار ضده أخوه سعود . وبعد خمس سنوات استولى سعود على الرياض . وكان أن استنجد عبد الله بوالي بغداد ضد أخيه . فكان ذلك فرصة للوالي استولى بها على منطقة الأحساء سنة ١٢٨٨ هـ[1] . وحين توفي سعود سنة ١٢٩١ هـ تولّى الحكم أخوه عبد الرحمن ، ثم تنازل عنه لأخيه عبد الله . وظل عبد الله حاكماً حتى سنة ١٣٠٥ هـ حين قبض عليه أبناء اخيه سعود ، كما سبق أن ذكر .

وقال الأستاذ الدخيل : إن الحرب استعرت بين عبد الله بن فيصل وأخويه سعود وعبد الرحمن ،وإن عبد الله استعان في الآخر بمحمد الرشيد فكان ذلك فرصة لمحمد للتغلب على كليهما .

وكلامه يوحي بأن الاستعانة بابن رشيد كانت وسعود لا يزال حياً . لكنه تابع كلامه قائلاً :

« ثم اتفق معهما على أن يكونا في بلاد إمارتهما وله عليهما اليد العليا وشرط عليهما شروطاً أخرى رضيا بها . فكان أولاد سعود في الخرج وعبد الرحمن في الرياض . أما عبد الله فإنه زهد بالملك واستقر في حائل »[2] .

وكلامه هنا يوحي بأن الاستعانة المذكورة لم تكن زمن سعود ؛

(١) ابن عيسى ، عقد الدرر ص ص ٤٩، ٥١ - ٥٢ و٦٩ - ٧٠.

(٢) ص ١١٥.

إذ لم يرد ذكر له . ومعروف أن الحادثة كانت بعد وفاة سعود بأربعة عشر عاماً. وقال الأستاذ الدخيل :

« في بحر سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وقع بين ابن الرشيد وبين أمراء القصيم فتور . فاتفق آل سعود مع عبد الرحمن ووعدوه بالمساعدة إن فعل بما يطلبونه منه . فقدم عبد الرحمن لينكب المعتمدين هناك ، فأحس الأمير ابن الرشيد بالأمر ، فأسرع إلى مصالحة أمراء القصيم . ثم بعد أن تمّ له هذا الأمر غزا الرياض والخرج واجتاحهما . وقتل بعض أولاد السعود والبعض الآخر أخذوا أسرى وأبقوا في حائل في تجلة واحترام . وهم الذين يعرفون اليوم باسم العرائف . وأما عبد الرحمن فإنه فرّ من بين يدي الأمير ، ونزل الأحساء ثم بغداد ومنها رحل إلى الأستانة . ثم زايلها فرجع إلى ديار العرب فاحتل الكويت »[(١)] .

وقوله « فاتفق آل سعود مع عبد الرحمن » واضح أنه خطأ ، وأنه يريد فاتفق أهل القصيم مع عبد الرحمن .

والواقع أن فتور العلاقات بين محمد بن رشيد وبين أهل القصيم كان حوالى سنة ١٣٠٧ هـ . وفي تلك السنة قبض عبد الرحمن بن فيصل على سالم بن سبهان في الرياض . فحسّن ابن رشيد علاقاته مع أهل القصيم مؤقتاً ليتفرغ لقتال عبد الرحمن بن فيصل . وفي سنة ١٣٠٨ هـ نجح في فك أسر ابن سبهان ، ثم عاد إلى حائل . وفي نفس السنة دارت معركة المليداء بينه وبين أهل القصيم ، فانتصر عليهم وخضعت بلادهم له . وكان عبد الرحمن ابن فيصل قد جهز جيشاً لمساعدة أهل القصيم ، لكنه علم بانتهاء المعركة بينهم وبين ابن رشيد فلم يواصل جيشه السير إلى القصيم .

---

(١) ص ١١٦

وقد ثبطت هزيمة أهل القصيم همة عبد الرحمن بن فيصل فترك الرياض . لكنه لم يذهب إلى بغداد والأستانة ، وإنما أقام عند قبيلة آل مرة ينتقل معها من مكان إلى مكان آخر حتى وجد ملجأ في قطر عند ابن ثاني . ثم سمح له أخيراً أن يستقر في الكويت[1] .

وقال الأستاذ الدخيل : إن عبد العزيز بن متعب آل رشيد بعد توليه الإمارة فكر في غزو الكويت . . وبينما كان يتأهب لذلك قتل الشيخ مبارك بن الصباح أخويه محمداً وجرّاحا . وهمّ بغزو نجد فثارت الحرب بين ابن الرشيد وبين ابن الصباح ولم تخمد نارها إلا بعد مدة مديدة كان الفوز فيها للأمير ابن السعود (هكذا) . فاغتنم عبد العزيز هذه الفرصة ودخل الرياض سنة ١٣١٩ هـ [2] .

ومعروف أن عبد العزيز بن متعب لم يتولّ الحكم إلا بعد وفاة عمه محمد سنة ١٣١٥ هـ [3] ومعروف ، أيضاً ، أن قتل مبارك بن صباح لأخويه كان سنة ١٣١٣ هـ [4] . وهكذا يتضح أن قتل مبارك لأخويه كان قبل تولّي عبد العزيز بن متعب الإمارة .

وفي سنة ١٣١٨ هـ قام مبارك بن صباح بغزو نجد وتقابل مع عبد العزيز بن رشيد في معركة الصريف المشهورة . وكان النصر في تلك المعركة حليف ابن رشيد [5] .

وبعد هذا أترك للقاريء الكريم تقويم ما ذكره الدكتور عجيل

(١) ابن عيسى ، عقد الدرر ، ص ١٠٠ ، الزركلي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٦٤ - ٦٧ .
(٢) ص ١١٦ ص ١١٧
(٣) ابن عيسى ، عقد الدرر ، ص ١٠٢ .
(٤) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
(٥) المصدر نفسه ، ص ص ١٠٢ - ١٠٣ .

عن الأستاذ الدخيل ووصفه إياه بأنه كان « عـادلاً جداً في تحليله وتعليله ولم يكن متعصباً ولا متحيزاً » وأن كتاباته كانت موضوعاتها « أصيلة بكرا . كان الدخيل أول من بحث فيها لم يسبقه أحد من الباحثين » وأنه كان « حريصاً كل الحرص على ترقيم متون بحوثه واستخدام حواشي الصفحات فيها تستخدم به عادة من الإشارة إلى المصادر » وأنه « قد أبعد بحوثه عن أن تكون مجرد جمع للمعلومات وسرد لها ، وأضفى عليها طابع البحث العلمي الدقيق » وأنه « قد أخذ بأسباب المنهج العلمي كاملة واستوفى جوانبه استيفاء ، من دقة في اختيار الموضوعات وخطة متكاملة في بحثها ومعالجتها ، وحرص على ذكر المصـادر والإشارة إليها، واستكمال لما يقتضيه البحث من الترقيم والحواشي والتعليقات ، وتحقيق الشخصية الباحثة المتميزة من خلال المناقشة والاستدراك والتحليل والتعليل » [1] .

والله الموفق

---

(١) ص ص ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ و ٣٧ .

تعليق على إيضاح
الدكتور محسن عجيل[1]

نشر الدكتور الفاضل محسن غياض عجيل في **مجلة الخليج العربي**[2]، التي تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي بجامعة **البصرة**، إيضاحاً على ملاحظات سبق أن نشرتها في مجلة **الدارة**[3] حول كتابه عن المرحوم سليمان بن صالح الدخيل.

وللدكتور محسن خالص الشكر على اهتمامه بما كتبته من ملاحظات، وعلى ما دوّنه من إيضاح يتعلق بها.

وأحسب أن القارىء الكريم لو رجع إلى الملاحظات المذكورة وقارنها بما كتبه الدكتور محسن من إيضاح لكانت الفائدة أكبر. على أن هذا لا يمنع من التعليق على الإيضاح ذاته لتأكيد الهدف الذي قصدته من كتابة الملاحظات.

لقد ذكر الدكتور محسن في إيضاحه صواب بعض ملاحظاتي على كتابه، وأورد من ذلك أربعة أمور. ولا شك أن الحق ضالة المؤمن. وليس مهماً إيراد ما لم يشر إليه الدكتور بتأييد أو معارضة من تلك الملاحظات. ذلك أن من أراد معرفتها كلها فإنه من السهل

---

(١) نشر هذا التعليق في مجلة الدارة، العدد الأول، ١٤٠٨ هـ، ص ص ١٦٩ - ١٧٧.

(٢) انظر العدد الثالث من سنة ١٩٨٧ م، ص ص ٢٤٥ - ٢٤٨.

(٣) انظر العدد الثالث من السنة التاسعة، ١٤٠٤ هـ، ص ص ٨١ - ٩٧.

عليه الرجوع إليه في الموضع الذي نشرت فيه من مجلة الدارة. لكن المهم، هنا، عرض ما ورد في إيضاح الدكتور محسن مما لم يقتنع فيه نقطة نقطة.

١ ـ قال: «أما قول الأستاذ الجاسر في وصف الدخيل بأنه (أديب نجدي) وتحريفها إلى (أديب نجد) فقد كانت غلطة مطبعية أعتذر إليه ـ يعني كاتب الملاحظات ـ وإلى أستاذنا الجاسر عنها، ولا مصلحة لي أن يكون الدخيل (أديب نجد) أو (أديباً نجدياً)».

وكنت قد أشرت في الملاحظات إلى إعجاب الدكتور محسن بالمرحوم الدخيل، وحرصه على أن يشاركه القارىء هذا الإعجاب، وأن من وسائله لذلك:

أ ـ تفخيم مكانة من كتب عن الدخيل إذا كان في كلامه ما يوحي بفضله، وترك ذلك التفخيم إذا لم يكن فيه ما يوحي بفضل.

ب ـ تغيير كلام من تحدثوا عن الدخيل إما بذكر جوانب المدح في كلامهم عنه غير مقرونة بجوانب الذم من ذلك الكلام، وإما بتغيير منطوق الكلام ليدل على عظمة من قيل فيه[1].

وقد أعطيت أمثلة على ما أشرت إليه. ومنها ما ورد في كتاب الدكتور محسن نقلاً عن أن الشيخ حمد الجاسر قال عن الدخيل:

---

(١) العدد الثالث الدارة: ص ص ٨٣ ـ ٨٤.

«أديب نجد» في حين أن الشيخ قد قال عنه: «أديب نجدي».

وقلت: إن الفرق واضح بين مدلولي التعبيرين[1].

وقد ذكر الدكتور محسن في إيضاحه أن ذلك كان غلطة مطبعية. ومعلوم أن القارىء يبني أحكامه على ما بين يديه مما هو مطبوع. ولولا مبالغات الدكتور محسن في مدحه للمرحوم الدخيل في كثير من مواضع دراسته عنه لترجّح أن يكون هناك غلط مطبعي في تغيير عبارة الشيخ حمد من «أديب نجدي» إلى «أديب نجد». وصحيح أنه لا مصلحة للدكتور محسن في أن يكون المرحوم الدخيل «أديب نجد» أو «أديباً نجدياً». لكن القارىء إذا لاحظ أن شيخاً جليلاً مثل الشيخ حمد قد قال عن المرحوم الدخيل إنه «أديب نجد» فإن إعجابه به سيكون أكثر مما لو قال عنه «أديب نجدي». وكل القرائن الموجودة في دراسة الدكتور محسن تدلّ على أنه أراد بكل وسيلة أن يُعْجَب القارىء بالمرحوم الدخيل كل الإعجاب.

٢ - قال الدكتور محسن في إيضاحه: «ولم أجد مبرراً لما ذكره الدكتور - يعني كاتب الملاحظات - من عدم اقتناع القارىء بقولي: إنني لم يتح لي الاطلاع على ملف المرحوم الدخيل. . . إلى قوله: أما جزمي بوجود سجل كامل لمناصبه الإدارية وبيان أسباب نزوله في التدرج الوظيفي في ذلك الملف . . إلخ».

---

(١) العدد الثالث المصدر نفسه: ص ٨٤.

وكنت قد أشرت في الملاحظات إلى قول الدكتور محسن: «لم يتح لنا الاطلاع على ملف خدمة المرحوم الدخيل المحفوظ في وزارة الداخلية العراقية، وقوله عن ذلك الملف: ولا شك أن فيه سجلاً كاملاً لمناصبه الإدارية.. إلخ. وقلت: إذا كان الملف محفوظاً في الوزارة وهو من الأهمية بالدرجة التي أشار إليها الدكتور محسن فهل يقتنع القارىء من مؤلف عراقي بالذات بعبارة: لم يتح لنا الاطلاع دون إبداء ما يثبت محاولته الاطلاع وفشله في تلك المحاولة؟ وما دام المؤلف لم يطلع على الملف فكيف يجزم بأنه يشتمل على ما ذكره؟ أليس من الأفضل في مثل هذه المسألة أن يقال: «ومن المحتمل» أو «ومن المرجح» بدلاً من «ولا شك»[1]؟

وأحسب أن إجابة الدكتور محسن عن هذه المسألة في إيضاحه لا تقنع القارىء. إن عبارة: «لم يتح لنا الاطلاع» تحتمل أن يكون مُنِع من الاطلاع، كما ذكر في الإيضاح، وتحتمل أن تكون مشاغله حالت دون اطلاعه. فإن كانت الوزارة قد منعته من ذلك ـ وهذا ما يعرفه إخواننا العراقيون أكثر مني ـ فإن الأجدر به أن يقول، مثلاً: إن الأنظمة تحول دون الاطلاع عليه. أو يقول: إنه حاول الاطلاع عليه، فلم يمكّن من ذلك. ولا يحتاج القارىء بطبيعة الحال إلى تفصيلات عما قام به في محاولته. أما مسألة جومه بوجود سجل كامل لمناصب المرحوم الدخيل في ذلك الملف.. إلخ فقد قال في إيضاحه: إن مرد ذلك القياس.. إلخ.

---

(١) العدد الثالث الدارة: ص ٨٣.

ولو سلّم للدكتور محسن بأن الملفات، عادة، تحتفظ بكل شيء مما ذكره فإن استعمال عبارة مثل «ومن المرجّح» أصوب؛ خاصة إذا قرنت بعبارة مثل: لأن الملفات، عادة، تشتمل على هذه الأشياء.

٣ - قال الدكتور محسن: «أما أنني ذكرت اسمي الشيخ الجاسر والأستاذ بطي مقرونة (هكذا) بألقاب التعظيم إذا وافقت أقوالهما هواي ثم ذكرتها مجردة (هكذا) من ذلك إذا اعترضت على ما ذكراه عن الدخيل فقد علم الزميل الكريم وعلم الناس أن شهادة مثلي في مثلهما لا تضرهما ولا تنفعهما. فليس مثلهما من يحتاج إلى تزكية مثلي وثنائه».

وغريب أن يفهم الدكتور محسن أن ما أشرت إليه من الملاحظات كان تبيين أن شهادته في الشيخ حمد والأستاذ بطي تضرهما أو تنفعهما.

لقد أشرت في الملاحظات إلى أن من وسائل الدكتور محسن لإقناع القارىء في مشاركته الإعجاب الشديد بالمرحوم الدخيل ما سبق أن قلت في هذا التعليق من تفخيم لمكانة من كتب عن الدخيل إذا كان في كلامه ما يوحي بفضله، وترك ذلك التفخيم إذا لم يكن فيه ما يوحي بفضل. وضربت دليلاً على هذا بقولي: فحمد الجاسر «علّامة نجد ومؤرخها الأستاذ حمد الجاسر» حين قال: «إن الدخيل أول نجدي مارس الصحافة[1]. لكنه وصفه قبل

---

(١) كتاب الدكتور محسن، الصحفي السياسي المؤرخ النجدي سليمان بن صالح الدخيل، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٢م، ص ١٨.

ذلك بالأستاذ حمد الجاسر حين لم يكن في كلامه ما يدل على أسبقية الدخيل[1]. ورفائيل بطي: «الصحفي الكبير الأستاذ رفائيل بطي» حين قال عن جريدة الرياض: إنها جريدة ذات لون خاص في الصحف العراقية، بل في الصحف العربية قاطبة في ذلك الجيل»[2] لكنه وصفه قبل ذلك بالأستاذ رفائيل بطي حين لم يكن كلامه عن الدخيل يوحي بعظمة[3].

وبهذا يتضح أن ما ورد في الملاحظات لم يكن المراد منه الشهادة بفضل كلٍ من الشيخ حمد والأستاذ بطي وإنما تبيين وسيلة من وسائل الدكتور مجسن في إقناع القارىء ليشاركه إعجابه الشديد بالمرحوم الدخيل.

٤ ـ ذكر الدكتور محسن في إيضاحه أنه أعرض عن إيراد بقية كلام الأستاذ بطي عن جريدة الرياض ـ وهو الجزء الذي حمل تشكيكاً في صحة أخبار تلك الجريدة ـ وأورده عند الحديث عن أمانة الدخيل العلمية.

والذي قام به الدكتور محسن في هذه المسألة أنه أورد في الموضع المعنون: نشاطه الصحفي ما يلي:

«وقد أشاد الأستاذ رفائيل بطي طويلاً بهذه الجريدة ـ يعني جريدة الرياض ـ وقال: إنها خدمت القضية العربية، وساعدت

---

(١) المصدر نفسه: ص ص ١٤ و١٧
(٢) المصدر نفسه: ص ١٨.
(٣) المصدر نفسه: ص ص ١٥ و١٧

على نشر الوعي القومي، وإنها كانت مصدراً لكل ما ينشر في العالم آنذاك من أخبار الجزيرة العربية وحوادثها، وإن أكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر. وقد تشغل بعض مروياتها عن جزيرة العرب أسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية أياماً بل أشهراً».

ولم يورد، هنا، غير ذلك من كلام الأستاذ بطي[1]. ثم أشار في الموضع المعنون: الأمانة العلمية إلى أن الأستاذ الدخيل «لا يذيع خبراً ولا يكتب شيئاً قبل الاطمئنان إلى صحة مصدره وعدالة ناقليه ورواته».

وأورد نصين للدخيل أراد بهما إثبات ما قاله عنه. وبعد ذلك مباشرة قال:

«وعجيب حقاً أن نجد بعد ذلك من يتهم الأستاذ الدخيل بالتزيد والمبالغة وعدم الأمانة. وممن اتهمه بذلك ظلماً الأستاذ رفائيل بطي في قوله: «وقد تشغل بعض مروياتها؛ أي جريدة الرياض، عن جزيرة العرب أسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية أياماً بل أشهراً بينما يكون الحادث من أساسه من مبتدعات خيال مدير الرياض أو محررها»[2].

وكنت قد أشرت في الملاحظات إلى ما أورده الدكتور محسن من كلام الأستاذ بطي عن جريدة الرياض، ثم أشرت إلى كل ما قاله الأستاذ عنها؛ ومنه ما قاله بعد ثنائه عليها:

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه: ص ص ٣٧ ـ ٣٨.

«وليس عليكم بعد ذلك أن تدققوا أو تلحفوا في تمحيص صحة ما ترويه صحيفة الرياض من أخبار الإمارات العربية وسلطات الخليج وزعامات البوادي. فالمبالغة بادية عليها. ولكن هذا لا يهم الكاتب أو الناشر، إنما المهم أن أكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر. وقد تشغل بعض مروياتها من هذا اللون أسلاك البرق... إلخ[1].

ولعل القارىء الكريم يلاحظ أن الأستاذ بطي لم يقل عن جريدة الرياض: «إنها كانت مصدراً لكل ما ينشر في العالم آنذاك من أخبار الجزيرة العربية وحوادثها» - وهو الأمر الذي ادّعى الدكتور أنه قاله[2]. ومعلوم أن الأستاذ بطي لو قال هذا الكلام لما صدّق. ولا يخفى على القارىء الكريم الأسلوب الذي اتّبعه الدكتور محسن في إيراده جزءاً من نقد الأستاذ بطي لجريدة الرياض؛ إذ يؤيد هذا الأسلوب ما سبقت الإشارة إليه من اتّباعه مختلف الوسائل لإقناع القارىء بمشاركته الإعجاب بالمرحوم الدخيل.

٥ - ثم انتقل الدكتور محسن في إيضاحه إلى مناقشة قليل مما أشرت إليه في الملاحظات حول أعمال المرحوم الدخيل، وقال:

---

(١) رفائيل بطي، الصحافة في العراق، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ص ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) كتاب الدكتور محسن السابق ذكره: ص ١٩.

«ولرب سائل يسأل أين كان الدكتور العثيمين عن تقويم تلك البحوث كل هذه المدة الطويلة. . . » إلخ.

وعجيب أن يربط الدكتور محسن بين تقويم أي إنتاج وبين زمن نشره؛ والجميع يعلمون أن التقويم يمكن أن يحدث لأعمال نشرت منذ مئات السنين! لكن الأعجب من ذلك أن يخفى عليه المراد بملاحظاتي على ما ناقشته من أعمال المرحوم الدخيل مع نصي في تلك الملاحظات على ذلك المراد. فلقد قلت في ديباجتها:

«والملاحظات على الكتاب بعضها يتعلّق بدراسة المؤلف ـ وهو الدكتور محسن ـ وبعضها يتعلّق ببعض ما كتبه الدخيل. وإذا كان تناول الدراسة مهمّاً في حد ذاته فإن الهدف الرئيسي من تناول بعض ما كتبه الدخيل إبداء ما قد يساعد على تقويم ما ذكره المؤلف عنه»[1].

وبهذا يتضح أني لم أكتب ما كتبته عن بعض أعمال المرحوم الدخيل تقويماً بها ابتداء، وإنما للمساعدة في تقويم الدراسة التي كتبها عنه وعن أعماله الدكتور محسن. ومما يوضح ذلك أنني في نهاية مناقشتي لبعض أعمال الدخيل قلت:

«وبعد هذا أترك للقارىء الكريم تقويم ما ذكره الدكتور عجيل عن الأستاذ الدخيل، ووصفه إيّاه بأنه كان عادلاً جداً في تحليله وتعليله، ولم يكن متعصباً ولا متحيزاً» وإن كتاباته كانت موضوعاتها

(١) الملاحظات في الدارة: ص ٨٢.

«أصيلة بكراً كان الدخيل أول من بحث فيها لم يسبقه أحد من الباحثين»، وأنه كان «حريصاً كل الحرص على ترقيم مثون بحوثه واستخدام حواشي الصفحات فيما تستخدم به عادة من الإشارة إلى المصادر»، وأنه «قد أبعد بحوثه عن أن تكون مجرد جمع للمعلومات وسرد لها، وأضفى عليها طابع البحث العلمي الدقيق»، وأنه «قد أخذ بأسباب المنهج العلمي كاملة، واستوفى جوانبه استيفاء من دقة في اختيار الموضوعات وخطة متكاملة في بحثها ومعالجتها، وحرص على ذكر المصادر والإشارة إليها واستكمال لما يقتضيه البحث من الترقيم والحواشي والتعليقات وتحقيق الشخصية الباحثة المتميزة من خلال المناقشة والاستدراك والتحليل التعليل[1].

٦ ـ قال الدكتور محسن في إيضاحه: «وقد كنت ذكرت في ص ٣٤ ما نصه: وإذا كان بعض هذه البحوث ليس جديداً على أهل نجد الآن فإنها كانت جديدة كل الجدة عند العراقيين قبل سبعين سنة من الزمان. وهذا فضل الأستاذ الدخيل الذي أبى الدكتور ـ يعني كاتب الملاحظات ـ أن يقره له. . .» إلخ.

ومرة أخرى يثير الدكتور محسن العجب. ذلك أني لم أعلّق على العبارة التي أوردها في هذا الإيضاح، وإنما قلت فيما يتعلّق بموضوع حكمه على أسبقية الدخيل في الكتابة عما كتب عنه ما يلي:

---

(١) المصدر نفسه ص ص ٩٦ ـ ٩٧.

«ومن الواضح أن إعجاب الدكتور عجيل بالدخيل جعله يصف كتاباته وصفاً غير مطابق للواقع في بعض الأحيان. فقد ذكر ـ مثلاً ـ أن معظم كتاباته جاءت بكراً لم يسبقه أحد إلى الكتابة فيها، وتوفرت فيها الجدة والطرافة. وعدّ من ذلك ما كتبه الدخيل عن نجد وإمارة آل رشيد[1]. ومن المعلوم أن كتابات كثيرة كانت قد نشرت عن نجد وإمارة آل رشيد بلغات مختلفة قبل كتابة الدخيل عنها. بل إن تاريخ ابن غنام، وهو مصدر مهم عن نجد ودعوة ابن عبد الوهاب وتاريخ آل سعود، كان قد طبع سنة ١٩٠٢ م»[2].

وبهذا يتضح أنني لم أحاول إنكار أسبقية المرحوم الدخيل في الكتابة عن كل الأمور التي كتب عنها أو إثباتها، وإنما حاولت أن أبين عدم دقة الدكتور محسن حينما عدّ من الموضوعات البكر التي كتب فيها الدخيل كتاباته عن نجد وإمارة آل رشيد.

٧ ـ ثم قال الدكتور محسن: «إن الزميل الكريم ـ يعني كاتب الملاحظات ـ لم يستطع أن يذكر لنا تلك الكتابات الكثيرة التي نشرت بلغات مختلفة، ولم يثبت أنها نشرت فعلاً قبل أن يكتب الدخيل ما كتبه، ولم يجد غير تاريخ ابن غنام مستشهداً به على صحة أقواله».

والواقع أني اعتقدت أن من هو في مثل مرتبة الدكتور محسن العلمية يستطيع بسهولة ـ لو أراد ـ أن يعرف كثيراً مما كتب

---

(١) أكتاب الدكتور محسن: ص ٣٣.

(٢) الملاحظات في الدارة: ص ٨٢.

عن نجد وإمارة آل رشيد ـ وهذا ما ركزت عليه الحديث ـ قبل الدخيل. وذكرت تاريخ ابن غنام مثلاً من تلك الكتابات. ولست أرى داعياً للإثقال على القارىء بذكر كثير من الكتب والمقالات التي تضمنت معلومات عن نجد وإمارة آل رشيد، والتي نشرت قبل نشر الدخيل لما كتبه عنهما. ولا أدّعي أني ملم بكل ما كتب عنهما، ولكني أودّ أن أشير إلى عدد مما يحضرني من الكتابات برغم ما يتضمّنه بعضها من أخطاء، مثلها مثل كثير من الكتابات.

ـ كتابة نيبور التي وردت فيها معلومات عن نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونشرت مترجمة إلى الانجليزية عام ١٧٩٢ م.

ـ كتابة دوساسي: **ملاحظات حول الوهابيين**، المنشورة بالفرنسية عام ١٨٠٥ م.

ـ كتابة وارنج: ضمن رحلته إلى شيراز. وقد نشرت بالإنجليزية عام ١٨٠٧ م.

ـ كتابة كورانسز: تاريخ الوهابيين... بالفرنسية. وقد نشرت عام ١٨١٠ م.

ـ كتابة بوركهارت: في مؤلفيه **رحلات في بلاد العرب**، **وملاحظات على البدو والوهابيين**. وقد نشرا بالانجليزية الأول سنة ١٨٢٩ م والثاني سنة ١٨٣١ م.

ـ كتابة بردجز: بعنوان **تاريخ موجز للوهابيين**، ملحقة بكتابه عن رحلته إلى البلاط الإيراني. وقد نشرت بالانجليزية عام ١٨٣٤ م.

ـ كتابة مانجان: ضمن كتابه عن محمد علي بالفرنسية. وقد نشرت عام ١٨٣٩ م.

ـ كتابة شودزكو: عن عقيدة أتباع الشيخ محمد. وقد نشرت بالفرنسية عام ١٨٤٨ م.

ـ كتابة والين: عن نجد وآل رشيد المنشورة بالانجليزية عام ١٨٤٨ م.

ـ كتابة بالجريف: عن نجد وآل رشيد المنشورة بالانجليزية عام ١٨٦٥ م.

ـ كتابة دحلان: بالعربية في مؤلفيه الدرر السنية.. المنشور عام ١٨٨٤ م. وخلاصة الكلام.. المنشور عام ١٨٨٧ م.

ـ كتابة هوبير: عن نجد وآل رشيد بالفرنسية. وقد نشرت عام ١٨٨٨ م.

ـ كتابة زويمر: عن الوهابيين المنشورة بالانجليزية عام ١٩٠١ م.

ـ كتابة سالدانا: عن الأحداث الجارية في جزيرة العرب؛ خاصة نجد والخليج بين عام ١٩٠٤ م. و ١٩٠٦ م، والمنشورة بالانجليزية خلال هذين العامين.

٨ ـ وبعد أن تحدّث الدكتور محسن في إيضاحه عن مسألة أصالة كتابات المرحوم الدخيل تكلم عن اتّباعه للمنهج العلمي، ثم قال:

«إذا كان الدخيل لم يكن دقيقاً في بعض معلوماته أو خالف

شيئاً من أسس المنهج العلمي في الحواشي والترقيم، أفلا يقوم له عذراً (هكذا) عند الدكتور ـ يعني كاتب الملاحظات ـ أننا نجد مثل ذلك وزيادة الآن وبعد نصف قرن من وفاته في كثير من الرسائل العلمية. . .» إلخ.

ولعل القارىء الكريم يدرك أن تساؤل الدكتور محسن في غير محلّه. ذلك أني قد أوضحت سابقاً أن تناول كتابات المرحوم الدخيل في الملاحظات كان الهدف الرئيسي منه تبين تقويم دراسة الدكتور محسن لتلك الكتابات.

وقد أوضحت في تلك الملاحظات ـ وفي هذا التعليق ـ أن ما قاله الدكتور محسن عن منهج المرحوم الدخيل مخالف للواقع. وما دامت الملاحظات لم تتناول بعض ما كتبه المرحوم الدخيل إلا للمساعدة في تقويم دراسة الدكتور محسن عنه فإنه لا داعي لتلمس أعذار للمرحوم الدخيل. ذلك أن اللوم لم يكن منصباً عليه أساساً، بل على من وصفه بأوصاف غير مطابقة للواقع.

٩ ـ ثم اختتم الدكتور محسن إيضاحه بذكر مصدر إعجابه بالمرحوم الدخيل. ولكن الإعجاب بعصامية الدخيل يجب ألّا يطغى على عاطفة باحث فاضل؛ مثل الدكتور محسن، فينسب في خضم الحماس إلى المعجب به ما لا يتّصف به. ذلك أن المبالغة قد لا يقتصر ضررها على اهتزاز الثقة بكاتبها، وإنما قد يتجاوزه إلى المكتوب عنه. ولو وزن الدكتور محسن كتابات المرحوم الدخيل بميزان نقدي عادل لكان ذلك كافياً لإظهار المزايا التي اتّصفت بها تلك الكتابات.

وفّق الله الجميع لما فيه الخير والسداد.

ملاحظات على كتاب الشيخ محمد المانع
توحيد الجزيرة العربية

ملاحظات على كتاب الشيخ محمد المانع توحيد الجزيرة العربية [1]

الذين أتيحت لهم الفرصة لمقابلة الشيخ محمد المانع لا بد أنهم قد رأوا أن شخصيته تستحق الإعجاب والتقدير . وكانت أسرته من نجد ، لكنه ولد في الزبير البلدة العراقية المشهورة التي كان أكثر سكانها من وسط جزيرة العرب . وقد اشتملت دراسته في الهند على تعلّم اللغتين الأردية والانجليزية . وكان هذا مما مهد له الطريق ، فيما بعد ، ليصبح مترجماً لدى الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله . وهذا ، بدوره ، ما أعطاه فرصة ليصاحب ذلك الملك في بعض حروبه ويعرف عن كثب شخصيته والطريقة التي كان يدير بها مملكته .

وقد رأى الشيخ محمد المانع أن المعرفة التي حصل عليها خلال خدمته في الديوان الملكي ينبغي أن يشاركه فيها الآخرون . ولأنه كان يرى أن صورة الملك عبد العزيز وشؤون مملكته غير واضحة للقراء الغربيين استجاب لما اقترحه عليه أصدقاؤه من البريطانيين من كتابة ما أراد كتابته باللغة الانجليزية .

والكتاب المتحدث عنه ، هنا ، طبع أول مرة في لندن سنة ١٩٨٠ م . ويشتمل على مقدمة قصيرة وأربعة عشر فصلاً وثمانية ملاحق . والكتاب ، بصفة عامة ، رواية شخصية كتبت بأسلوب شيق تتخلله بعض الحكايات والتعبيرات المرحة . ومن خلال رواية الكتاب الأساسية ، التي تركز على التاريخ السياسي والحربي ، تبرز صور لبعض الأمور الإدارية والاجتماعية والعمرانية . وبالإضافة إلى ذلك يحتوي الكتاب على بعض القصص اللطيفة التي حدثت

---

(١) هذه الملاحظات كتبت ، أصلاً ، باللغة الانجليزية التي ألف بها الكتاب ، ونشرت في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، العدد ١٢ ، سنة ١٤٠٤ هـ .

لمؤلفه . وكل هذه الصفات جعلت ذلك الكتاب أكثر جاذبية للقراء من كثير من البحوث الأكاديمية التي كتبت عن الموضوع الأساسي الذي تناوله .

على أنه تنبغي الإشارة إلى ملاحظتين عامتين حول كتاب الشيخ محمد المانع . الأولى عدم وجود نظام موحد لكتابة حروف الأسماء العربية بحروف لاتينية . من ذلك حرف « القاف » الذي كتب «Q» في العنقري ، و«G» في برقاء ، و«GH» في العقيلي ، و«J» في النبقية ، و«K» في البرّاق . وبالإضافة إلى ذلك فقد كتبت بعض الأسماء بطريقة يصعب على القارىء أن يقرأها صحيحة . من ذلك اسم « العَذْل » الذي يمكن أن يقرأ « الأدّهل » . والملاحظة العامة الثانية أن الكتاب يحتوي على كثير من الأخطاء التاريخية ؛ خاصة الملحق الثاني الذي تكاد لا توجد فقرة من فقراته بدون أخطاء تاريخية واضحة .

ورغم جاذبية عنوان الكتاب باللغة الانجليزية فإنه ليس دقيقاً . ذلك أن الملك عبد العزيز لم يوحد كل جزيرة العرب تحت حكمه . فاليمن ـ شماليه وجنوبيه ـ وعمان وما أصبح الإمارات العربية المتحدة وقطر والكويت أجزاء من هذه الجزيرة خارجة عن حكم ذلك الملك . ولهذا فلو كان عنوان الكتاب توحيد المملكة العربية السعودية لكان أكثر دقة .

ولقد اقتبس الشيخ محمد المانع آيات من القرآن الكريم جعلها مقدمات لبعض الفصول ، كما استخدم أبياتاً من الشعر لهذا الغرض . وكثير من الآيات التي اختارها ليست مناسبة للموضوع الذي تحدث عنه ، ولا تنطبق على حال الشخصيات التي أشار إليها .

وقد أورد المؤلف في مقدمة كتابه قصة حياته الخاصه ، وشرح الظروف التي جعلته يكتب ذلك الكتاب ، وأشار إلى أن الهدف الأساسي من كتابته له أن يسهم شخصياً في إحياء الرجل الذي أعجب به أكثر مما أعجب بغيره ؛ جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن سعود .

ويتناول الفصل الأول من الكتاب دور الملك عبد العزيز في تأسيس المملكة العربية السعودية ، والأوضاع السياسية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ؛ معطياً خلفية تاريخية لأسرتي آل سعود وآل رشيد . ومن بين الأخطاء التي وقعت في حديث المؤلف عن هاتين الأسرتين قوله إنهما كانتا تتنازعان على حكم نجد حوالى مائتي سنة [1] . ذلك أن فترة نزاعهما لم تكن أطول من سبعة وأربعين عاماً ؛ بدأت سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) حينما وقف عبد الله بن فيصل مع آل عليّان ووقف محمد بن رشيد مع آل مهنا في صراعهما على إمارة بريدة ، وانتهت باستسلام حائل ـ عاصمة آل رشيد ـ للملك عبد العزيز سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) [2] .

وفي الفصل الأول نفسه أشار المؤلف إلى أن عمر الملك عبد العزيز سنة ١٨٩٠ م كان عشر سنوات [3] . وهذا يعني أنه ولد عام ١٨٨٠ م . والواقع أن هذا التاريخ لمولده هو الشائع لدى كثير من

---

(١) ص ٢٦ .

(٢) إبراهيم بن عيسى ، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر ، طبع ذيلا لتاريخ عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الطبعة الثانية من قِبَل وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ ، ص ص ٨٤ ـ ٨٥ و ١٠٥ .

(٣) ص ٢٦ .

الكتاب . لكن أخا الملك ، الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، يقول بأنه ولد سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) . وقد أيّد هذا خير الدين الزركلي[1] . ولعله هو الصحيح .

أما الفصل الثاني فعنوانه « الاستيلاء على الرياض » . وقد تحدث فيه المؤلف عما حدث لآل سعود بعد مغادرتهم هذه المدينة حتى استيلاء الملك عبد العزيز عليها . ومما ذكره ، هنا ، أن آل سعود وحكام البحرين والكويت وقطر ينتمون إلى قبيلة واحدة ، هي قبيلة عنزة[2] . لكن المتداول بين النسابين أن كلا من حكام البحرين والكويت من القبيلة المذكورة . أما حكام قطر - آل ثاني - فمن قبيلة بني تميم[3] . وأما آل سعود فكثير من الكتاب يقولون إنهم من عنزة . لكن المصادر المحلية الموثوقة تذكر أنهم من بني حنيفة[4] . ويؤيد هذا ، أيضاً ، الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود[5] .

وحينما وصف المؤلف الملك عبد العزيز فارساً ومحارباً قال عنه : إنه لا يمكن أن يقارن بأحد[6] . والواقع أن الملك كان فارساً ومحارباً عظيماً . لكن القول بأنه لا يمكن ان يقارن بأحد فيه ما فيه من المبالغة . ومن المبالغة الواضحة ، أيضاً ، قول المؤلف عن الأمير

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(٢) ص ٢٩ .

(٣) إبراهيم بن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد . . . ، دار اليمامة بالرياض ، ١٣٨٦ هـ ، ص ٢٢٤ .

(٤) ابن بشر ، المصدر السابق ج ٢ ، ص ١٥ ؛ ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث . . . ، ص ٣٦ .

(٥) منير العجلاني ، تاريخ البلاد العربية السعودية ، بيروت ج ١ ، ص ٧٧ .

(٦) ص ٣٠ .

عبد العزيز بن رشيد : يقال بإنصاف إنه لم يطأ فيافي الصحراء أبداً من هو أشجع منه [1] .

ومن سياق حديث المؤلف يبدو وكأن الملك عبد العزيز قد انطلق من الكويت مباشرة إلى الرياض في محاولته الثانية التي نجحت في الاستيلاء على هذه المدينة [2] . وهذا ما لم يحدث . ذلك أن الملك قد غادر الكويت مع رفاقه ، فالتحق به عدد لا بأس به من رجال القبائل ؛ خاصة العجمان . وقاد هؤلاء في غزوات ناجحة على فئات من قبيلتي قحطان ومطير . ونتيجة لذلك اتخذت السلطات التركية في الأحساء إجراءات اقتصادية ضد من انضموا إليه ؛ إذ منعتهم من شراء ما يحتاجونه من تلك المنطقة . فتفرق رجال القبائل عنه . ولم يبق معه إلا الذين خرجوا معه من الكويت . فتوجه بهم إلى واحة يبرين القريبة من الربع الخالي . وقد بذل أبوه ، الإمام عبد الرحمن ، ومبارك الصباح محاولات لإقناعه بالعودة إلى الكويت . لكنه رفض العودة ، واتجه من الواحة المذكورة إلى الرياض [3] .

والقصة التي أوردها المؤلف عن استيلاء الملك عبد العزيز على الرياض قصة طريفة . لكن بعض تفصيلاتها تبدو غير صحيحة . فقد ذكر أن الملك حينما اقترب من هذه المدينة أخبر رفاقه بما عزم عليه ، وأن ذلك بدا لهم أمراً ميؤوساً منه لدرجة أنه لم يتطوع لدخول المدينة معه إلا عدد قليل جداً منهم [4] . والواقع أن رفاق

---

(١) ص ٤١ .

(٢) ص ٣٤ .

(٣) الزركلي ، المصدر السابق ج ١ ، ص ص ٧٩ ـ ٨١ . وقد ذكر المانع خطأ هجوم الملك على قحطان في محاولته الأولى للاستيلاء على الرياض سنة ١٣١٨ هـ . انظر ص ٣١ .

(٤) ص ٣٥ .

الملك كانوا يعلمون بما عزم عليه قبل أن يقترب من الرياض ، وأنه هو الذي قسم أولئك الرفاق إلى ثلاث مجموعات ؛ تبقى المجموعة الأولى منها عند الإبل لحراستها ، وتستقر المجموعة الثانية في إحدى مزارع المدينة بقيادة أخيه محمد بن عبد الرحمن حتى تأتيها أوامره بالتحرك . أما المجموعة الثالثة فتدخل إلى وسط تلك المدينة بقيادته . وحينما وصل عبد العزيز ومعه هذه المجموعة إلى بيت زوجة عجلان ـ قائد حامية آل رشيد ـ استدعى أخاه محمداً ومن معه . وحدث ما حدث مما هو مفصل في التواريخ التي تناولت هذه القصة[1] . وهكذا كان ما حدث نتيجة تخطيط من القائد ووفقاً لأوامره .

وعنوان الفصل الثالث من الكتاب « سقوط آل رشيد » . ويعني المؤلف بآل رشيد ، هنا ، الأمير عبد العزيز بن متعب بن رشيد . ومعروف أن سكان المنطقة حينما يقولون « آل رشيد » يعنون الأسرة كلها . وإذا أرادوا الإشارة إلى واحد منها قالوا « ابن رشيد » . ويتناول هذا الفصل الحوادث التي تلت استيلاء الملك عبد العزيز على الرياض سنة ١٣١٩ هـ حتى مقتل الأمير عبد العزيز بن متعب في معركة روضة مهنّا سنة ١٣٢٤ هـ . وقد ذكر المؤلف خطأ أن أفراد أسرة الملك عبد العزيز ، ومن بينهم أبوه عبد الرحمن ، أتوا من الكويت إلى الرياض قبل أن يبسط ذلك الملك نفوذه على المناطق الواقعة جنوب المدينة الأخيرة . ويذكر ، أيضاً ، أن المجمعة في سدير سقطت في يده قبل استيلائه على القصيم[2] . والواقع أنه

---

(١) سعود بن هذلول ، تاريخ ملوك آل سعود ، مطابع الرياض ، ١٣٨٠ هـ ، ص ص ٥٨ ـ ٦٢ ؛ الزركلي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٨٨ ـ ١٠٠ .

(٢) ص ص ٤٢ ـ ٤٤ .

بسط نفوذه على المناطق الجنوبية من نجد قبل مجيء أبيه من الكويت [1] . أما المجمعة فإنها لم تدخل تحت حكمه إلا بعد عامين من استيلائه على القصيم ، وذلك بعد مقتل الأمير عبد العزيز بن متعب [2] .

ويبدو من حديث المؤلف أنه يعدّ جيش الملك عبد العزيز في تلك المرحلة جيشاً مكوناً من البادية فقط [3] . والحقيقة أنه باستثناء الحرب مع الملك حسين في الحجاز ـ وهي حرب لم تحدث إلا بعد المرحلة المذكورة بأكثر من عشر سنوات ـ فإن العمود الفقري لجيش الملك كان رجال حاضرة نجد .

والرواية التي أوردها الشيخ محمد المانع عن معركة روضة مهنّا ، والتي يذكر أنه اختارها من بين روايات كثيرة ، ليست أصح تلك الروايات . فبعض تفصيلاتها يمكن قبوله ، لكن البعض الآخر يبدو غير صحيح . ومن ذلك قوله إن رجال الملك عبد العزيز لم يلحقوا به ليخبروه بنتيجة تلك المعركة إلا بعد ثلاثة أو أربعة أيام من نهايتها [4] . فمن المعروف أن الملك كان قائد رجاله في المعركة المذكورة . ومن غير المحتمل أن تمر المدة التي أشار إليها المؤلف دون أن يعرف القائد بالنتيجة أو أن يكون بعيداً عن رجاله بحيث لا يستطيعون اللحاق به إلا بعدها ؛ خاصة أنه كان منتصراً .

أما الفصل الرابع من الكتاب فعنوانه « تثبيت مملكة » .

---

(١) ابن هذلول ، المصدر السابق ، ص ٦٢ ؛ الزركلي ، المصدر السابق ج ١ ، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٨ .

(٢) ابن هذلول ، المصدر السابق ص ص ٦٥ و ٦٨ .

(٣) ص ٤٥ .

(٤) ص ٤٩ .

ويتناول بعض الحوادث المهمة التي تلت معركة روضة مهنّا حتى استسلام حائل للملك عبد العزيز سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) . ويوحي العنوان بأن تلك المرحلة كانت مرحلة تثبيت للسلطة في مناطق سبق أن استولى عليها الملك قبل ذلك دون إضافة مناطق أخرى إليها . وهذا ما لم يكن . ذلك أن الملك عبد العزيز خلال تلك المرحلة استولى على منطقة الأحساء المهمة ، وكان على وشك إدخال منطقة عسير تحت حكمه . وكلمة « مملكة » قصد بها المناطق التي استولى عليها عبد العزيز قبل أن يتخذ لقب ملك . وهذا لا يتناسب مع اللقب الذي استعمله المؤلف حين إشارته إليه في المرحلة المذكورة وهو لقب « الأمير »[1] .

ومن المعروف أن كل حاكم من آل رشيد مهما كانت قوته كان يلقب بالأمير فقط . لكن المؤلف استعمل كلمة « عاهل » لوصف الأمير منهم بعد أن أصبح نفوذهم محدوداً جداً[2] . وقد ذكر ، أيضاً ، أنه بعد مقتل عبد العزيز بن متعب دخل أبناؤه في صراع مرير على حكم حائل[3] . ومعروف أن الصراع لم يكن بين أبناء ذلك الأمير ، وإنما كان بينهم وبين أبناء عمهم ، وبين بعض أبناء العم وبعضهم الآخر[4] .

ويذكر المؤلف أنه خلال السنوات السبع التي تلت مقتل الأمير عبد العزيز بن متعب كانت معظم مشكلات الملك عبد العزيز مشكلات داخلية . ويعطي القارىء انطباعاً بأن مثيري تلك

---

(١) ص ٥٥ .
(٢) ص ٥٣ .
(٣) ص ٥٣ .
(٤) انظر تفاصيل ذلك في قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ، ص ص ٣٤٦ ـ ٣٤٩ .

المشكلات كانوا من البادية ، لكنه لم يشر إلا إلى مشكلتين قام بإثارة إحداهما فيصل الدويش ، زعيم قبيلة مطير ، وقام بإثارة الأخرى محمد أبو الخيل ، أمير بلدة بريدة [1] . والواقع أن المشكلات الداخلية التي واجهها الملك عبد العزيز في تلك السنوات كان مثيرو أكثرها من الحاضرة ؛ مثل أمراء بريدة والحريق وأبناء عمه من ذرية سعود بن فيصل [2] .

وفي إشارة المؤلف إلى قادة حائل قال في موضع : إن آل سبهان من أسرة آل رشيد [3] . لكنه قال في موضع آخر : إنهم أقارب لهم [4] . والواقع أن آل سبهان أقارب لآل رشيد نسباً ورحماً ، لكنهم ليسوا من أسرة واحدة .

ويحمل الفصل الخامس من الكتاب عنوان « الحجاز وعسير » . وقد شرح فيه المؤلف الظروف التي أدّت إلى الخلاف بين الملك عبد العزيز وبين حكام هاتين المنطقتين ، كما تحدث عن الإجراءات العسكرية التي نتج عنها نجاح الملك في إدخالهما تحت حكمه . ومما ذكره ، هنا ، أن الصراع العسكري بين الملك عبد العزيز وبين الشريف حسين بدأ عند تربة الواقعة على الحدود بين بلديهما . وكان قائد جيش الحجاز في المعركة التي حدثت هناك عبد الله بن حسين . أما القوات السعودية فكانت بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد . ويوحي كلام المؤلف ، هنا ، أن خالداً من قبيلة عتيبة ، كما يوحي أن القوات السعودية التي كانت تحت قيادة خالد وسلطان من

---

(١) ص ٥٤ .
(٢) الزركلي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٨٩ - ١٩٠ .
(٣) ص ٥٥ .
(٤) ص ٥٨ .

هذه القبيلة وحدها[1] . والواقع أن ابن لؤي من الأشراف لا من عتيبة ، وأن معظم القوات السعودية كانت من القبيلة المذكورة إلا أنه كان معها فئات قليلة من قبائل أخرى ؛ مثل قحطان[2] .

وقد تحدث المؤلف في الفصل الخامس ، أيضاً ، عما أشيع من قيام القوات السعودية ـ أو الإخوان ـ بأعمال قاسية في بلدة الطائف كان منها قتل النساء والأطفال . فذكر أن ما أشيع لا أساس له من الصحة ؛ مبرهناً على ذلك بأن أمير تلك البلدة قد أخبره بأنه لم يقتل فيها إلا عدد قليل من رجال الحامية ومن المدنيين الذين حاولوا مقاومة القوات الزاحفة عليها[3] . ولا شك أن ما أشيع عن قتل الإخوان للنساء والأطفال غير صحيح . وقد ذكر ابن هذلول في تاريخه أنهم حينما دخلوا الطائف قتلوا كثيراً من سكانها الذين لا ذنب لهم . لكن عندما دخل القائدان ، خالد وسلطان ، منعاهم من قتل الناس وإيذائهم[4] . ولعلّ المؤرخ مقبل الذكير أكثر دقة ؛ إذ أشار إلى أن تصرفات قاسية حدثت في الطائف . لكنه ذكر بأن الذين قاموا بها كانوا أفراداً من القبائل الحجازية الذين انضموا إلى القوات السعودية لمجرد النهب والسلب ؛ إضافة إلى أفراد من القوات السعودية ذاتها قاموا بما قاموا به دون معرفة قائدي تلك القوات[5] .

---

(١) ص ٦٥ .
(٢) ابن هذلول ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(٣) ص ٧١ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٥١ .
(٥) مخطوط لم يقرر له مؤلفه عنواناً ، مكتبة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، رقم ٥٦٩ ص ٩٠ .

ويورد المؤلف بيتين من الشعر أولها :

ألا ذهب الحمار بأم عمرو

فلا رجعت ولا رجع الحمار

لكنه أورد هذا البيت بدون « ألا » في أوله .وثانيهما :

مشيناها خطى كتبت علينا

ومن كتبت عليه خطى مشاها

وقد ذكر أن هذا البيت للمتنبي . والبيت ليس لهذا الشاعر .

والفصول السادس والسابع والثامن عن حركة الإخوان المشهورة . وقد تحدث المؤلف في الفصل الأول منها عن قيام تلك الحركة ، فذكر أن أصلها يعود إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي ، الذي ولد في العوينة وساعده محمد علي بن معمّر[1] . والواقع أن هناك خطأ بسيطاً فيما أورده المؤلف عن نسب الشيخ محمد . ذلك أن صحته محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد . والبلدة التي ولد فيها هي العيينة . أما الأمير الذي ساعده من آل معمّر فهو عثمان ابن حمد[2] .

وذكر المؤلف أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد مغادرته العيينة تجوّل فترة من الزمن قبل أن يذهب إلى الدرعية[3] . والحقيقه أنه ذهب مباشرة إلى هذه البلدة ، فوصلها بعد ساعات قليلة من مغادرته للعيينة ؛ إذ المسافة بين البلدتين قصيرة جداً[4] .

---

(١) ص ٧٩ .

(٢) ابن بشر المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٢ و ١١٣ .

(٣) ص ٧٩ .

(٤) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٣ ـ ٢٤

وعند حديث المؤلف عن إنشاء هجر الإخوان قال : إنه لم تذكر تفصيلات عن هذا الموضوع في أي كتاب قرأه باللغة الانجليزية[1] . ومن الواضح أنه لم يطلع على الرسالة الجيدة التي نال بها جون حبيب شهادة الدكتوراه من جامعة ميتشجن عام ١٩٧٠م وعنوانها **حركة الإخوان في نجد : قيامها ، تطورها ، ونهايتها** .

ومن الأمور التي أشار إليها الشيخ محمد المانع في حديثه عن الإخوان وقال إنها خاصة بهم تحريم الموسيقى وتدخين التبغ ولبس الحرير[2] . وهذه الأمور محرمة لدى كثير من حاضرة نجد وإن كانت نسبة الحدّة في معارضتها تختلف بين بلدة وأخرى .

وحينما تحدث المؤلف عن معركة السبلة ذكر أن الملك عبد العزيز جمع قواته في شهر رمضان ، وقال :

« وكما هو حقه ـ طبعاً للشريعة الإسلامية ـ أمر أتباعه أن يفطروا . وكان هذا عملاً معروفاً في وقت الحرب . ومن يواصل الصوم بعد أمر القائد بالإفطار فعتابه الرجم حتى الموت . وبالرغم من ذلك فإن بعض أفراد قوات الملك رفضوا أن يفطروا . فأمر أن يرجموا . لكن لشفقته وحكمته المعهودتين أمر أن يكون الرجم رمزياً يؤدب الجنود العاصين دون أن يقتلهم »[3] .

ومعروف أن الشريعة الإسلامية لا تعطي الملك الحق في أن يجبر أفراد جيشه على الإفطار في رمضان . ومعروف ، أيضاً ، أن

---

(١) ص ٨١ .
(٢) ص ٩٠ .
(٣) ص ٩٥ .

الرجم حتى الموت عقوبة لمن يرتكب جريمة الزنا . ولهذا فإنه من المعتقد أن الملك عبد العزيز لم يفكر مجرد تفكير في الأمر برجم أي إنسان ما لم يرتكب الجريمة التي جعل الشرع المطهر الرجم عقوبة لها .

ويذكر المؤلف أن أهل بلدة الزلفي كانوا ـ قبيل معركة السبلة ـ ممزقين بين ولائهم لملكهم وبين ولائهم لقبيلتهم لأن أكثرهم من قبيلة عتيبة [1] . وكلامه ، هنا ، يحتاج إلى مناقشة . حقيقة أن أسراً مشهورة من سكان تلك البلدة كانوا أصلاً من عتيبة . لكن تلك الأسر كانت مستقرة فيها منذ زمن طويل . ومن المرجح أن شعورهم القبلي قد ضعف بدرجة كبيرة ، وأن شعورهم بالانتماء إلى المكان قد أصبح أكثر قوة ومتانة . وبالإضافة إلى ذلك فإن الأسر المنتمية إلى قبيلة عتيبة من أهل الزلفي هي ، بصفة عامة ، من فرع الرُّوقة . وهذا الفرع كان ـ بقيادة ابن ربيعان ـ مع الملك عبد العزيز في حربه ضد الإخوان . أما سلطان بن بجاد ، أحد كبار قادة الإخوان ، فكان زعيم برقاء من عتيبة . وإذا كان قد حدث تردد بين زعماء أهل الزلفي في اتخاذ موقف محدد تجاه الطرفين اللذين كانا على وشك الدخول في معركة قرب بلدتهم فإنه من المرجح أن العامل الجغرافي كان مهماً في ذلك . فمن المعروف أن الزلفي قريبة من هجرة الأرطاوية التي هي مركز فيصل الدويش القائد الخطر بين قادة الإخوان . ولعل أولئك الزعماء خافوا من إجراءاته الصارمة ضدهم .

ويقول المؤلف : إن البدو يسمّون التمر « مسامير الركب » ، ويقصدون بذلك أنه يمد آكله بقوة عظيمة ، كما يقول : إنهم

---

(١) ص ٩٨

يعتقدون أن الروائح العطرية تؤثر على الجروح[1] . والواقع أن ما ذكره عن كل من التمر والروائح العطرية ليس خاصاً بالبدو ، وإنما هو أمر سائد بين سكان وسط الجزيرة العربية كلهم بادية وحاضرة .

ولقد ذكر المؤلف أن بنات قبيلة شمّر مشهورات بالجمال ، وأن هندياً كان سائقاً لسيارة الملك عبد العزيز قد تزوج إحداهن حينما ذهب الملك إلى حائل[2] . وما ذكره عن شهرة بنات قبيلة شمّر بالجمال أمر مسلّم به . لكن زواج السائق الهندي بإحداهن أمر يستبعد حدوثه . ذلك أن التقاليد العامة بين النجديين ، حاضرة وبادية أن المرأة المنتمية إلى قبيلة عربية معروفة لا تتزوج بمن لا ينتمي إلى قبيلة عربية معروفة . ولعلّ المرأة التي تزوجها السائق المذكور من منطقة جبل شمّر لا من قبيلتها .

على أنه بالرغم من الملاحظات المذكورة سابقاً عن بعض ما ورد في الفصول الثلاثة التي تناول فيها المؤلف حركة الإخوان فإنها من أحسن فصول كتابه كلها . وما قيل عن جودة هذه الفصول الثلاثة يمكن أن يقال ، بصفة عامة ، عن الفصل التاسع الذي خصص للحديث عن فيلبي ، الذي تجوّل في أنحاء المملكة العربية السعودية وكتب عنها كتابات كثيرة .

وقد تحدث الشيخ محمد المانع في الفصل العاشر من كتابه عن ديوان الملك عبد العزيز . ومما ذكره في هذا الفصل ما اعتاده السكان من قدوم إلى الرياض لزيارة الملك وتسلّم هباته . ويوحي كلامه أن أولئك القادمين كانوا من البادية فقط[3] . ولعل كثيراً منهم كانوا

---

(١) ص ص ١٠٤ - ١٠٥ .
(٢) ص ١١٦ .
(٣) ص ١٧٨ .

كذلك . لكن قسماً منهم كانوا من الحاضرة . وبالإضافة إلى هذا فقد ذكر المؤلف أن مما كان يهديه البدو إلى الملك الإبل والخيل والبقر[1] . والواقع أن أكثر من يقدمون حيوانات إلى الملك كانوا من الحاضرة ؛ خاصة التجار . ومع أنهم يسمّون تقديمهم تلك الحيوانات هدية إلا أن ذلك كان في الحقيقة أسلوباً ذكياً من أساليب التجارة ؛ إذ كانوا يعلمون سلفاً أنهم سينالون منه أكثر من ثمن ما يقدمونه إليه . ولا شك أن البقر لم تكن من بين ما يقدمه البدوي إلى الملك . ذلك أنها لا تعيش إلا في المدن والقرى . بل إن البدوي كان يعدّ القول بأنه يقتني بقرة سبة موجهة إليه .

ويتناول الفصل الحادي عشر من الكتاب عدداً من الشخصيات المشهورة التي كانت تعمل بقرب الملك عبد العزيز . ومن بين هؤلاء عبد الله بن سليمان الحمدان ، الذي كان وزيراً للمالية . وقد ذكر المؤلف أن عبد الله بدأ عمله مساعداً لعمه محمد ابن سليمان[2] . ومعروف أن محمداً كان أخاً لعبد الله لا عماً له .

أما الفصل الثاني عشر فعن العلاقات بين الملك عبد العزيز وبين إمام اليمن . وفي معرض كلام المؤلف عن استعدادات الملك لمحاربة الإمام قال : إن ضرب ثورة الإخوان ، وإن كان ضرورياً لتحقيق الأمن في داخل البلاد ، قد جعله في حاجة ماسة إلى محاربين يعتمد عليهم[3] . وهذا يحتاج إلى مناقشة . فقد كان رجال الحاضرة ، بصفة عامة ، العمود الفقري لجيش الملك ؛ خاصة قبل دخوله في حرب مع ملك الحجاز . وكان أولئك الرجال مدربين على

(١) ص ص ١٧٧ - ١٧٨ .
(٢) ص ١٩٣ .
(٣) ص ٢٠٨ .

القتال وممن يعتمد عليهم بدرجة كبيرة . وما لعبوه من دور بجانب رفاقهم من البدو في معركة السبلة وأم رضمة ضد الإخوان دليل من أدلة خبرتهم في خوض المعارك ومدى أهليتهم في أن يعتمد عليهم . وما قاموا به في حرب الملك مع الإمام المذكور دليل آخر على هذا وذاك .

وعند حديث المؤلف عن المفاوضات التي دارت في بلدة الطائف بين ممثلي الملك عبد العزيز وبين ممثلي الإمام يحيى قال : إن جامعة الدول العربية قد حثت الملك على أن يتكرم ويسمح للإمام بالمحافظة على استقلاله ضمن الحدود الموجودة [1] . ومن المعروف أن مفاوضات الطائف قد حدثت سنة ١٩٣٤ م ، وأن إنشاء الجامعة العربية لم يتم إلا بعد ذلك بحوالي عشر سنوات .

وقبل حديث المؤلف في الفصل الثالث عشر عن اكتشاف الزيت في المملكة أورد هذه العبارة :

« وإذا قربت نهاية العالم فسوف تلفظ الجزيرة خزائنها وتخرج ثرواتها . » وقال عنها : « حديث عربي قديم » [2] .

والعبارة التي أوردها غير مأثورة . ولعله قصد بها الحديث الذي ورد فيه :

« لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجا وأنهاراً » .

أما الفصل الأخير من كتاب الشيخ محمد المانع فهو بعنوان « ابن سعود » . وقد ذكر في هذا الفصل أن الملك عبد العزيز كان يتصف بسبع صفات حددت معالم شخصيته وساعدته في بناء مملكته

---

(١) ص ٢١٢ .
(٢) ص ٢١٥ .

بنجاح . وهذه الصفات التدين ، والكرم والعفو ، والقدرة على الكتمان ، والشجاعة ، والقوة الفريدة على المثابرة ، والنزاهة والعدل ، ورجاحة العقل . لكن في بعض تفصيلات حديث المؤلف عن تلك الصفات نوعاً من المبالغة [1] .

وعند حديث المؤلف عن سعود بن عبد العزيز ـ أحد أحفاد سعود بن فيصل ـ قال : إنه يعدّ نفسه أرفع درجة في سلسلة نسب آل سعود من الملك عبد العزيز [2] . وهذا القول غير واضح . ذلك أن سعوداً هو سعود بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل في حين أن الملك عبد العزيز هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل . فكل منهما يلتقي نسبه بفيصل ، لكن الملك أقرب من سعود إليه .

ويشتمل الملحق الأول لكتاب الشيخ محمد المانع على أسماء الذين حكموا البلاد من آل سعود وفترة حكم كل منهم . أما الملحق الثاني فموجز عن تاريخ الحكم السعودي حتى عام ١٨٦٥ م ، وهو العام الذي توفي فيه الإمام فيصل بن تركي . وهذا الملحق أسوأ ما في الكتاب لما اشتمل عليه من أخطاء تاريخية كثيرة . بل لا توجد فقرة من فقراته دون أخطاء واضحة ، كما ذكر سابقاً . ولذلك فإنه يحتاج إلى إعادة كتابة .

ويشتمل الملحق الثالث على أسماء حكام آل رشيد وفترة حكم كل واحد منهم . ولكنه لا يخلو من الأخطاء . فقد ذكر فيه المؤلف أن عبد الله بن رشيد حكم أربع عشرة سنة قائلاً : إنه توفي سنة ١٢٦٥ هـ ، وأن ابنه طلال بن عبد الله حكم ثماني سنوات ، وأن

---

(١) ص ص ٢٣٣ و ٢٣٧ .
(٢) ص ٢٣٩ .

ابنه متعب بن عبد الله حكم اثنتي عشرة سنة[1] . والواقع أن عبد الله بن رشيد توفي عام ١٢٦٣ هـ[2] . ولذلك فإن حكمه كان اثني عشر عاماً . أما طلال فقد انتحر سنة ١٢٨٣ هـ[3] . وبذلك فإن حكمه كان عشرين عاماً . وأما متعب فقد قتل سنة ١٢٨٥ هـ[4] . وبذلك لم يحكم إلا حوالى سنتين .

والملحق الرابع قائمة بأسماء المعارك والحوادث الهامة التي وقعت في عهد الملك عبد العزيز مع ذكر سنوات وقوعها .

والملحق الخامس قائمة بأسماء الذين كانوا مع الملك عبد العزيز في استيلائه على الرياض سنة ١٣١٩ هـ .

وأما الملحق السادس فإنه يشتمل على أسماء هجر الإخوان وزعمائها . على أنه من الملاحظ أن المؤلف يضع ، أحياناً ، أسماء بعض الزعماء أمام هجرة من الهجر على أنهم حكامها . والواقع أن أولئك الزعماء كانوا رؤساء لأسر مختلفة . لكن لم يكونوا كلهم يحكمون تلك الهجرة .

ويشتمل الملحق السابع على الرسائل المتبادلة بين الملك عبد العزيز وبين عدد من زعماء العالم حول المشكلة الفلسطينية .

والواقع أن أكثر الملاحق السبعة المذكورة آنفاً سبق أن نشرها آخرون بصورة أدق من التي نشرها بها الشيخ محمد المانع .

أما الملحق الأخير فعنوانه « الأحلام » . وقد ذكر فيه المؤلف

---

(١) ص ٢٦٩ .
(٢) ابن بشر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .
(٣) ابن عيسى ، عقد الدرر . . . ، ص ٥٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

أنه رأى حلمين إثر نهاية الحرب العالميـة الثانيـة . فرأى في الأول الملك عبد العزيز متميزاً عن بقية زعماء العالم في حفل في المنـطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . واستنتج أن ما رآه في هذا الحلم قد تحقق اليوم بما احتلته المملكة من مكانة دولية مرموقـة . ورأى في الحلم الثاني الملك عبد العزيز يحيي مفتي القدس في اجتماع في مكان ما من الصحراء . وينهي قصة حلمه هذا بقوله :

« لقد ظهر لكل المجتمعين أن الملك عبد العزيز هو الرجل العظيم الذي سيحمي فلسطين وينقذها . وانتهى الحلم »[1] .

وبنهـاية حلم الشيـخ محمد المـانع انتهى كتـابه ، وانتهت ، أيضاً ، هذه الدراسة له .

---

(١) ص ٣٢٠ .

تعليق على دراسة الدكتورة نوال اسماعيل
" التغير في المنطقة المركزية لمدينة الرياض "

تعليق على دراسة الدكتورة نوال اسماعيل
"التغير في المنطقة المركزية لمدينة الرياض" (*)

الدراسة التي أعدتها الدكتورة نوال محمد عبد الله إسماعيل عن التغيّر في المنطقة المركزية لمدينة الرياض من الدراسات الجيدة(1) . ولعل من مظاهر جودتها ما ورد فيها من إحصائيات ومقارنات وخرائط . ومع ذلك فإنها لا تخلو من أمور ينبغي التعليق عليها . على أن هذا التعليق لا يتناول صلب الدراسة ، الذي هو من شأن ذوي الاختصاص الدقيق ، وإنما يتناول أشياء ذات صبغة توثيقية أو تاريخية .

فيما يتعلق بالتوثيق يلاحظ أن الكاتبة الكريمة أوردت قائمة بأسماء مصادر في نهاية الدراسة ، لكنها لم تشر إلى أمكنة اعتمادها عليها . والإشارة إلى أمكنة الاستشهاد ضرورية في البحث العلمي لأنها تسهل للقارىء التأكد من صحة ما ورد في الدراسة من معلومات وصحة فهم الكاتب للمعلومات التي استقاها من المصادر .

وقد أوردت الكاتبة الكريمة خريطة لمدينة الرياض القديمة مشيرة إلى أنها من عمل فيلبي سنة ١٩١٩ م(2) . ويبدو أن فيلبي قد كتب الأسماء الواردة فيها بحروف لاتينية . ولذلك وقعت الكاتبة الكريمة في أخطاء حينما نقلتها إلى حروف عربية . فسمّت باب الثميري « باب الثمير » ، وباب المَذْبح « باب المذابح » ، وباب آل

(*) نشر هذا التعليق في مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة الثامنة ، ١٤٠٣ هـ ، ص ص ١٧٧ ـ ١٨٣ .

(1) نشرت هذه الدراسة في مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الثامنة ، محرم ١٤٠٣ هـ ، ص ص ٦ ـ ٦٠ .

(2) المصدر نفسه ، ص ص ٦ ـ ٧ .

سويلم « باب سويلم » . وعدم ذكرها للمكان الذي نشر فيلبي فيه الخريطة يجعل من الصعب على القاريء أن يرجع إلى الأصل للتأكد من صحة ما أوردته من أسماء .

ووضعت الكاتبة الكريمة خريطة لبعض أحياء الرياض . والمتأمل في هذه الخريطة يلاحظ بعض الأخطاء في مواقع الأحياء . من ذلك وضع حي السلامة مجاوراً لحي العليا من الجهة الشرقية ، وحي الروضة مجاوراً لحي العليا وحي السلامة من الجهة الشمالية . ومعروف أن حي السلامة وحي الروضة بعيدان عن حي العليا .

أمّا ما يتعلق بالنواحي التاريخية فمنه ما ذكرته الكاتبة الكريمة من أن مدينة الرياض « لا يرجع تاريخها إلى أبعد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر . قامت في موضع بعض الحلّات إلى جوار وادي حنيفة في هضبة نجد . أما عن وجود مدينة في العصور الوسطى في نفس هذا الموضع فالثابت أن الصلة بينها وبين الرياض الحالية قد انقطعت » [١] .

وما ذكرته الكاتبة الكريمة من « ثبوت » انقطاع الصلة بين المدينتين المذكورتين أمر لم تمدّ القاريء بما يقنعه بصحته . وتكوّن مدينة الرياض من محلّات كان بعضها مستقلاً عن البعض الآخر في فترات تاريخية معينة لا يعني عدم وجود صلة بين تلك المحلات وبين المدينة بعد أن أصبحت تضمها كلها . ولقد أطلق اسم الرياض على جزء من هذه المدينة ، على الأقل ، في بداية القرن الثامن عشر الميلادي . ذلك أن الشيخ أحمد المنقور المتوفى سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م) قد ذكرها بهذا الاسم في تاريخه [٢] . وبعد وفاته بحوالى

(١) المصدر نفسه ، ص ٧ .

(٢) تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور ، تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٣٩٠ هـ ، ص ص ٣٠ و ١٦٥ .

ربع قرن وحّد دهام بن دواس أجزاء المدينة تحت قيادته وأحاطها بسور منيع[1] . ومنذ ذلك الوقت وهي تعرف بهذا الاسم . ثم أصبحت قاعدة لنشاط الإمام تركي بن عبد الله آل سعود وعاصمة للدولة منذ أن استقرت الأمور له في المنطقة سنة ١٢٤٠ هـ . ولم يكن اتخاذه لها عاصمة يعني إنشاءها أو قيامها . لأنها كانت قائمة قبل ذلك . ولم يدخل عليها ذلك الإمام ولا خليفته من العمران ما غير ملامحها السابقة . بل ظل القصر الذي بناه دهام بن دواس هو قصر الحكم . وظل السور الذي بناه ذلك الأمير هو سور المدينة[2] . وهكذا يتضح أن ما ذكرته الكاتبة الكريمة من أن تاريخ مدينة الرياض لا يرجع إلى أبعد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي غير دقيق .

ثم ذكرت الكاتبة الكريمة أن « الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت تكوين المدينة ـ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حسب رأيها ـ ونموها فرضت عليها نموذجاً يختلف عن العصر الذي نشأت فيه »[3] .

والواقع أن تكوين مدينة الرياض ، مهما اختلفت الآراء في تاريخه ، لا يختلف عن تكوين البلدان النجدية من حيث وجود

---

(١) حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، دار اليمامة ، ١٣٨٦ هـ ، ص ص ٩٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ص ١٠٤ و ١٠٨ . ويؤيد ذلك قول عبيد بن رشيد مخاطباً الإمام فيصل بن تركي :

متولع يا نور قصر ابن دواس   عليك يا معطي الرمك بالعداد

انظر الأزهار النادية في أشعار البادية ، نشر محمد كمال ، القاهرة ، دون ذكر لسنة الطباعة ، ج ٣ ، ص ٥٧ .

(٣) « الدراسة » ، ص ٧ .

الجامع وقصر الحكم وبيوت علية القوم والمتاجر في وسط المدينة . وهذا ما حتمته الظروف الدينية والأمنية بصفة أساسية في أكثر المدن الإسلامية على مرّ العصور .

ثم ذكرت الكاتبة الكريمة أن موقع الرياض « معزول عن بقية الأجزاء المعمورة في الدولة لنقص الطرق والمواصلات الجيدة من ناحية وصعوبة التضاريس وطول المسافات القاحلة من ناحية أخرى »[1] .

ولعله من الواضح عدم وجود تضاريس صعبة تعزل الرياض عن بقية البلدان التابعة لها . بل كانت طرق القوافل سالكة ؛ خاصة إذا توفرت الوسائل الأمنية . ومن المعروف أن هذه المدينة كانت ذات صلة تجارية قوية مع الأحساء[2] ، وأن بلداناً نجدية لا تختلف عنها من حيث الموقع التضاريسي ، مثل بلدان القصيم ، كانت تتبادل التجارة مع الشام وفلسطين ومصر[3] ، ناهيك عن أقاليم الجزيرة العربية الداخلية .

ثم قالت الكاتبة الكريمة :

« فإذا نظرنا إلى مدينة الرياض نجد أنها كانت عاصمة لدولة ناشئة مفككة منذ قرون طويلة . لذا فإن مجالها لم يكن يتعدى القرى القريبة منها في إقليم نجد وهو إقليم يعيش في ظل اقتصاد الكفاف

---

(١) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢) انظر عن هذا الموضوع لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن آل الشيخ ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٣٢ . ودليل الخليج ، القسم الجغرافي . تأليف لوريمر وترجمة مكتب أمير قطر ، الطبعة المنقحة ، الدوحة ، دون ذكر لسنة الطباعة ، ج ٥ ، ص ص ١٦٩٦ ـ ١٦٩٧ .

(٣) وكان يطلق على هؤلاء التجار اسم « عقيل » . وقد استمرت تلك التجارة إلى فترة غير بعيدة .

بمستوياته الدنيا من زراعة بدائية ورعي متجول وصيد أوليّ ، وهو أقصى ما تنتجه الطبيعة الصحراوية للمنطقة »[1] .

والبلاد التي شملتها دولة آل سعود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي لم تكن مفككة منذ قرون طويلة . ذلك أنها شهدت وحدة قوية زمن الدولة السعودية الأولى ، التي انتهت سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) . ولم تمرّ سنوات قليلة على هذا التاريخ حتى عادت الدولة السعودية الثانية لتشمل أجزاءً كبيرة من مناطق الدولة السابقة . ولم يكن مجال الرياض محصوراً في القرى القريبة منها . بل كان لها تعامل تجاري مع بعض بلدان نجد ومع بلدان المنطقة الشرقية ، كما سبق أنْ ذكر . ومع أن اقتصاد نجد لم يكن مزدهراً ولا قريباً مما أصبح عليه بعد تدفق واردات النفط في المملكة فإن إنتاج هذا الإقليم من الثروة الحيوانية كان عظيماً مما جعل أهله يصدرون آلاف الإبل ومنتجات الأغنام سنوياً إلى الشام وفلسطين ومصر والحجاز[2] .

ومن الواضح أن الكاتبة الكريمة خلطت في حديثها السابق بين فترتين تاريخيتين . فبينما كانت تتكلم عن الرياض في زمن الدولة السعودية الثانية قفزت إلى ذكر أشياء لم تحدث إلا بعد أن أصبحت الحجاز جزءاً من الدولة السعودية الثالثة .

وذكرت الكاتبة الكريمة أنه « من البديهيات المسلَّم بها أن اختيار الرياض كعاصمة كان قراراً يمثل القوة السياسية التي ترقد فوق الشعور الديني . فالمدينة خليفة للدرعية القريبة منها ، مركز

---

(١) « الدراسة » ص ٨ .

(٢) وكانت نجد ، لكثرة إنتاجها للإبل ، تسمّى « أم البل » ، انظر :
Burckhardt, Notes on the Bedouins and Wahobys, London, 1831, Vol., II, p69.

الدعوة السلفية . والحكومة ثيوقراطية تعتنق هذه الدعوة وتنادي بالعودة إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي والحياة الإسلامية . وقد انعكس هذا بقوة على العاصمة الناشئة على نشاطاتها وطرق الحياة فيها وعلى المدينة نفسها بدءاً من الوحدة الأولية فيها وهي الدار حتى تخطيط المدينة . لذا فإن الرياض التي قامت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت لا تختلف عن المدن العربية التي اختطت في القرون الأولى للإسلام »[1] .

وفي الكلام السابق عدة نقاط . الأولى اختيار الرياض عاصمة للدولة السعودية . ولعلّ ذلك الاختيار عائد إلى أمور من أهمها أن عاصمة آل سعود الأولى ، الدرعية ، كانت حينذاك مهدّمة . وكانت إعادة بنائها تتطلب أموالاً طائلة . ومن أهمها أن الرياض كانت مدينة غنية بمزارعها قوية في تحصيناتها التي كان قد بناها دهام بن دواس . وأنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذين كانوا يكنّون وداً لمركز الدعوة الأول ، لن يشكوا في شعور قادة الدولة الجدد وإن اتخذوا الرياض ، التي مثلت في فترة من الفترات الخصم الألد لهذه الدعوة ، عاصمة لهم لأن هؤلاء القادة من آل سعود سلاح الدعوة المذكورة . وبالإضافة إلى ما تقدم فإن تركي بن عبد الله قد عيّن أميراً في الرياض من قِبَل مشاري بن سعود . فعرف المدينة وعرف أهلها . وحين قام ابن معمّر بانقلابه على مشاري ونجح تركي في القضاء على ابن معمّر لم ير تركي مانعاً من اتخاذ المدينة التي كان أميراً فيها عاصمة لدولته ؛ خاصة وقد توفرت العوامل الأخرى المذكورة من قبل .

والنقطة الثانية من كلام الكاتبة الكريمة السابق وصف حكومة

(١) « الدراسة » ، ص ٩ .

آل سعود بأنها « ثيوقراطية » . وقد يطلق هذا الوصف عليها من لا يعرف حقيقة دعوة الشيخ محمد التي قامت على أساسها تلك الحكومة ؛ خاصة بعض الغربيين . وفي ذلك تجاوز . فالوصف المذكور ينطبق على حكومة البابا وما تقوم عليه من نظم دينية معروفة . والفرق واضح بين الحكومتين ونظاميهما . ولعله من المستحسن أن لا يندفع الباحثون في استعمال تعبيرات أجنبية قد تكون ممثلة للواقع في مجتمعات دون أخرى .

والنقطة الثالثة من كلام الكاتبة الكريمة السابق ما ذكرته من تأثر الرياض بدءاً بالدار حتى تخطيط المدينة بالعامل الديني الخاص وقد سبقت الإشارة إلى أن القادة السعوديين لم يخططوا الرياض ، وإنما اتخذوها عاصمة وهي مدينة كانت قائمة من قبل . ولم يكن لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثر في تخطيطها بل كانت بشكلها الذي كانت عليه ، الخصم الألد لتلك الدعوة .

وحينما تكلمت الكاتبة الكريمة عن انتقال الملك عبد العزيز وحاشيته للسكن خارج أسوار مدينة الرياض القديمة قالت :

« وقد نتج عن عملية الجلاء (هكذا) هذه زيادة مساحات الفراغ من ناحية وتقلص في القوة السياسية في المركز من ناحية أخرى »[1] .

ومن غير المسلَّم به أن الانتقال المذكور قد نتج عنه تقلص في القوة السياسية في مركز مدينة الرياض . وذلك أن الانتقال كان انتقالاً في السكن . أما الإدارة فبقيت في الداخل . وذهاب الكاتبة الكريمة إلى ما ذهبت إليه في هذا الموضوع ناتج ـ فيما يبدو ـ عن

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

محاولة تطبيق نظريات جغرافية من المشكوك فيه أن تنطبق على كل المجتمعات والأنظمة .

ويبدو أن انتقال الملك عبد العزيز وحاشيته للسكن خارج أسوار مدينة الرياض القديمة من أقوى أسبابه استتباب الأمن في البلاد . ففي الماضي كان من الضروري أن يكون القادة في داخل البلدة لئلا يتعرضوا لهجمات الخصوم . لكن حينما استتب الأمن في البلاد لم يعد هناك مانع من السكن داخل أسوار المدينة أو خارجها . وتوفّر المال كان مشجعاً على بناء بيوت سكنية خارج المدينة أحسن من البيوت التي كانت تسكن داخلها .

ومرة أخرى أكرر القول بأن دراسة الدكتورة نوال إسماعيل من الدراسات الجيدة رغم الملاحظات الواردة في هذا التعليق .

والله الموفق . .

محتويات الكتاب